بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة أم القرى
كلية التربية بمكة المكرمة
الدراسات العليا

نموذج رقم ( ٨ ) *

# اجازة اطروحة علمية في صيغتها النهائية بعد إجراء التعديلات المطلوبة

الاسم رباعي: مساعد بن محمد سعد مساعد الحربي القسم : التربية الاسلامية والمقارنة

الدرجة العلمية : ماجستير التخصص : تربية اسلامية

عنوان الاطروحة: بعض آراء الامام النووي التربوية

---

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد ..

فبناء على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الاطروحة المذكورة عاليه والتي تمت مناقشتها بتاريخ ١٤١٠/٧/٢٦ هـ بقبول الاطروحة بعد اجراء التعديلات المطلوبة ، وحيث قد تم عمل اللازم .

فان اللجنة توصي باجازة الاطروحة في صيغتها النهائية المرفقة كمتطلب تكميلي للدرجة العلمية المذكورة أعلاه والله الموفق .

أعضاء اللجنة

| المشرف | مناقش من القسم | مناقش من خارج القسم |
|---|---|---|
| د.عبدالرحمن عبدالله الشميري | د. عنتر لطفي محمد | د. محمود نادي عبيدات |
| التوقيع : | التوقيع : | التوقيع : |

رئيس قسم التربية الاسلامية والمقارنة

د. محمود محمد كسناوي

* يوضع هذا النموذج أمام الصفحة المقابلة لصفحة عنوان الاطروحة في كل نسخة .

المملكة العربية السعودية
جامعة أم القرى
كلية التربية
قسم التربية الإسلامية والمقارنة



# بعض آراء الإمام النووي التربوية

دراسة مقدمة إلى قسم التربية الإسلامية والمقارنة في كلية التربية
بجامعة أم القرى. كمتطلب تكميلي لنيل درجة الماجستير
في التربية الإسلامية والمقارنة

إعداد الطالب
مساعد بن محمد سعد بن مساعد الصبحي الحربي



إشراف الدكتور
عبد الرحمن عبد الله الشميري
جامعة أم القرى



١٤١٠هـ / ١٩٩٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ

البقرة « ٣٢ »

# ملخص الرسالة

## عنوان الرسالة : بعض آراء الامام النووي التربوية

### الباحث : مساعد بن محمد سعد بن مساعد الصبحي الحربي


اخترت هذه الدراسة لعلم من أعلام الفكر التربوي الإسلامي وهو العالم الجليل إمام عصره في الحديث والفقه واللغه الإمام يحيى بن شرف النووي . وقد تناولت في هذه الدراسة بعض الآراء التربوية له من خلال بعض كتبه القيمه .

وقد تضمنت الدراسة فصلاً تمهيدياً وبابين . ففي الفصل التمهيدي : مقدمة الدراسة وأهميتها ومبرارت الدراسة وتساؤلاتها وأهدافها ومنهج الدراسة وحدودها ثم الدراسات السابقة . أما الباب الأول من الدراسة فيشتمل على فصلين : الفصل الأول . وفيه التعريف بعصر الإمام النووي وحياته وسيرته ، أما الفصل الثاني فيتضمن منهج الإمام النووي الإصلاحي وإرتباطه بمنهجه التربوي ، أما الباب الثاني : فيحتوي على ثلاثة فصول . فالفصل الأول يتناول المنهاج وأغراض التعليم والعوامل المؤثرة في التعليم ثم طرق التدريس . أما الفصل الثاني فيتضمن المعلم ومؤهلاته ومسئولياته وأخلاقه ثم المتعلم أخلاقه وواجباته ومعلم القرآن ومتعلمه . وقد انتهجت في هذه الدراسة منهجين هما المنهج التاريخي والمنهج الاستنباطي . وقد توصلت في الفصل الثالث إلى نتائج من أهمها :-

١ - إن المعلم هو حجر الزاوية في العملية التعليمية التربوية مما يترتب عليه مسئوليات كبيرة نحو التدريس والإرشاد وضرورة النمو العلمي عن طريق مواصلة البحث والإطلاع .

٢ - الإهتمام الدائم بالجانب الأخلاقي في المعلم والمتعلم والتشديد على ذلك من قبل الإمام النووي .

٣ - وعي الإمام النووي بكثير من المبادىء التربوية مثل التأهيل العلمي للمعلم وسعة الثقافة وطرق التدريس والدافعية .

**وكان من توصيات الدراسة :**

١ - الاهتمام بحسن إعداد المعلم ولاسيما من الناحية الاخلاقية والإهتمام بتعليم القرآن الكريم والسنة النبوية .

٢ - إخلاص النية عند طلب العلم والإستمرار في طلبه مدى الحياة .



| الطالب | المشرف على الرسالة | يعتمد. عميد كلية التربية |
|---|---|---|
| مساعد بن محمد سعد الصبحي | د/ عبدالرحمن عبدالله الشميري | د/ هاشم بكر حريري |

آمين المكتبة العامة بمكة المكرمة الأستاذ / محمود حريرى والأستاذ عبد الله حكمى اللذين قدّما لى كل دعم وسند وتشجيع ، كما أشكر جميع العاملين بالمكتبة على ماقاموا به نحوى من حفاوة ومساعدة فجزاهم الله عنى خيرا .

الباحث

## محتويات الدراسة

الموضوع | الصفحة

| الموضـــوع | الصفحـــة |
|---|---|

| الموضـــوع | الصفحـــه |
|---|---|

| الموضـــــوع | الصفحـــة |
|---|---|

# الفصل التمهيدي

ويشتمل على :

- مقدمة الدراسة وأهميتها .
- موضوع الدراسة .
- مبررات الدراسة .
- تساؤلات الدراسة .
- أهداف الدراسة .
- منهج الدراسة .
- حدود الدراسة .
- الدراسات السابقة .

## مقدمة الدراسة وأهميتها :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، والمبعوث رحمة للعاملين ، ومربى البشرية أجمعين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين ٠

وبعد : الدارس للتاريخ الاسلامي يلاحظ أن هناك قادة عظماء ومصلحين ، كان لهم أثر بالغ فى صناعة التاريخ والتأثير على مجتمعاتهم ٠ ومن المفكرين الذين كان لهم دور بارز فى توجيه هذا التاريخ الإمام أبو زكريا يحي بن شرف النووى الدمشقي ( ٦٣١ - ٦٧٦ هـ ) ، والذى كان له أثر بالغ فى الثقافة الاسلامية والفكر الاسلامى ٠ " فعلماؤنا المسلمون الذين عنوا بالتربية أسسها وأساليبها وموضوعاتها يتميزون عن سواهم من العلماء بأن عنايتهم ليست عناية الباحث المنظر الذى يهتم ( بمنطق ) النظرية وتسلسلها وأحكامها ... بل كانوا - جميعا - يمارسون التربية [عمليا] كل يوم فى حلقات الدرس ويكتبون عنها - حين يكتبون - كتابة الممارس الواعي المدرك لأسباب نجاح عمل المربي وأثمار غرسه ، ولأسباب اخفاقه وعقمه "(١)٠

وعلى الرغم من أن الامام النووي رحمه الله قد خاض فى معظم علوم عصره على اختلاف ألوانها ، إلا أنه لم يدرس تراثه من زاوية تربوية فلم يركز معظم الدارسين لهذه الشخصية الفذة على الجانب التربوى فيها ٠ وهذه الدراسة تهدف الى الكشف عن الفكر التربوى فى شخصية الامام النووى ،

---

(١) حسن ابراهيم عبد العال ، فن التعليم عند بدر الدين ابن جماعة ، ( الرياض : مكتب التربية العربى لدول الخليج ، ١٤٠٥ ) ، ص ٧ ٠

والتعرف على آرائه التربوية فى عصره " ذلك العصر الذى إتسم بالفوضى السياسية ، وكثرة الاضطرابات والفتن والحروب ، فلقد اجتاح التتر بجيوشهم بلاد العالم الاسلامى بالاضافة الى الخطر الصليبى الذى كان يهدد المجتمع الاسلامى بين الحين والآخر ، هذا وقد التقى فى ذلك العصر ( القرن السابع الهجرى ) أقوام وأجناس مختلفون فى العادات والتقاليد والمذاهب والأخلاق والأفكار ، لذلك كان مجتمعنا متنافرا بعيدا عن التجاذب والترابط فقد كان كل جنس من أجناس المجتمع يعمل لنفسه ولمذهبه وعقيدته ولتقاليده التى توارثها من بيئته الأولى"[1] وكذلك ظهرت الصراعات العنيفة والغدر والقتل وبخاصة بين الحكام فى العصر المملوكى .

ونجد خلال القرنين السادس والسابع الهجريين قد " انتشر التعصب المذهبي من الفرق الاسلامية واستحكم ، ... وبذلك تقرر التقليد كقاعدة لاتقبل المناقشة ، وكان من نتيجة ذلك انتشار التعصب المذهبي بين الجماعات والمذاهب ، وصارت الدروس تلقى ، والمؤلفات تكتب نصرة للمذاهب المتبعة ، أو تفنيدا للمخالفة "[2]. ولقد وجه هذا التعصب المذهبي مؤسسات التعليم التى انتشرت فى تلك الفترة ، فانقسمت الى مدارس تدرس المذاهب الأربعة كل مدرسة بمذهب معين ، وتعدى ذلك الى الأربطة والزوايا أيضا .

---

(١) سعيد صادق محمد ، شيخ الاسلام ابن تيمية امام السيف والقلم (الرياض : دار اللواء ، ١٤٠٠ هـ ) ص ٢٢ - ٣١ .

(٢) ماجد عرسان الكيلانى ، الفكر التربوى لابن تيمية ، ط ٢ ، (المدينة المنورة : مكتبة دار التراث ، ١٤٠٧ هـ ) ، ص ٤١ - ٤٢ .

ونجد خلال عهد المماليك " أن هذا التعصب المذهبي قد ازداد، حيث عززت ظاهرة المذهبية بسلطة الحاكمين ومراسيم الدولة . من ذلك مافعله الملك الظاهر بيبرس حين أصدر أوامر فيها تعصب مذهبي وتشدد وتضييق خدمة للسنة ومذاهبها . الأمر الذى أدى الى الافراط والجمود الفكرى وحصر المناهج فى العلوم الدينية "(١).

ولم يكن عصر الامام النووى والحال هكذا " عصر تجديد وابتكار فكرى ، بل اتسم عصره بعكوف العلماء فيه على ماوصل اليهم من تراث أسلافهم ، فاعملوا عقولهم فى شرحه وبسطه فى مطولات وموسوعات، وأجهدوا أنفسهم باختصاره فى متون وملخصات ، تركز على الأفكار الأساسية فى كل علم ، أو الاضافة الى ماوصل اليهم "(٢) . ومع ذلك فقد كان للامام النووي آراء ذات قيمة كبيرة فيما يتعلق بالتعليم بالاضافة الى أنها تدل على " أن لتراثنا التربوى قيمة تستحق بذل الجهد فى الكشف عنها ،وأن لأسلافنا من العلماء قصب السبق فى كثير من مجالات الدراسات التربوية "(٣).

وتكمن أهمية هذه الدراسة فى الاسهام بشكل متواضع فى اثارة اهتمام الباحثين التربويين بموضوع دراسة تراثنا التربوى والكشف عنه ، وأن تكون هذه الدراسة حافزا لمزيد من البحوث فى هذا المجال الحيوي الهام والمجالات الأخرى .

---

(١) سعيد عاشور ، مصر فى عهد المماليك البحرية ( القاهرة : مكتبة النهضة ، ١٩٥٩ م ) ، ص ١٨٥ .

(٢) حسن عبد العال ، فن التعليم عند بدر الدين ابن جماعة "مرجع سابق "،ص ٢٠٦

(٣) المرجع السابق،ص ١٤ ، ١٥ .

أما أهمية الدراسة الخاصة فتهدف الى الكشف عن الفكر التربوي عند الامام النووى والتعرف على آرائه التربوية فى عصره ٠

والله أسأله التوفيق والسداد وهو حسبي ونعم المعين ٠

والحمد لله رب العالمين ،،

**موضوع الدراسة :**

إن موضوع الدراسة هو الكشف عن بعض آراء الامام النووى التربوية لذا سوف يحاول الباحث من خلاله إبراز الآراء التربوية فى فكر هذا العالم الجليل وذلك من خلال بعض كتبه القيّمة وهى :

١ - مقدمة كتاب المجموع شرح المهذب .

٢ - التبيان فى آداب حملة القرآن .

وكذلك بعض كتابات من كتبوا عنه .

ويمكن ابراز مبررات الدراسة فى النقاط التالية :

أولا : البحث عن الآراء التربوية للامام النووى والتى لم تنل نصيبها الوافي فى مجال البحث العلمي .

ثانيا : محاولة الاسهام بهذه الدراسة فى دراسة التراث الاسلامي التربوي لفترة من فترات التربية الاسلامية الهامة ، وتجليته للأجيال القادمة .

**تساؤلات الدراسة :**

ويمكن حصر السؤال الرئيس للدراسة فى التالي :

**ما الآراء والأفكار التربوية للامام النووي من خلال بعض مؤلفاته ؟**

ويتفرع عن هذا السؤال الاسئلة التالية :

- ما أغراض التعليم عند النووى ؟

- ما موقف الامام النووي من العلوم غير الشرعية فى عصره ؟
- ما مدى ارتباط منهج الاصلاح العام عند النووي بمنهجه التربوى ؟
- ماهى اخلاقيات المعلم والمتعلم فى نظره ؟
- ما أهم طرق التدريس والدراسة فى نظره ؟

**أهداف الدراسة :**

١ - معرفة مدى مساهمة النووي فى الفكر التربوى الاسلامى .
٢ - توضيح أغراض التعليم عند النووي .
٣ - اظهار مدى اهتمام النووي بالعلم والحث عليه ، وبيان موقفه من العلوم غير الشرعية فى عصره .
٤ - بيان أهم صفات المعلم والمتعلم عند النووي .
٥ - معرفة أهم طرق التدريس والدراسة التى كانت سائدة فى عصره ووجهة نظره فيها .

**منهج الدراسة :**

لما كان موضوع الدراسة لفكر شخصية اسلامية تربوية فى فترة من فترات التاريخ الاسلامي ، فان الباحث سوف يستخدم فى دراسته منهجين هما :

أولا : المنهج التاريخى " وهو المنهج الذى يصف ويسجل مامضى من وقائع وأحداث فى الماضي ، ثم يدرس هذه الوقائع والأحداث

ويحللها ويفسرها على آسس منهجية علمية دقيقة بقصد التوصل الى حقائق وتعميمات تساعد على فهم الحاضر والتنبؤ بالمستقبل "(١).

لذا سوف يستخدم الباحث هذا المنهج فى دراسة ترجمة تلك الشخصية التربوية ، وكذلك عصره الذى عاش فيه من جميع النواحى السياسية والاجتماعية والفكرية مع محاولة ربط ذلك بالقوى التى آثرت فيها ، وذلك بالرجوع الى المصادر الأولية المختلفة بالاضافة الى الاستعانة بالمصادر الثانوية ذات العلاقة بموضوع الدراسة ٠

ثانيا : المنهج الاستنباطي : " وهو المستخدم لدى علمائنا فى العلوم الشرعية وغيرها ، ويعرف تارة بالمنهج الأصولى وذلك بتجزئة الكل الى آجزائه الذى يتألف منها ، ودراسة كل جزء منها دراسة خاصة به "(٢)ويقوم على تحليل النصوص وتفسيرها والجمع بينها ، واستخراج واستنباط الدلالات والأفكار التربوية منها من خلال بعض مؤلفات المفكر الاسلامي الامام النووي رحمه الله تعالى مثل كتاب التبيان فى آداب حملة القرآن،ومقدمة كتاب المجموع شرح المهذب وذلك بقصد الخروج بنتائج ومقترحات تساعد على توجيه التربية المعاصرة ٠

---

(١) جابر عبد الحميد ، أحمد خيرى كاظم ، مناهج البحث فى التربية وعلم النفس، ط ٢ ( القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٩٧٨ ) ص ١٠٤ ٠

(٢) يوسف مصطفى القاضى ، مناهج البحوث وكتابتها ، ( الرياض :دار المريخ ١٤٠٤ هـ ) ، ص ٨٩ ٠

## حدود الدراسة :

يعنى الباحث فى هذه الدراسة بالمبادىء والأفكار التربوية للامام النووى رحمه الله تعالى من خلال بعض كتبه المتعلقة بالتربية كما سيستفيد الباحث من بعض الكتب التى تناولت هذه الشخصية بالدراسة والترجمة .

وسوف يقتصر الباحث فى دراسته على الكتابين التاليين :

١ - مقدمة كتاب المجموع شرح المهذب ج ١ .
٢ - التبيان فى آداب حملة القرآن .

ويرجع سبب اختيار هذين الكتابين الى مايلى :

١ - مقدمة كتاب المجموع شرح المهذب . لأن هذه المقدمة " قد اختصرها الامام النووي من مؤلفات عديدة سابقة . وتشغل أكثر من(٩٠) صفحة من القطع المتوسط "[1] ، ولقد اعتمد عليها بعض العلماء الذين اشتغلوا بالتربية والتعليم أمثال " ابن جماعة "[2] ( ٦٣٩ - ٧٣٣ هـ ) والعلموي ( ت ٩٨١ هـ ) وهى فى الواقع ذات جوانب تربوية متعددة وتشتمل على آراء تربوية . ومن أمثلة ذلك أبواب هذه المقدمة وفصولها منها :

(١) فصل فى فضيلة الاشتغال بالعلم وتصنيفه وتعلمه وتعليمه والحث عليه والارشاد الى طرقه .

---

(١) نذير حمدان : " فى التراث العربى التربوى " ، مجلة الفيصل ، العدد ٧٠ ( ربيع الآخر ١٤٠٣ هـ ) ، ص ١٢١ .

(٢) حسن ابراهيم عبد العال ، فن التعليم عند بدر الدين ابن جماعة ، " مرجع سابق " ،ص ٢٣٦ - ٢٣٧ .

(٢) باب أقسام العلم الشرعي .

(٣) باب آداب المعلم .

(٤) باب آداب المتعلم وغير ذلك .

٢ - التبيان فى آداب حملة القرآن نجد أن العلماء قد كتبوا فى هذا الموضوع كتبا كثيرة وتوسعوا فيها ، فجاء الامام النووي فجمع فى هذا المختصر آداب حملة القرآن ، وأوصاف حفاظه وطلبته وآداب المعلمين والمتعلمين ، وآداب حامل القرآن ، وآداب القراءة ، وآداب الناس كلهم مع القرآن وغير ذلك [1]. فجاء هذا الكتاب مختصرا مفيدا لطلاب العلم ودارسي القرآن . ومن خلال ماسبق يتبين أن الكتاب له صلة وثيقة بالتربية ولذا اخترته ضمن موضوع دراستى.

أما بقية مؤلفات الامام النووى فانها كتب لها صلة وثيقة بالفقه ومصطلح الحديث واللغة دون التركيز على التربية فلذلك اقتصرت على الكتابين السابقين ذكرهما فقط .

## الدراسات السابقة :

أما الدراسات السابقة التى دارت حول شخصية الامام النووي فهى على النحو التالى :

---

(١) النووي ، يحي بن شرف ، التبيان فى آداب حملة القرآن ، تحقيق عبد القادر الارناؤوط ، ط ١ ، ( دمشق : دار البيان ، ١٤٠٥ هـ ) ص ٩ .

١ - الامام النووي ويتحدث فيه مؤلفه[1] عن الامام النووي وترجم له ترجمة وافية عن حياته وسيرته ، وشيوخه ، ومؤلفاته ، ومن أخلاقه ، حتى وفاته دون أن يتطرق المؤلف الى الجانب التربوي له .

٢ - الامام النووي ويتحدث فيه مؤلفه[2] عن الامام النووي بشكل مختصر ، وقد تناول فيه حياته الشخصية مثل : أخلاقه وسيرته ، وزهده ، وطعامه ، لباسه ، أساتذته ، دراسته ، مؤلفاته ، وفاته دون أن يتحدث المؤلف عن الجانب التربوى له .

وعلى ضوء ما تقدم ، نجد أن الدراستين السابقتين قد تناولتا شخصية الامام النووي رحمه الله من خلال الترجمة له فحسب ، شأنها فى ذلك شأن كتب التراجم المعروفة ، فهما لم يتناولاه من الناحية التربوية .

وخلاصة القول :

أن جميع الدراسات السابقة لشخصية الامام النووي لم تتطرق البتة الى آرائه وأفكاره التربوية ، وهذا مايميز دراسة الباحث عن الدراسات السابقة . والله أعلم .

---

(١) عبد الغنى الدقر ، الامام النووي ، ط ٢ ( دمشق : دار القلم ، ١٤٠٠هـ ) ص ٢٠٧ - ٢٠٨ .

(٢) على الطنطاوى ، الامام النووي ، ط ٢ ( دمشق : دار الفكر ، ١٣٩٩هـ ) ، ص ٦١ - ٦٢ .

# الباب الأول

## الإمام النووي وعصره الذي عاش فيه

# الفصل الأول

## أولا : عصره

الناحية السياسية
الناحية الاقتصادية
الناحية الاجتماعية
الناحية الفكرية

## ثانيا : حياة الإمام النووى وسيرته

- إسمه وكنيته
- مولده
- نشأته
- تعليمه
- شيوخه
- تلاميذه
- أخلاقه
- مكانته
- وفاته






## الباب الأول

## الإمام النووي وعصره الذى عاش فيه

### الفصل الاول

### أولا - عصره

### ١ - الحياة السياسية فى عصر الامام النووى

عاش الامام النووي - رحمه الله - خمسة وأربعين عاما امتدت من أواخر العصر الأيوبى حتى نهاية حكم الملك الظاهر بيبرس فى عهد دولة المماليك البحرية . وقد شهدت هذه الفترة أحداثا جساما كان لها الأثر الكبير فى تشكيل الحياة بجوانبها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والاخلاقية . ومن أبرزها سقوط الدولة الأيوبية وقيام دولة المماليك ، ثم اشتدت الحروب بين الصليبيين والمسلمين فى مصر والشام . وكذلك كان من أبرزها أيضا غزو التتار المروّع وتدميرهم لبغداد وانهاؤهم الخلافة العباسية فيها وزحفهم المخيف الى مصر والشام . وقد منّ الله على المسلمين بهزيمتهم للتتار وكسرهم قوتهم على يد أحد سلاطين المماليك وهو الملك المظفر قطز فى عين جالوت(1) فى يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان سنة ثمان وخمسين وستمائة (٢) مما ادى الى التماسهم الصلح وتحسين علاقتهم بالمماليك .

---

(١) عين جالوت : بلدة بين بيسان ونابلس من اعمال فلسطين . ياقوت عبد الله الحموى، معجم البلدان،م٤ (بيروت :دارصادر، ١٩٧٧)ص ١٧٧ .

(٢) تقي الدين أبو العباس أحمد بن على المقريزى ، كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بخطط المقريزى ( مصر : دار التحرير للطبع والنشر ، ١٩٦٨ ) ج ٣ ، ص ٩٣ .

وسنتناول بايجاز أهم هذه الاحداث السياسية التى عاشها الامام النووي ( ٦٣١ - ٦٧٦ هـ ) والتى آثرت تأثيرا مباشرا على كل نواحى الحياة فى عصره وأهمها :

أولا - سقوط الدولة الأيوبية وقيام دولة المماليك :

واجهت الدولة الأيوبية ظروفا داخلية وخارجية أدت الى سقوطها وقيام دولة المماليك ، ومن تلك العوامل الداخلية : ضعف ملوك الدولة الأيوبية بينما تقوّى مماليكهم مما جعل لهم السلطان والنفوذ والقوة فيما بعد " والصراع على الحكم مما أدى الى نشوب الحروب بينهم ، وكذلك نتيجة تفرقهم واختلافهم فضلا على انغماسهم فى الترف والملذات ، الى جانب محاولة الصليبيين المستمرة اشعال الحرب ضدهم فى الشام ومصر . مما أدى الى انهاكم والتعجيل بنهاية حكمهم وقيام دولة المماليك مكانهم . ويقول المؤرخ ابن كثير فى وصف حالة ملوك بنى أيوب : " استهلت هذه السنة (٦٢٦ هـ ) وملوك بنى أيوب مفترقون ، ومختلفون ، قد صاروا أحزابا وفرقا "(١).

ومما زاد الوضع سوء هو تدبير توران شاه للأمور وآخذه فى ابعاد رجال الدولة ، وعزل أمراء المماليك من أعوان أبيه وولى غيرهم من اتباعه عندما راى عظم شأن قادة المماليك فاخذ يفكر فى التخلص منهم ويقول عنه ابن تغرى بردى : " كذا افعل بالبحرية - يعنى مماليك

(١) اسماعيل بن عمر بن كثير ، البداية والنهاية فى التاريخ ( بيروت : مكتبة المعارف ، ١٩٦٦ ) جـ ١٣ ، ص ١٢٣ .

ابيه باسمائهم - واهانهم وقدم الارذال وابعد الاماثل[١] " . ولم يكتف بذلك بل دأب على ان يهاجم زوجة أبيه شجرة الدر فبعث يهددها فخافت منه . الاّ أن المماليك قتلوه فى يوم الاثنين السابع والعشرين من المحرم سنة ثمان واربعين وستمائة[٢]. وعينوا بدلا عنه شجرة الدر التى تزوجت بعد وفاة زوجها الاول بعز الدين ايبك وهو من المماليك . وبذلك انتهى عهد الايوبيين فى مصر بعد حكم دام واحداوثمانين عاما ، وأصبح المماليك أصحاب السلطة الفعلية فى البلاد[٣] .

وقد ازدادت شوكة المماليك وسلطانهم منذ عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب ، والذى استعان بهم لنزع الملك من اخيه العادل ، حيث قاموا بقتله بأيديهم خنقا[٤]. وبعد ذلك جعلهم معظم عسكره ، واسكنهم فى قلعة الروضة على النيل حيث سموا فيما بعد بالبحرية . يقول المقريزى : ان الملك الصالح نجم الدين ايوب هو " اول من استكثر من المماليك من ملوك البيت الايوبى ، وجعلهم معظم عسكره ... فصاروا بطانته وسماهم البحرية لسكناهم فى قلعة الروضة على بحر النيل[٥] " .

---

(١) جمال الدين ابو المحاسن يوسف بن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة (القاهرة : المؤسسة المصرية للتاليف والترجمة والطباعة والنشر ، د . ت) ج ٦ ، ص ٣٧٠ - ٣٧١؛ احمد بن على المقريزى السلوك لمعرفة دول الملوك (القاهرة : مطبعة دار الكتب ، ١٩٣٦ ) ج ١ القسم الثانى ، ص ٣٥٨ - ٣٥٩ .

(٢) المرجع السابق، ج ٦ ، ص ٣٧٢ .

(٣) المقريزى ، السلوك " مرجع سابق "ج ١ ، القسم الثانى ، ص ٣٦١ .

(٤) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة" مرجع سابق" ، ج ٦، ص ٣١٢ .

(٥) المرجع السابق، ج ٦ ، ص ٣٣١ ؛ المقريزى ، السلوك " مرجع سابق " . ج ١ القسم الثانى ، ص ٣٤٠ .

ويرجع السبب فى سكناهم القلعة وحبسهم عن مخالطة الناس لأنهم عاشوا فى الأرض فسادا ، ولحق أذاهم الناس أجمعين كما يروى عن المقريزى فى خططه (١) .

وما زاد من نفوذهم ما أبلوه من شجاعة فائقة فى قتالهم للصليبيين الذين تسّرب اليهم نبأ وفاة الملك الصالح نجم الدين أيوب ، فأسرعوا بقيادة لويس التاسع بتوجيه ضربة قوية للمسلمين ، الذى زحف بجيشه الى دمياط فخف اليهم جيش المماليك يعاضده جمع عظيم من الناس ، ولقد حاصر المسلمون الصليبيين وقتلوهم مقتلة عظيمة ، وأسروا الفارين منهم ، وكان معظم الحرب فى فارسكور ، ولقد أبلت الطائفة البحرية بلاء حسنا ولاسيما بيبرس البندقدارى . ثم التجأ لويس التاسع وعدد من أكابر قومه الى تل المنية وطلبوا الأمان ، فأمنهم الطواشى جمال الدين محسن الصالحى ونزلوا على أمانه ، ثم أخذوا الى المنصورة فنزل لويس التاسع فى دار قاضيها فخر الدين ابن لقمان (٢) وكذلك ما كان من شأن المماليك وانتصارهم على التتار النصر المؤزر فى عين جالوت بشمال فلسطين سنة ٦٥٨ هـ ( ١٢٦٠ م ) . كل ذلك فيما سبق وضع المماليك فى مكان الصدارة ومكنهم من قيام دولتهم القوية . وهكذا تولى سلاطينهم حكم البلاد سلطانا اثر سلطان .

وسنتناول بشيء من الاسهاب عصر الملك الظاهر بيبرس لان الامام النووى قد عاش مدة حكمه والتى امتدت من سنة ثمان وخمسين وستمائة الى ست

---

(١) المقريزى ، الخطط " مرجع سابق " ، ج ٣ ، ص ٩٢ .

(٢) المقريزى ، السلوك " مرجع سابق " ، ص ٣٥٥ - ٣٥٦ .

وسبعين وستمائة للهجرة - اى ثمانية عشر عاما - وقد ال الحكم الى بيبرس بعد قتله للسلطان المظفر قطز عند عودته من دمشق متوجها الى مصر بعد هزيمته للتتار فى عين جالوت(١) . ولقد واصل السلطان الظاهر بيبرس حروبه ضد الممتلكات الصليبية باستمرار من سنة ٦٦١ هـ (١٢٦١م ) حتى سنة ٦٧٦ هـ ( ١٢٧٧ م ) . كما استولى على عدد من المدن الهامة مثل قيساريه ، وأرسوف ، صفد ، كما اغار على ارمينية الصغرى وقليقيه حتى بلغ طرسوس وصالح ملكها ، واستولى كذلك على انطاكية سنة ١٢٦٨ م ، وترتب على سقوطها انهيار الروح المعنوية لدى الصليبيين ، فاستسلم حصن الاكراد ، وسقط حصن مرقب ، كما حرص هيو الثالث ملك قبرص وبيت المقدس على أن يحصل سنة ٦٦٦ هـ ( ١٢٧٢ م ) على معاهدة عدم اعتداء لمدة عشر سنوات (٢) .

وهناك حقيقة كبرى وهى " ان طرد الصليبيين نهائيا من الشام فى أواخر القرن السابع الهجرى ( الثالث عشر للميلاد ) ضاعف من أهمية العامل البحرى فى شرق البحر المتوسط لانه جعل الحروب الصليبية تتحول من معارك برية الى معارك بحرية (٣) " .

---

(١) المقريزى ، الخطط والاثار " مرجع سابق " ، ج ٢ ، ص ٢٣٨ .

(٢) بدر الدين محمود العينى ، عقد الجمان فى تاريخ اهل الزمان ، م ٥٥ ( صورة شمسية بدار الكتب المصرية ، برقم ١٥٨٤ ) ص ٥١٥ ، ٥٢٥ ، ٥٣٩ .

(٣) سعيد عبد الفتاح عاشور ، مصر والشام فى عصر الايوبيين والمماليك ( بيروت : دار النهضة العربية ، ١٩٧٢ ) ، ص ٢٩٠ .

وهكذا زال الخطر الصليبى كما زال الخطر التترى عن البلاد المملوكية فى الشام ، وأخذت دولة سلاطين المماليك تستقر فى مصر . ومما زاد فى استقرار الأمور كذلك نجاح الملك الظاهر بيبرس فى " التخلص من طائفة الاسماعيلية (١) والاستيلاء على معاقلها فى المينقة والقدموس والكهف (٢)" وقد كانت مصر وبلاد الشام التابعتان لدولة المماليك قبل ذلك تعانيان من عدم الاستقرار وكثرة الاضطرابات ، وهذه صفة لم تمنح أحدا من السلاطين فترة طويلة من الحكم . ومن النادر أن نجد منهم من مات ميتة طبيعية بسبب كثرة الانقلابات والفتن ومحاولات الوصول الى السلطة بالقوة العسكرية . ولقد صاحب هذا الاضطراب فى السلطة اضطراب فى الوظائف الكبرى فى الدولة مثل القضاء وغيرها (٣).

ولقد احتل الملك الظاهر بيبرس - خليفة قطز - مكانة بارزة فى تاريخ دولة المماليك ،لماقام به من أعمال داخلية وخارجية عظيمة جعلت

---

(١) الاسماعيلية : طائفة من الشيعة منتسبة الى اسماعيل بن جعفر الصادق، وهم يسمون أنفسهم أصحاب الدعوة الهادية .

(٢) المينقة : هى قلعة بالقرب من الكهف على نحو ساعة على جبل مرتفع .
القدموس : قلعة بالقرب من الخوابى ( قلعة فى جهة الشمال من طرابلس .
الكهف : هى قلعة بالقرب من القدموس على نحو ساعة على نشز جبل مرتفع عال يرى على بعد .

(٢،١) ابى العباس احمد بن على القلقشندى ، صبح الاعشى فى صناعة الانشا . ج ٤ ( المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، د . ت ) ص ١٤٦ - ١٤٧ .

(٣) ماجد الكيلانى : الفكر التربوى عند ابن تيمية ، المدينة المنورة : مكتبة دار التراث ، ١٤٠٧ هـ ) ، ص ٦٦ .

منه المؤسس الحقيقى لتلك الدولة ، ولان الفترة الطويلة نسبيا التى قضاها فى الحكم مكنته من القيام بتلك الاعمال .

ومن ابرز اعماله الجليلة مايأتى :

١ - احياؤه الخلافة العباسية فى القاهرة بوصفها رمزا للمسلمين يجتمعون عليه ، وكان بيبرس " يرمى من وراء ذلك الى ان يقوى عرشه فى مصر ، ويجعله حكما شرعيا فى البلاد فتحقق له ما أراد بتفويض رسمى من الخليفة العباسى الجديد المستنصر بالله سنة ٦٥٩ هـ ( ١٢٦٠ م ) "(١) .

٢ - " تطوير شئون بلاده وتنمية مواردها ، فحفر الترع وأُصلح القنوات وأُقام الحصون وشيد المبانى وبنى المساجد ، وأُسس المعاهد والمدارس واهتم بالعلوم والمعارف "(٢) .

٣ - تنظيم الجيش المملوكى ، وتعبئة فرق حربية مساعدة من الاعراب وتجديد بناء الاسطول المصرى والعناية به(٣) .

٤ - استحداث وظائف ونظم ادارية (٤) مثل قيامه مع كل مذهب من المذاهب الاربعة قاضيا مستقلا وقاضى قضاه فى ذلك المذهب .

---

(١) محمد جمال الدين سرور ، دولة الظاهربيبرس فى مصر( القاهرة :دار الفكر العربى ،١٩٦٠)، ص ٥١ - ٥٥ .

(٢) المملكة العربية السعودية ،وزارة المعارف . التاريخ الاسلامى للصف الثانى المتوسط ( جدة : دار الاصفهانى ، ١٤٠٨ هـ )، ص ١٢٥ .

(٣) سعيد عبد الفتاح عاشور ، مصر فى عصر دولة المماليك البحرية (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٩ ) ، ص ٥٩ .

(٤) ــــــ ،مصروالشامفى عصرالأيوبيينوالمماليك" مرجع سابق "،ص ١٨٧ .

٥ - ابطال الخمور ونفى الفساق من البلاد .

ويذكر لنا المؤرخ ابن كثير بعض هذه الأعمال الجليلة فيقول " بنى جوامع كثيرة ومساجد عديدة ... وبنى بدمشق القصر الأبلق والمدرسة الظاهرية وغيرها ، وله من الآثار الحسنة والاماكن [ المبانى العامة ] مالم يبن فى زمن الخلفاء وملوك بنى أيوب ، مع اشتغاله بالجهاد فى سبيل الله واستخدام الجيوش ، وكذلك أقام مع كل مذهب قاضيا مستقلا قاضى قضاه ، وأبطل الخمور ونفى الفساق من البلاد "(١).

وعلى الرغم من أعمال الملك الظاهر بيبرس الجليلة التى سبق ذكرها الا أن له بعض المساوىء فمنها مايرويه المقريزى فى خططه فيقول : " كان ملكا جليلا ، عسوفا عجولا ، كثير المصادرات لرعيته ودواوينه "(٢) ، . ويروى أيضا فى كتابه السلوك قوله : " أنه كان كثير المصادرات للدواوين ، كثير الجباية للأموال من الرعية "(٣) . وعلى الرغم من ذكر المقريزى لبعض المساوىء للملك الظاهر بيبرس ، الا أنه وصفه بقوله : " وبالجملة فلقد كان من خير ملوك الاسلام "(٤) وكذلك نجد أن ابن كثير يثنى على الملك الظاهر بيبرس فيقول : " وقد كان الملك الظاهر بيبرس شهما شجاعا عالى الهمة بعيد الغور مقداما جسورا

---

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية " مرجع سابق " ، ح ١٣ ، ص ٢٧٥ - ٢٧٦ .
(٢) المقريزى ، ج ٣ ، ص ٢٠٩ .
(٣) المقريزى ، السلوك لمعرفة دول الملوك " مرجع سابق " ج ١ القسم الثانى ، ص ٦٤٠ .
(٤) المرجع السابق ، ج ١ القسم الثانى ، ص ٦٤١ .

معتنيا بامر السلطنة ، يشفق على الاسلام ، متحليا بالملك ، له قصد صالح فى نصرة الاسلام وأهله [١] " . وأما السيوطى فيقول نقلا عن الذهبى : " كان الظاهر خليقا بالملك لولا ماكان فيه من الظلم . قال " والله يرحمه ويغفر له ، فان له أياما بيضاء فى الاسلام ، ومواقف مشهودة وفتوحات عديدة [٢] " .

وتوفى الملك الظاهر بيبرس فى يوم الخميس بعد الظهر فى السابع والعشرين من المحرم بدمشق بالقصر الابلق سنة ست وسبعين وستمائة ، وحضر نائب السلطنة عز الدين ايدمر وكبار الامراء ورجال الدولة ، فصلوا عليه سراً وقد استمرت حياته من يوم الاحد سابع عشر ذى القعدة سنة ٦٥٨ هـ " [٣] .

واخيرا فقد اتصفت الحياة السياسية فى عصر سلاطين المماليك بانها كانت حياة صاخبة وغير مستقرة الحال ، حيث انه لم تخل جميع عهود المماليك من ثورات وفتن سياسية داخلية مصدرها طوائف المماليك انفسهم الذين يعتقدون أن لهم حقا مشروعا فى تولى السلطة لأنه لايوجد نظام وراثي أو قاعدة معينة لاختيار السلاطين فى عصر المماليك لحكم البلاد ، وبالتالى فقد تطلع كبار الامراء دائما للوصول الى منصب السلطة مما ادى الى ظهور كثير من الفتن والثورات والاضطرابات التى شهدها ذلك العصر طوال فترة حكمهم فاصبح ذلك العصر يتصف الى حد ما بطابع معين من عدم الاستقرار السياسى والاقتصادى والاجتماعى [٤] .

وخلاصة القول ان الفترة التى عاشها الامام النووى قد امتازت بنوع من الاستقرار منذ عصر السلطان الظاهر بيبرس الذى يعتبر المؤسس الحقيقى لدولة المماليك والذى استطاع ان يتخلص من مناوئيه من امراء المماليك فى مصر ،

---

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية " مرجع سابق " ، جـ ١٣ ، ص ٢٧٥ .
(٢) جلال الدين عبد الرحمن بن ابى بكر السيوطى ، حسن المحاضرة فى اخبار مصر والقاهرة ط ١ ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، ( مصر : دار احياء الكتب العربية ، ١٩٦٨ ) جـ ٢ ، ص ١٠٥ .
(٣) ابن كثير ، البداية والنهاية " مرجع سابق " . جـ ١٣ ، ص ٢٧٤ - ٢٧٥ .
(٤) على سالم النباهين ، نظام التربية الاسلامية فى عصر دولة المماليك فى مصر ، ط ١ ( القاهرة : دار الفكر العربى ، ١٩٨١ ) ، ص ١٢٨ - ١٢٩ .

والايوبيين بالشام ، وكذلك نجح فى القضاء على طائفة الاسماعيلية والاستيلاء على معاقلها ، مما زاد الامور استقرار بالداخل فى مصر والشام . واما فى الخارج فقد استطاع القضاء على الخطر الصليبى والتترى اللذين كانا يهددان البلاد الاسلامية دائما . وعلى كل حال فهو عهد ميمون وان كان فيه بعض الهنات (١) .

## ثانيا : نهاية الخلافة العباسية فى بغداد :

قد واجه العالم الاسلامى فى القرن السابع الهجرى كارثة يندر نظيرها فى تاريخ العالم وهو زحف التتار نحو الشرق وسيطرتهم على بعض العالم الاسلامى كله (٢) ، وقد كانت الخلافة العباسية فى عهد الخليفة المستعصم بالله تعانى من آلام الموت بعد ان اعتراها الضعف الشديد بسبب الانقسامات المذهبية والنقمة الداخلية ، وسيطرة الامراء على الخلافة وشؤونها . ولذلك لم تستطع الخلافة العباسية الثبات فى وجه الغزو المغولى سنة ٦٥٦ هـ . وفشلت جهود الخليفة المستعصم العباسى آخر خلفاء بنى العباس فى توحيد جهود الايوبيين فى الشام والمماليك فى مصر أثناء ذلك الخطر (٣) .

ولقد اقتحم التتار بغداد ووقعت الكارثة باستيلاء هولاكو عليها ، وقتله المسلمين فى مذبحة مروعة استمرت اربعين يوما ، ثم أشعل فيها النيران لتأتى على كثر من الحضارة الاسلامية . ويصف لنا المؤرخ ابن كثير

---

(١) عبد الغنى الدقر ، الامام النووى ، " مرجع سابق" ، ص ١١ .

(٢) ابو الحسن على الحسنى الندوى ، رجال الفكروالدعوة فى الاسلام ، ط ٥ ( الكويت : دار القلم ، ١٩٧٧ ) ، ص ٢٨٥ .

(٣) سعيد عبد الفتاح عاشور ، العصر المماليكى فى مصر والشام ، ط ٢ (القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٩٧٦ ) ، ص ٢٧ .

هذه المذبحة فيقول ابن كثير :

" وما زال السيف يقتل أهلها أربعين يوما ، ... ولما انقضى الامر المقدور وانقضت الأربعون يوما ، بقيت بغداد خاوية على عروشها ليس بها أحد الا الشاذ من الناس ، والقتلى فى الطرقات كأنها التلول ، وقد سقط عليهم المطر فتغيرت صورهم ، وأنتنت من جيفهم البلد ، وتغير الهواء ، فحصل بسببه الوباء الشديد حتى تعدى وسرى فى الهواء الى بلاد الشام ، فمات خلق كثير من الناس من تغير الجو وفساد الريح ، فاجتمع على الناس الغلاء والوباء والفناء" (١).

ويصف كذلك تاج الدين السبكى تلك المذبحة المروعة بقوله :

" فانزل ( هولاكو ) الخليفة ( المستعصم ) فى خيمة ، ثم دخل الوزير [ابن العلقمى الرافضى] فاستدعى الفقهاء والأماثل ليحضروا العقد [أى ابرام عقد المصالحة المزعوم بين الخليفة وهولاكو كما أشار بذلك الوزير على الخليفة] ، فخرجوا من بغداد فضربت أعناقهم وصار كذلك يخرج طائفة بعد طائفة فتضرب أعناقهم ،ثم طلب حاشية الخليفة فضرب أعناق الجميع ، ثم طلب أولاده فضرب أعناقهم ، وأما الخليفة فقيل لهولاكو أن هذا ان أريق دمه تظلم الدنيا ويكون سبب خراب ديارك ، فقام نصير الدين الطوسى وقال : يقتل ولا يراق دمه ، فقيل ان الخليفة غمّ فى بساط ، وقيل رفسوه حتى مات "(٢) .

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية " مرجع سابق " ، ج ١٣ ، ص ٢٠٣ .

(٢) تاج الدين ابو نصر عبد الوهاب تقى الدين السبكى ، طبقات الشافعية الكبرى ، ط ١ تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ، محمود محمد الطناحى ، (القاهرة :عيسى البابى الحلبى وشركاه ، ١٣٨٣)ج ٨ ، ص ٢٧٠ - ٢٧١ .

وكان قتل الخليفة المستعصم بالله أمير المؤمنين يوم الأربعاء الرابع عشر من شهر صفر[١]. ولم ينج من هذه المذبحة كما يقول ابن كثير: " سوى أهل الذمة من اليهود والنصارى ، ومن التجأ اليهم والى دار الوزير ابن العلقمي الرافضي[٢]، وطائفة من التجار أخذوا لهم أمانا بذلوا عليه أموالا جزيلة حتى سلموا وسلمت أموالهم ، وعادت بغداد بعدما كانت آنس المدن كلها كأنها خراب ليس فيها الا القليل من الناس ، وهم في خوف وجوع وذلة وقلة "[٣].

وقد واصل هولاكو مسيره شمالا ، فاستولى على حلب سنة ٦٥٨ هـ وأعمل في أهلها السيف هو وجيشه كما فعلوا بأهل بغداد من قبل[٤]. ثم " تقدموا الى دمشق واستولوا عليها في شهر جمادى الاولى سنة ٦٥٨ هـ"[٥] وأخيرا توجه التتار بعد ذلك الى غزة في طريقهم الى مصر التي كان يحكمها آنذاك علي ابن ايبك وكان صبيا صغير السن لايحسن تدبير الملك في هذا الموقف العصيب .

---

(١) ابن كثير " مرجع سابق " ج ١٣ ، ص ٢٠٢ .

(٢) الوزير العلقمي هو محمد بن احمد بن علي وزير المستعصم الخليفة ، وصاحب الجريمة في ممالأه هولاكو اشتغل بالادب وارتقى الى مرتبة الوزارة توفى سنة ٦٥٦ هـ - المرجع ، " الزركلي، الاعلام ٦/٢١٦ .

(٣) ابن كثير ، البداية والنهاية " مرجع سابق " ، ج ١٣ ، ص ٢٠٢ .

(٤) المرجع السابق، ص ٢٤٨ ؛ المقريزي ، السلوك " مرجع سابق " ج ١ القسم الثاني ، ص ٤٢٢ .

(٥) ابو الحسن الندوي ، رجال الفكر والدعوة في الاسلام " مرجع سابق" ، ص ٣٠٤ .

فاستغل آتابكة قطز خطورة الموقف للوصول الى الحكم ، فعزل قطزعلي بن ايبك وتولى السلطة ولقب بالملك المظفر(١). واستعد بعد ذلك لصد الزحف المغولى وما أن جاءته رسل هولاكو تطلب منه الاستسلام حتى قتلهم " وعلق رؤوسهم على باب زويلة "(٢). واستطاع الملك المظفر قطز أن يجمع كلمة آمراء المماليك ، وأن يلم شتتهم ثم خرج على رأس جيوشه لملاقاة التتار واشتبك معهم "فأوقع بجمع هولاكو على عين جالوت فى يوم الجمعة خامس عشرى [ أى خمس وعشرين من رمضان] سنة ثمان وخمسين وستمائة ، وقتل منهم وأسر كثيرا بعدما ملكوا بغداد وقتلوا الخليفة المستعصم بالله وأزالوا دولة بنى العباس وخربوا بغداد ... فكانت هذه الوقعة أول هزيمة عرفت للتتر منذ قاموا ، ودخل المظفر قطز الى دمشق . وعاد منها يريد مصر ، فقتله الامير ركن الدين بيبرس البندقدارى"(٣). قريبا من المنزلة الصالحية فى يوم السبت نصف ذى القعدة من سنة ثمان وخمسين وستمائة . ويصف السيوطى فى كتابه " تاريخ الخلفاء " هزيمة التتار من قبل المسلمين فيقول : " فهزم التتار شر هزيمة ، وانتصر المسلمون ولله الحمد ، وقتل من التتار مقتلة عظيمة ، وولوا الأدبار ، وطمع الناس فيهم يتخلفونهم وينهبونهم"(٤).

---

(١) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة " مرجع سابق " ،ج ٧ ، ص ٧٢-٧٣ .

(٢) المقريزى ، السلوك " مرجع سابق "ج ١ القسم الثانى ،ص ٤٢٩.

(٣) المقريزى ، الخطط والآثار " مرجع سابق " ، ج ٢ ،ص ٢٣٨ .

(٤) جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ، تاريخ الخلفاء ، ط ١ تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ( مصر : مطبعة السعادة ، ١٩٥٢ ) ، ص ٤٧٥ .

ولقد استمرت هزائم التتار من قبل المسلمين فقد " هزمهم الملك الظاهر بيبرس بعد انهزامهم فى عين جالوت مرات عديدة وآخرجهم من أرض الشام وطردهم منها "(١).

ومما لاشك فيه أن انتصار المماليك بقيادة الملك المظفر قطز على التتار فى عين جالوت له أهمية اذ أن " التتار لم يهزموا من قبل ،وصاروا يلتمسون الصلح وتحسين العلاقات بينهم وبين المماليك ، كما عجلت هذه الواقعة أيضا بزوال الامارات الصليبية فى الشام ، كما دفعت التتار الى اعتناق الاسلام "(٢) .

وآخيرا فمحصلة القول أن الاحداث السياسية التى عاشها الامام النووى فى عصر سلاطين المماليك كانت أحداثا جساما فقد كانت البلاد تعيش فى فوضى سياسية متناهية ، الأمر الذى آدى الى كثرة الاضطرابات وعدم الاستقرار ، وكثرة الانقلابات والفتن والثورات الداخلية المستمرة بين المماليك أنفسهم ، مما آدى الى عدم بقاء أحد من السلاطين فترة طويلة فى الحكم ، وكذلك الحروب الطاحنة بين المسلمين وأعدائهم من تتر وصليبيين ، والتى لم تخل لفترة من فترات حكمهم .

---

(١) الندوى ، رجال الفكر " مرجع سابق " ، ص ٣٠٥ .

(٢) السيد الباز العرينى ، المماليك ( بيروت : دار النهضة العربية ، ١٩٧٩ ) ، ص ٤٩ .

فلا غرابة اذا من تأثرا الامام النووى بتلك الاحوال السياسية السيئة تأثيرا مباشرا ، فنجده قد زهد فى الدنيا ولم يكن لها فى قلبه مكان ، بل كان يتمنع بشدة عن قبول المناصب التى تعرض عليه من قبل سلاطين المماليك ونراه غير مرة ينكر عليهم ويواجههم بكلمة الحق دون أن يخشى فى الله لومة لائم . ويقول السيوطى فى ذلك " ظلم [ أى السلطان الظاهر بيبرس ] أهل الشام غير مرة . وأفتاه جماعة بموافقة هواه ، فقام النووى فى وجهه ، وأنكر عليه ، وقال : أفتوك بالباطل ! "(١). وكان الملك الظاهر بيبرس ظالما لرعيته يأخذ الاموال منهم بدون وجه حق ، وكثيرا ما يقف منه الامام النووى موقف الناصح الواعظ له بالموعظة الحسنة أوبالكتابة اليه فى حالة تعذر مقابلته . ومثال ذلك قضية الغوطة بالشام ، فكان يقسم بالله على عدم ترك الظلم على الرعية من قبل السلطان وعدم ترك النصيحة للدين والسلطان كذلك فيقول : " والله الذى لا اله الا هو لا أترك شيئا أقدر عليه من السعى فى مناصحة الدين والسلطان ، والمسلمين فى هذه القضية وان رغمت أنوف الكارهين ، وان كره ذلك أعداء المسلمين "(٢). بل وصل به الامر الى " ترك جميع الجهات الدنيوية فلم يكن يتناول من جهة من الجهات درهما "(٣). وهذا بلاشك نتيجة لحالة مجتمعه السيئة التى

---

(١) السيوطى ، حسن المحاضرة " مرجع سابق " ، ج ٢ ، ص ١٠٥ .

(٢) محمد بن عبد الرحمن السخاوى ، ترجمة النووى ، تصحيح وعناية محمود حسن ربيع ، ط ١ ( مصر : مطبعة جمعية النشر والتأليف بالازهر ، ١٣٥٤) ، ص ٥٣ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٣٧ .

فشت فيه المظالم للرعية من قبل الحكام ، مما آدى الى نفور الامام النووى من سلاطين المماليك وبعده عن جميع مناصب الدولة ٠

ونجد أن السلبيات قد طغت على الايجابيات فيما سبق ، مما أصبح له بالغ الأثر فى تردى الاحوال السياسية فى البلاد ، الأمر الذى آدى الى أن يدعو الامام النووى للاصلاح السياسى والاجتماعى فى عصره ، ورفع الظلم عن الرعية والرفق بهم ، والتزام النصيحة الدائمة للسلطان والرعية ،والى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بلسانه وقلمه ، وليس هذا فحسب بل تعدى ذلك الى ركود فى الانتاج العلمى ، وفقدان لروح الابتكار والتجديد ، والسيادة للتقليد ، والتعصب الشديد لكل مذهب من المذاهب الأربعة ، فالامام النووى لم يقف من ذلك الوضع السيء علميا موقف المتفرج بل مارس العمل التربوى بنفسه ، وشارك فى الحياة العلمية بتراثه العلمى ،وبمؤلفاته القيّمة فى شتى العلوم والمعارف ، التى أصبحت مفخرة زمانه ،ومشعل ضياء للاجيال اللاحقة ٠

ونوجز القول بما قاله تلميذه ابن العطار ، ونقله الذهبى عن شيخه ابن فرح ، قال : " كان الشيخ محي الدين قد صار اليه ثلاث مراتب كل مرتبة منها لو كانت لشخص شدت اليه آباط الابل من أقطار الارض :

المرتبة الأولى : العلم والقيام بوظائفه ٠

المرتبة الثانية : الزهد فى الدنيا ٠

المرتبة الثالثة : الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر "(١).

---

(١) ابو عبد الله شمس الدين محمد الذهبى ، تذكرة الحفاظ ( مصر : دار احياء التراث العربى ، ١٣٧٤ هـ ) ج ٤ ، ص ١٤٧٣ ٠

وبالتالى يبدو لأى باحث منصف أن عصر دولة المماليك ليس عصرا عاديا ، وانما هو عصر حركة دائمة ، ونشاط دائب . فى الخارج حروب وتوسع وانتصارات ترتب عليها تأمين الوطن الاسلامى فى الشرق الادنى ، وفى الداخل حياة صاخبة حافلة بالتيارات السياسية والاقتصادية والدينية والعملية والاجتماعية .(١)

## ٢ - الحياة الاقتصادية فى عصر الامام النووى

بعد ان تعرفنا على الحياة السياسية للبلاد فى عصر الامام النووى وما كانت تتسم به من الفوضى والاضطراب والخوف والرعب والكيد ، سوف يشير الباحث الى الحياة الاقتصادية فى عصر سلاطين المماليك وربط ذلك بالفكر التربوى فى المجتمع .

ونجد ان الحياة الاقتصادية فى عصر سلاطين المماليك ازدهرت ازدهارا عظيما . ذلك لعناية السلاطين بالزراعة لكونها عماد الثروة القومية، مما أدى الى اهتمامهم بانشاء الجسور وشق الترع لتوفير مياه الرى للاراضى التى يتعذر وصول الماء اليها .(٢) فعلى ذلك ازدادت المحاصيل الزراعية فى مصر نظرا لعناية سلاطين المماليك بمرافق الزراعة فيها .(٣)

وكما وجه سلاطين المماليك عنايتهم بالصناعة ايضا ، فقد ارتقت رقيا كبيرا حتى اصبحت مصنوعات عصر المماليك تكون فى مجموعها انتاجا فنيا رائعا تزدان به متاحف العالم اليوم . وكما انتشرت فى ذلك العصر مايسمى بصناعة تطعيم البرونز والنحاس بالذهب والفضه ،(٤) وشغف المعاصرون بالنحاس المطعم بحيث " لاتكاد دار تخلو بالقاهرة ومصر من عدة قطع نحاس مكفت "(٥)

---

(١) على سالم النباهين . نظام التربية الاسلامية فى عصردولة المماليك فى مصر " مرجع سابق " ، ص ١٢٢ .

(٢) سعيد عاشور ، مصر الشام فى عصر الايوبين والمماليك " مرجع سابق" ص ٢٦٥ .

(٣) ـــــــــــ ، العصر المماليكى فى مصر والشام" مرجع سابق " ص ٢٧٥ .

(٤) المقريزى ، الخطط والاثار " مرجع سابق " ج٢ ص ٤٧٨ .

(٥) المرجع السابق ، ج ٢ ص ١٠٥ طبعة بولان .

على انه مهما يكن للزراعة والصناعة من أهمية فى عصر المماليك ، فان جميع الشواهد تدل على ان التجارة كان لها المقام الاول فى النشاط الاقتصادى فى ذلك العصر وانها كانت المصدر الاول للثروة الهائلة والتى عبرت عن نفسها فى أعمال المماليك وحياتهم وما تركوه من آثار ومنشآت فخمة .

ويرجع السبب فى النشاط التجارى المتميز فى عصر المماليك الى انسداد معظم طرق التجارة العالمية بين الشرق والغرب منذ القرن الثالث عشر، وبسبب حركة المغول التوسعية . وبذلك لم يبق آمنا من الطرق الا طريق البحر الاحمر ومصر . مما جعل مصر فى دولة المماليك تقوم بدور الوسيط بين الشرق والغرب . (١)

أما من حيث التجارة الداخلية فقد اشتهرت مدن مصر الكبرى باسواقها الحافلة بالبضائع . ووجود الرقابة عليها من قبل المحتسبين لمنع التلاعب فى الاسعار او الاوزان او اصناف البضاعة او الغش وما الى ذلك (٢)

ولقد تمتعت مصر بمركز اقتصادى مرموق فى عصر سلاطين المماليك ، اذ اشتهرت بثرواتها الطائله نظرا لازدهار التجارة الداخلية والخارجية . والانتعاش الذى شمل جميع مرافق الحياة من زراعة وصناعة وتجارة فقصدها كثيرمن أهالى البلاد الاسلامية فى المشرق والمغرب . (٣)

ورغم الازدهار الاقتصادى الذى ساد هذه المرحلة فى عصر سلاطين المماليك الا انه كانت تتخلل هذه الفترة بين الحين والحين نوبات من القحط

---

(١) سعيد عاشور ، مصر والشام " مرجع سابق " ص ٢٦٨

(٢) القريزى ، الخطط والاثار " مرجع سابق ، ج٢ ، ص ٩٢

(٣) على سالم النباهين ، نظام التربية الاسلامية فى عصر دولة المماليك فى مصر " مرجع سابق " ص ١٢٩

والمجاعة والغلاء والوباء وكما حدث فى سنة ٦٦٢ هـ ببلاد الشام فى عهد الملك الظاهر بيبرس ، وقد كان الامام النووى معاصرا لها . فقد غلت الاسعار وقلت الغلات وأصبح الناس بالشام فى ضيق عيش ، وضعف حال بسبب قلة الامطار . (١) وبسبب كثرة حدوث انخفاض النيل ابان الحكم المملوكى والذى كان له اكبر الاثر فى تعطيل الزراعة وهلاك كثير من السكان والدواب . (٢) وهناك سبب آخر فى غاية الاهمية هو التبذير والاسراف الفاحش على القصور والحفلات والمآكل والمشارب وتسلط الامراء وأرباب الدولة على الاموال العامة .

وكانت تحدث حالات عدم استقرار الحياة الاقتصادية فى عصر المماليك بسبب تلاعب السلاطين بالعملة ، أو نتيجة حدوث الفتن والمنازعات المستمرة بين طوائف المماليك . (٣)

ومن جهة أخرى كان من نتيجة ذلك الانتعاش الاقتصادى أن رصد سلاطين المماليك وامراؤهم واعيانهم الاموال الوفيره لانشاء الاربطة والسبل والمدارس والمساجد ، واوقفوا عليها الدور والاراضى والاموال ، فنتج عن ذلك نهضة تعليمية تربوية كانت من مفاخر ذلك العصر . (٤)

---

(١) السيوطى ، المنهاج السوى فى ترجمة الامام النووى ، ص ١٣
(٢) العرينى ، المماليك " مرجع سابق " ، ص ١٧٤ .
(٣) المقريزى ، السلوك " مرجع سابق ج٣،ص ٨٢، ج ٢ ص ١٧
(٤) محمود رزق سليم ، عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمى والادبى ( مكتبة الاداب بالجماميز ، ١٣٦٦ - المجلد الثانى ، ص ٢٦٣ .

وحيث ان ذلك الرخاء الاقتصادى فى عصر سلاطين المماليك فى معظم فتراته ، والثراء الفاحش للامراء والسلاطين وغيرهم ، آغرى الكثير منهم بالمبالغة فى الانفاق على المنشآت التعليمية بسخاء وتسابق جنونى فى الابهه المظهرية بين المنشئين ، بالاضافة الى فقدان الرقابة الادارية التعليمية المسئولة التى كان يمكن آن تنسق وترتب صرف الاموال فى وجهها الصحيح . (١)

## ٣ - الحياة الاجتماعية فى عصر الامام النووى

لقد رآينا كيف كانت تعيش البلاد المملوكية من الناحية السياسية ونريد هنا آن نتعرف على الحالة الاجتماعية للبلاد فى عصر الامام النووى رحمه الله . ولانستطيع آن نفهم آراء الامام النووى وآفكاره دون آن نلم الماحة سريعة بظروف الحياة الاجتماعية التى عاشها ، وذلك للعلاقة القائمة بين الانسان وبيئته ، وتآثير كل منهما فى الاخر ، لآن آفكار الانسان وآراءه ومشاعره تؤثر فيها النظم والتقاليد والعادات والآراء السائدة فى مجتمعه (٢) .

يقول اثنان من علماء الاجتماع : " اننا حينما نقدم على دراسة المجتمع لانحاول آن ندرس لكل مايحدث فى " المجتمع " آو كل ماينتج عن الاحوال الاجتماعية ، لآن هذا الكل يشمل مظاهر النشاط الانسانى ولاسبيل لمعرفتها الا بالعلوم الانسانية جميعا"(٣). ولذا يتعذر على الباحث

---

(١) على سالم النباهين ، نظام التربية الاسلاميه فى عصر دوله المماليك " مرجع سابق " ص ٤١٧ .

(٢) حسن عبدالعال ، فن التعليم عند بدر الدين ابن جماعة " مرجع سابق " ، ص ٢٥ .

(٣) ر.م ماكيفر وشارلر هـ ، بدج ، المجتمع ، ترجمة على احمد عيسى ، ط ٢ ( مصر : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦١ ) ص ٤ - ٥

" أن يلم بجميع أطراف الحياة الاجتماعية ، لأن أفق الحياة الاجتماعية نفسه غير محدود حتى يمكن الالمام بجميع أطرافه "(١) . ولقد كان المجتمع فى عصر المماليك متميزا بتفاوت طبقاته لان البنية الاجتماعية فى ذلك العصر تتكون من أجناس وطبقات شتى ، ليسوا جميعا من جنس واحد ، ولا يربطهم مذهب واحد ، الا أنهم يجمعهم دين واحد وشريعة واحدة واخلاق واحدة.وقد انقسم المجتمع الى طبقات يتلو بعضها بعضا فى المراتب الاجتماعية . فالصورة العامة لذلك المجتمع تتألف من طبقات اجتماعية أهمها :

١ - طبقات المجتمع :

أولا : طبقة المماليك :

جاء المماليك الى مصر من مختلف البلاد ، ومن أجناس مختلفة وأولها جنس الترك ، وقد جلبوا على يد تجار الرقيق الذين بذل لهم السلاطين والأمراء أموالا طائلة فى سبيل اقتناء عدد كبير منهم بسبب " الفوضى التى عمت العلاقات بين حكام المسلمين فى مصر والشام "(٢) وحرص كل حاكم أو ملك على تكوين " عصبية لنفسه يعتمد عليها فى الاحتفاظ بأمارته ، أو فى صد عدوان جيرانه ، ولم يجد أمراء المسلمين فى ذلك العصر وسيلة لتحقيق هدفهم الا عن طريق الاكثار من شراء المماليك ، فاشتروا منهم أعدادا كبيرة ، وعنوا بتدريبهم وتنشئتهم ليكونوا عدة وسندا "(٣).

---

(١) سعيد عبد الفتاح عاشور، المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك ، ط ١ ( القاهرة : دار النهضة العربية، ١٩٦٢) ، ص ٢ .

(٢) سعيد عاشور ، مصر والشام فى عصر الايوبيين والمماليك " مرجع سابق " ، ص ١٥١ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٥٢ .

ولقد شهدت السنوات الأخيرة من القرن السادس الهجرى والنصف الاول من القرن السابع الهجرى ازدياد نفوذ المماليك فى مختلف الأمارات والدول الاسلامية فى الشرق الادنى ومنها مصر والشام [(١)].

ومن المعروف أن المماليك عاشوا طبقة منفصلة عن سائر السكان فى مصر والشام فلم يتزوجوا من أهل البلاد، بل اختاروا زوجاتهم وجواريهم من بنات جنسهم اللائى جلبهن التجار [(٢)] . ولا شك أن هذه العزلة التى عاشها المماليك مع أنفسهم أوجدت فجوة واسعة بين الحكام والمحكومين ، مما ترك آثرا واضحا فى المجتمع المعاصر ، ذلك أن أهل البلاد فى مصر والشام ظلوا طوال عصر المماليك لايعنيهم شيء من أمر الاحداث الكبرى الداخلية والخارجية التى أحاطت بمجتمعهم ولم يحسب المماليك حسابا لأحد من سكان البلاد سوى فئة المعممين الذين أعطوهم حقهم من التقدير ، رغم أن المماليك كانوا - أحيانا - يتنكرون لهم ولا يتورعون عن اهانتهم [(٣)].

ولقد عاشت طبقة المماليك فى ترف ورفاهية ، وثروة عظيمة ، بسبب الاقطاعات الكبيرة التى امتلكوها . وتبدو مظاهر الترف والبذخ أوضح ماتكون فيما خصصه المماليك للانفاق على قصورهم [(٤)].

---

(١) سعيد عاشور، مصر والشام فى عصر الايوبيين والمماليك " مرجع سابق " ص ١٥٢ .

(٢) على النباهين ، نظام التربية الاسلامية " مرجع سابق "، ص ١٣٤.

(٣) على بن داود الصيرفى ، نزهة النفوس والابدان فى تواريخ الزمان ، تحقيق حسن حبشى ( القاهرة : مطبعة دار الكتب - مركز تحقيق التراث ، ١٩٧٣ )، ج ٢ ، ص ٢٦ ، ٢٨ .

(٤) حسن ابراهيم عبد العال ، فن التعليم عند ابن جماعة " مرجع سابق " ، ص ٢٦ .

## ثانيا : طبقة المعممين : ( المثقفين)

تتكون هذه الطبقة من أرباب الوظائف الديوانية والفقهاء والعلماء والادباء والكتاب ، وقد امتاز المعممون ولاسيما جماعة العلماء الذى ينتمى اليهم الامام النووى بميزات طوال عصر المماليك منها نفوذهم لدى الدولة ، واحترام السلاطين واجلالهم ، وقد علل بعض زعماء المماليك احترامهم للعلماء بأن ذلك يعود " لانهم عرفوا بهم دين الاسلام ، وفى بركتهم يعيشون "(١) . وكذلك يمكن أن نلمس نفوذ العلماء عند عامة الشعب لما يتمتعون به من مكانة وتقدير واحترام .

ولقد عاش بعض هؤلاء المعممين فى سعة وبسطة فى الحياة نتيجة لما أغدقته الدولة عليهم من رواتب ، وبما استأثر به المعممون من الوظائف الدينية والسياسية العليا مثل مناصب قضاة القضاء على المذاهب الأربعة ، والحسبة والوزارة وغيرها(٢). ومما يدل أيضا على اجلال هذه الفئة وتوقيرها فى ذلك العصر مايرويه المقريزى من أن السلطان الظاهر بيبرس " ركب لزيارة الشيخ محمد بن منصور بن أبى يحي أبى القاسم القبارى ، فلم يمكنه من الطلوع اليه ، ولم يكلمه الا وهو فى البستان والشيخ فى عليته(*) ثم مضى لزيارة الشاطبى "(٣). وما رواه السيوطى من ان الشيخ

---

(١) سعيد عبد الفتاح عاشور، المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك " مرجع سابق " ، ص ٢٩ .

(٢) المرجع السابق،ص ٢٨ - ٢٩ . * العلية : الغرفة فى الطبقة الثانية من الدار ومافوقها . المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ص ٦٢٥ .

(٣) المقريزى ، السلوك " مرجع سابق " ج ١ القسم الثانى ، ص ٤٩٩ .

تقى الدين بن دقيق العيد قد حضر مرة عند السلطان لاجين ، فقام اليه السلطان وقبل يده ، فلم يزد على قوله " أرجوها لك بين يدى الله "(١) . على أن هذه المكانة التى وصل اليها العلماء والمعممون فى عصر المماليك ، لم تمنع بعض السلاطين والأمراء من التعرض لهم بالنقد والتهكم ، ولم يرض المماليك أن تشاركهم فئة من السكان فى ركوب الخيل ، فاشترطوا على السلاطين حرمان المتعممين من ركوبها ، وكثيرا ما انسابت جموع المماليك العامة فى شوارع القاهرة للاعتداء على الفقهاء والمتعممين وانزالهم عن خيولهم وسلبهم اياها(٢).

## ثالثا ـ طبقة التجار من أهل اليسار :

كانت طبقة التجار مقربة أحيانا من السلاطين ، وتمتع هذه الطبقة باحترام ومكانة بارزة فى مختلف البلاد والمدن فى عصر سلاطين المماليك ، وذلك لما يتمتعون به من يسر ورخاء ، وكذلك لحاجة السلاطين اليهم ، فى أوقات الأزمات والشدائد . فهم كانوا الممولين الرئيسيين للدولة ، وبالتالى فقد أصبحت ثروتهم دائما مطمعا لسلاطين المماليك ، فغالوا فى فرض الرسوم الباهظة عليهم ، كما أكثروا من مصادرة أموالهم ، لذلك لم يطمئن التجار فى عصر المماليك على أموالهم وتجارتهم (٣).

## رابعا ـ طبقة الصناع وأرباب الحرف والفلاحين :

أما الصناع وأرباب الحرف فقد امتلأت بهم المدن الكبيرة . وكان أهل الحرفة الواحدة يكونون نقابة لها نظام ثابت ، يحدد عددهم ومعاملتهم

(١) السيوطى ، حسن المحاضرة " مرجع سابق " ج ٢ ، ص ١٦٨ - ١٦٩ .
(٢) سعيد عاشور ، العصر المماليكى فى مصر والشام " مرجع سابق " ، ص ٣٢٤ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٣٢٤ .

فيما بينهم ومع الجمهور ، كما يكون لهم رئيس أو شيخ يرأسهم يرجعون اليه فى كل مايهمهم كما هو عليه الان فى العصر الحاضر (١).

وأما الفلاحون - وهم السواد الأعظم من أهل البلاد المملوكية - فلم يكن نصيبهم فى عصر سلاطين المماليك سوى الاحتقار والاهمال ، حتى أصبح لفظ " فلاح " فى ذلك العصر مرادفا للشخص الضعيف المغلوب على أمره. أضف الى وصف الفلاح بالجهل والتأخر وخشونة الطبع وقذارة المظهر ،وزاد من حال الفلاحين سوءا كثرة المغارم والمظالم التى حلت بهم من الولاه والحكام ، كذلك لم يسلم الفلاحون من أذى العربان وبطشهم ، فضلا عما يفرضه السلاطين عليهم من إتاوات (٢)، ولم يقف الامر عند هذا الحد بل ان الاحتقار قد لاحقهم حتى ولو ارتقوا فى سلم الوظائف (٣) .

وهناك طائفة من المجتمع وهم أهل الذمة ( اليهود والنصارى )وهذه الطائفة تمثل أقلية من السكان آنذاك ، وقد احتفظوا بنظمهم الخاصة فى الحياة ، كما احتفظ النصارى بكنائسهم فى القاهرة وغيرها(٤)، كما احتفظ اليهود كذلك بمعابدهم ، وحافظوا على عوائدهم ونظمهم الموروثة(٥)

---

(١) سعيد عاشور، المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك " مرجع سابق " ، ص ٣٦ .

(٢) سعيد عاشور ، العصر المماليكى فى مصر والشام " مرجع سابق" ، ص ٣٢٥ .

(٣) ________ ، المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك " مرجع سابق " ، ص ٤٨ - ٤٩ .

(٤) المقريزى ، الخطط والآثار " مرجع سابق" ، ج ٣ ، ص ٥٦٨ .

(٥) المرجع السابق، ج ٣ ، ص ٤٨٥ .

ولقد تمتعوا بعطف السلاطين ، ولم يتعرض أهل الذمة للهوان الا فى أوقات الشدة والاضطرابات والفتن ، وفيما عدا ذلك فلقد تمتعوا بكل مايتمتع به المسلمون من حقوق وامتيازات* (١) . تلك كانت أهم فئات المجتمع فى مصر والشام وطبقاته فى عصر المماليك .

ورغم ما امتاز به هذا العصر من حرص على اقامة المساجد وبناء المدارس والخوانق والربط والزوايا . واظهار التقوى فى كل مظاهر السلوك الرسمى . الا أن الامراض الاجتماعية كانت تسرى فى كيان المجتمع وقتئذ ، حيث انتشر البغاء ، وحصلت الدولة على ضرائب من البغايا ، وعم بين الناس شرب الخمر ، وظهر بينهم المنكر واستشرى الفساد . وحاول السلطان الظاهر بيبرس أن يحد من خطورة هذه الامراض فيما يرويه المقريزى بقوله :

> " وكتب السلطان بازالة الخمور وابطال الفساد والخواطىء من القاهرة ومصر .. فظهرت كلها من المنكر ونهبت الحانات التى جرت أهل الفساد على الاقامة بها ، وسلبت جميع أموال المفسدات ، وحبسن حتى يتزوجن ، ونفى كثير من المفسدين ، وكتب السلطان الى جميع البلاد بمثل ذلك ، وحط المقرر ( الضريبة أو الرسوم ) على هذه الجهة من المال ، وعوض المقطعين جهات حلالا " (٢) .

ولم يقتصر الامر عند هذا الحد بل ان السلطان الظاهر بيبرس سار على نفس النهج فيما يتعلق بالنظم الحربية وانزال العقوبات الصارمة لمن يرتكب جرائم . فمن وصاياه لولى الحرب مكافحة الخمر والحشيش وتفقد أرباب

---

(١) محمد بن محمد القرش المعروف بابن الاخوه ، معالم القربة فى أحكام الحسبة ، تحقيق محمد محمود شعبان ، صديق أحمد عيسى المطيعى ( مصر : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٦ ، ص ٩٦ .

* هذا حالهم عند المسلمين اما الآن فالمسلمون يتعرضون فى كل مكان من بلاد غير المسلمين الى الاضطهاد والتنكر وليس لهم ذنب الا التعصب الدينى من غيرهم .

(٢) المقريزى ، السلوك " مرجع سابق " ، ص ٥٧٨ .

النحل واقامة حكم السياسة [1]. ولقد وصف المؤرخ ابن كثير السلطان الظاهر بيبرس بقوله : " قد أبطل الخمور ونفى الفساق من البلاد ، وكان لايرى شيئا من الفساد والمفاسد الا سعى فى ازالته بجهده وطاقته [2]. ولقد آثنى السيوطى كذلك على السلطان الظاهر بيبرس بقوله : " وآمر فى أيامه باراقة الخمور ، وابطال المفسدات والخواطئ ، واسقاط المكوس المرتبة عليها ، فأحسن فى ذلك كل الاحسان [3] " .

ولقد رأى الامام النووى فى عصره المظالم وقد شاعت ، والمساواة وقد انتهكت ، ورأى كذلك الضرائب والاتاوات التى أرهقت غالبية السكان ، وصاحب ذلك انتشار المفاسد الاخلاقية مثل الزنا ، والخمور ، والرشوة وغيرها ، وكذلك ظهور المعتقدات الباطلة مثل الاعتقاد فى قدرة المشايخ والأولياء والسحر ، والتنجيم ، ومظاهر اللهو ، وكانت فى الشام فى تلك الايام - أيام الامام النووى - كما يروى المؤرخون ، منكرات معلنة ، ومعاصى ظاهرة ، ولايقدر على ازالتها الا السلطان [4] .

لكن السلطان الظاهر بيبرس لم يتفرغ للاصلاح الدينى والخلقى فى الداخل ، كما تفرغ ووفق للظفر العسكرى والسياسى فى الخارج [5]. ولقد

(١) العمرى ، أحمد ابن فضل الله ، التعريف بالمصطلح الشريف ، القاهرة ، بدون ، ١٣١٢) ، ص ١٠٢ .
(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية " مرجع سابق " ، ج ١٣ ، ص ٢٧٦ .
(٣) السيوطى : حسن المحاضرة " مرجع سابق " ، ج ٢ ، ص ٩٦ .
(٤) على الطنطاوى ، الامام النووى ، " مرجع سابق " ، ص ٥٣ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٥٤ .

أثنى الامام النووى على السلطان الظاهر بيبرس فى احدى رسائله اليه بقوله : " آمرا بالمعروف ، ناهيا عن المنكرات ، مبطلا للحوادث ، مظهرا للمحاسن والخيرات بما فعله من ازالة هذا المنكر العظيم "(١). ولبيان مايتحلى به السلطان من صفات طيبة أنه لما وصلته رسالة الامام النووى المشار اليها آنفا أمر محتسب البلد باغلاق الحانات ، واراقة الخمور ، ومنع المنكرات وقمع أهلها (٢).

أما من الناحية العقائدية فقد كانت معتقدات بعض المسلمين وعقولهم فريسة التشويه والانحراف اللذين أفسدا العقيدة الاسلامية فى نفوس عامة الناس ، وحل محلها كثير من الخرافات المتعلقة بتقديس أضرحة الأولياء والمزارات المختلفة ، وصاحب ذلك كثير من الممارسات والبدع السيئة (٣).

أما عن شؤون القضاء والعدالة ، فقد أولاها سلاطين المماليك جانبا كبيرا من اهتمامهم وعنايتهم . ذلك أن أهم تطور حدث فى النظام القضائى فى عصر المماليك هو ماقام به السلطان الظاهر بيبرس سنة ٦٦٥ هـ (١٢٦٥ م ) من تعيين أربعة من قضاة القضاه يمثلون المذاهب الاربعة ، بعد أن كان الوضع منذ أيام صلاح الدين الايوبى قاصرا على منصب واحد هو قاضى قضاه المذهب الشافعى فقط دون غيره من المذاهب الأخرى كالحنفى ، والمالكى والحنبلى (٤).

---

(١) السخاوى ، ترجمة النووى " مرجع سابق " ، ص ٤٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٩ .

(٣) ماجد الكيلانى ، الفكر التربوى لابن تيمية " مرجع سابق" ص ٦٥ .

(٤) المقريزى ، السلوك " مرجع سابق" ج ١ القسم الثانى ، ص ٥٣٨ - ٥٤٠ .

ونجد كذلك أن التصوف كان عظيم الأهمية فى مصر زمن الأيوبيين والمماليك ، حيث كان من أشهر المتصوفة المتقدمين ذو النون المصرى ، وابن الفارض الذى يعتبر من أعظم شعراء المتصوفة [١]. وكذلك انتشرت الطرق الصوفية المنحرفة التى اعتادت الاقامة فى زوايا خاصة ، تقام فيها حلقات الذكر طبقا لأشكال معينة من الرقص واللعب ، وخلال هذه الحلقات كان الكثير من الدراويش يقضمون قطع الزجاج ، ويخطون فى النار ، ويلعبون بالحيّات ، ويغرسون السكاكين فى أجسامهم [٢]. كما يفعل بعضهم اليوم .

ومن المعروف أن التصوف ليس مجرد ظاهرة دينية فحسب ، بل كان أيضا ظاهرة اجتماعية خطيرة . حيث توافد على مصر فى العصرين الايوبى والمملوكى كثير من زعماء المتصوفة ومشايخهم - وبخاصة من المغرب - الذين أشاعوا بمصر حياة الزهد والتقشف مما ترك آثرا خطيرا فى المجتمع المصرى [٣]. فالمتصوفة طائفة مسرفة فى الدين ، وهم متفاوتون فى مقالاتهم عن العبادة [٤].

تلك كانت بعض ملامح الحياة الاجتماعية ، ومظاهر البيئة التى عاش فيها الامام النووى .

---

(١) السيد الباز العرينى ، الايوبيون ( بيروت : دار النهضة العربية ، ١٩٦٧ ) ، ص ٢١٧.

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية " مرجع سابق " ، ج ١٤ ، ص ٣٦ .

(٣) سعيد عاشور ، مصر والشام فى عصر الايوبيين والمماليك " مرجع سابق " ، ص ١١٧ .

(٤) احمد فؤاد الاهوانى ، التربية فى الاسلام (مصر: دار المعارف ، د.ت) ، ص ٩١.

## الحياة الفكرية فى عصر الامام النووى

يعتبر هذا العصر - القرن السابع الهجرى - " من أزهر العصور ، فقد حفل بالكثير من العلماء المتمكنين الذين تركوا من المؤلفات النافع المفيد[1] " ولذلك اهتم سلاطين المماليك ببناء المدارس وانشاء دور العلم ، ونشطت بذلك حركة التعليم وازداد عدد الطلاب وكثر المدرسون ، غير أن الملاحظ أن كثرة افتتاح المدارس فى هذا العصر لم يكن ضمن سياسة تعليمية ثابتة مدروسة ، وانما كان أمرا مرتجلا يخضع لرغبة السلاطين وغيرهم ، يدفع اليه أحيانا القربى الى الله سبحانه والزلفى اليه ، وأحيانا الرغبة فى الابقاء على بعض الممتلكات التى يوقفها الأمير أو الثرى على المدرسة أو المسجد فلا تصادر بعد موته[2]. ونجد أن الامام النووى قد أشار الى سبب اختياره المدرسة الرواحية لحلها ، اذ هى من بناء بعض التجار ، المتصفين بالعدالة فى دمشق ، كما قال عنه اليافعى[3].

وقد تنافس سلاطين المماليك وأمراؤهم فى بناء دور العلم ، وتشجيع العلم والعلماء لتوفر الوقت والمال لديهم . ولم يكن لهم باع واسع فى المشاركة الفعلية فى الحركة العلمية ، كما فعل بنو أيوب[4]. وربما

---

(١) عبد الغنى الدقر، الامام النووى " مرجع سابق " ، ص ١٢ .

(٢) حسن ابراهيم عبد العال ، فن التعليم عند بدر الدين بن جماعة " مرجع سابق " ، ص ٤٨ .

(٣) السخاوى : ترجمة النووى " مرجع سابق " ص ٥ ؛ مرآة الجنان ١٨٣/٤ .

(٤) عبد اللطيف حمزة ، الحركة الفكرية فى مصر فى العصرين الايوبى والمملوكى الاول ، ط ٨ ( القاهرة : دار الفكر العربى ، ١٩٦٨) ، ص ١٤٩ - ١٥٤ .

يجد الباحث العذر لسلاطين المماليك فى عدم قدرتهم على تلك المشاركة العلمية وذلك بسبب انشغالهم بالحروب المتتالية التى لم تخل منها فترة من فترات حكمهم من ناحية ، وبحكم نشأتهم أرقاء ، ثم تعليمهم العسكرى واختلاف لغاتهم من ناحية آخرى • ورغم ذلك فقد كان منهم من يتقرب الى العلماء ، ويحضر مجالسهم العلمية.(١) من ذلك مانسمعه عن ولع بعض السلاطين مثل الظاهر بيبرس بسماع التاريخ(٢). وقد وجد منهم من اشتغل بالتاريخ والفقه والحديث واللغة العربية ، بل تصدى منهم لاقراء الطلبة والتدريس لهم(٣).

ونجد أن الحركة العلمية فى مصر قد ازدهرت ازدهارا واسعا فى عصر سلاطين المماليك ، اذ أصبحت محور نشاط علمى متعدد الأطراف • ويرجع ذلك الى ما أصاب أنحاء العالم الاسلامى من نكبات وتدمير • ففى العراق غزا المغول بغداد التى كانت محورا للعلم والعلماء ، وكذلك ما أصاب الاندلس على آيدى الصليبيين فضلا عما آصاب الشام من أضرار على آيدى الصليبيين والمغول معا • وفى وسط تلك الغمة التى ألمت بالامة الاسلامية منذ القرن السابع الهجرى ( الثالث عشر للميلاد ) لم يجد علماء المشرق والمغرب بلدا عربيا آمنا تطيب فيه الحياة سوى مصر التى غدت مركزا

---

(١) على سالم النباهين ، نظام التربية الاسلامية فى عصر دولة المماليك " مرجع سابق " ، ص ١٤٧ •

(٢) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة " مرجع سابق " ، ج ٧ ، ص ١٨٢ •

(٣) سعيد عاشور ، المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك " مرجع سابق " ، ص ١٤٢ •

للخلافة العباسية بعد احيائها على يد الملك الظاهر بيبرس كما سبق ذكره وصارت مصر " محل سكن العلماء ، ومحط رحال الفضلاء[(١)] " .

وخير مايدل على ازدهار الحركة العلمية فى عصر المماليك ، هو عظم الثروة العلمية التى وصلتنا من ذلك العصر بالذات . ومازالت دور الكتب فى جميع أنحاء العالم مشحونة بمئات المخطوطات التى ترجع الى عصر سلاطين المماليك بمصر[(٢)] . ويضاف الى ذلك عنايتهم بانشاء المؤسسات التعليمية من مدارس ومكاتب ومساجد وخوانق وربط وزوايا[(٣)] .

وبالنظر الى المدارس فانها كانت بمثابة معاهد التعليم العالى . وهى مؤسسات آشبه بالجامعات اليوم - يخصص لكل مدرسة منها المدرسون وتلحق بها خزانة كتب كبيرة ، يؤمها الطلاب لتحصيل العلم والمعرفة[(٤)] .

وقد حرص سلاطين المماليك على محاكاة سلاطين الأيوبيين فى انشاء عدد كبير من المدارس مثل المدرسة الظاهرية التى أنشأها الظاهر بيبرس بدمشق وهى اليوم مقر المكتبة الظاهرية . وقد عينوا لتلك المدارس المدرسين والمعيدين والموظفين ، ووقفوا عليها الاوقاف الغنية لتضمن

---

(١) السيوطى ، حسن المحاضرة " مرجع سابق " ، ج ٢ ، ص ٨٦ .

(٢) سعيد عاشور ، مصر والشام فى عصر الايوبيين والمماليك " مرجع سابق " ، ص ٢٧٤ .

(٣) المقريزى ، الخطط والآثار " مرجع سابق" ، ج ٣ ، ص ص ٣١٣ - ٤٦٥ .

(٤) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ص ٣١٥ - ٣٨٥ .

للطلاب والمدرسين قدرا من الحياة الهادئة تجعلهم ينصرفون الى الاشتغال بالعلم آمنين مطمئنين (١).

وثمة ظاهرة امتازت بها الحياة العلمية الفكرية فى عصر سلاطين المماليك وهى الاقبال الشديد على تأليف الموسوعات الضخمة التى تحوى الموسوعة الواحدة منها كثيرا من المعلومات المتنوعة المتباينة . وكان من أشهر هذه الموسوعات كتاب " نهاية الأرب فى فنون الأدب " للنويرى ( ت ٧٣٢ هـ ) وهو موسوعة كبيرة تقع فى نيف وثلاثين مجلدا مطبوعا .وكذلك " مسالك الابصار فى ممالك الامصار " لابن فضل الله العمرى ( ت ٧٤٨ هـ ) ، وهو موسوعة شهيرة تقع فى بضعة وعشرين مجلدا ، تناولت فنون الادب والتاريخ والجغرافيا وغيرها (٢) .

ولايقف الامر عند هذا الحد ، بل ان مما انفرد به هذا القرن على صورة لم يسبق لها مثيل ، هو انشاء ثلاث مدارس للطب ، ومدرسة للهندسة فى دمشق ، فكان فى هذه العاصمة أعظم جامعة اسلامية عربية حوت العلوم الدينية والدنيوية ، فلم تكن دون القاهرة بأزهرها الذى بنى فى القرن الرابع ، ولا بغداد بمدرستها النظامية التى أسست فى القرن الخامس (٣) .

---

(١) النويرى ، نهاية الارب فى فنون الادب ، مجلد ٣٠ ، ص ٣٤١ .

(٢) على سالم النباهين ، نظام التربية الاسلامية " مرجع سابق" ، ص ١٥٠ .

(٣) محمد كرد على ، خطط الشام ( دمشق : مطبعة الحديثة ، د. ت ) ، ج ٤ ، ص ٤٣ - ٤٤ .

وقد ذكر السير وليم موير ذلك فقال : " انه بنى فى عهد المماليك مدارس وكليات لتعليم الناس علوم الطب والفلسفة والفنون والعلوم الرياضية والطبيعية (١)" . ويرجع سبب انتشار المدارس فى عهد المماليك الى نظرتهم الى بركة العلم وفضله ، يضاف الى ذلك أن أمراء المماليك خافوا على اولادهم من تأثير السلطان وجاه السلطة . فقد كانوا يخشون عادية سلطانهم على ذريتهم لما له عليهم من الرق أو الولاء [أى يعتبرون المماليك أنفسهم أرقاء لأسيادهم أو موالى عن طريق الاسر والسبى فى الحروب أو الشراء]، فاستكثروا من بناء المدارس والزوايا ، والربط ، ووقفوا عليها الاوقاف المغلة يجعلون فيها شركا لولدهم ... ينظر منها أو يصيب منها ، مع حاجتهم غالبا من الجنوح [ أى من فعل ] الى الخير، والتماس الاجور فى المقاصد والافعال ، فكثرت الاوقاف لذلك (٢)"واذا كان التعليم العالى قد وجد قسطا كافيا من العناية فى المدارس ، فان التعليم الابتدائى نهضت به المكاتب التى أنشئ عدد كبير منها فى عصر سلاطين المماليك (٣). وكانت مناهج التعليم الابتدائى تشتمل على " تعليم القرآن الكريم والكتابة وضبط الحروف بالشكل ، وعقائد أهل السنة والجماعة ، وأصول الحساب .... ، ومبادئ الفقه "(٤) . ونجد أنه

---

(١) السير وليم موير ،تاريخ دولة المماليك ،تعريب محمود عابدين وسليم حسن ، ص ١٨٩ .

(٢) ابن خلدون ، المقدمة ( القاهرة : المكتبة التجارية لصاحبها مصطفى محمد ، د . ت ) ، ص ٤٣٤ - ٤٣٥ .

(٣) سعيد عاشور ، مصر والشام فى عصر الايوبيين والمماليك " مرجع سابق " ص ٢٨٠ .

(٤) على سالم النباهين ، نظام التربية الاسلامية " مرجع سابق " ، ص ٣٤٦ .

كان الى جوار تلك المدارس مكاتب صغيرة ملحقة بها لتعليم الصغار مبادىء القراءة والكتابة ، وشيئا من العلوم الأولية مع تحفيظ القرآن الكريم(١)

وسيتناول الباحث بعض جوانب الحركة العلمية فى القرن السابع الهجرى التى تدلل على وضع العلم والتعليم فى تلك الفترة منها :

١ - انواع العلوم :

كانت المواد الدراسية التى تدرس فى معظم المؤسسات التعليمية فى عصر سلاطين المماليك تتركز بالدرجة الاولى حول القرآن الكريم وعلومه ، والحديث وعلومه ، والمذاهب الفقهية الرئيسه الأربعة تؤازرها علوم اللغة العربية • وذلك لأن معرفة الشريعة الاسلامية من أسمى ماتهدف اليه التربية فى ذلك الوقت •

ويمكن تقسيم العلوم السائدة فى ذلك العصر الى مايلى :

(أ) العلوم الشرعية :
وتشمل علوم التفسير والحديث وعلومه والفقه واصوله ، والفرائض •

(ب) علوم اللغة العربية وآدابها :
وتشمل اللغة والنحو والبيان والأدب • ومعرفتها ضرورية على علماء الشريعة • كما تشمل علوم البلاغة وقد اشتغل علماء العربية فى العصر المملوكى فيها بالشرح والتفصيل أو الاختصار • وعلى رأسهم جلال الدين القزوينى •(٢)

ونجد ان من مفاخر عصر دولة المماليك ظهور المعجم اللغوى المشهور " لسان العرب " لمؤلفه ابن منظور المصرى •(٣)

---

(١) محمود رزق سليم ، عصر سلاطين المماليك " مرجع سابق " المجلد السابع ، ص ٢٣٣ •

(٢) المرجع السابق ، الجزء الثالث ، ص ص ١٥٥ - ١٥٦

(٣) السيوطى ، حسن المحاضرة " مرجع سابق" ، ج ١ ص ص ٥٧٠ - ٥٧٣ •

وهكذا وجدت اللغة العربية الاهتمام والرعاية جنبا الى جنب مع العلوم الشرعية ليتم التكامل بينهما .

(ج) العلوم العقلية :

رغم ان العلوم الشرعية وعلوم اللغة العربية كانتا مهيمنتين على المناهج الدراسية الاخرى فى عصر دولة المماليك ، الا ان الحياة العلمية لم تكن تخلو من العلوم العقلية الضرورية لسير الحياة اليومية فى المجتمع .

وكان من آهم هذه العلوم مايلى :

١ - علم الطب :

وقد كان من العلوم المعروفة فى عصر دولة المماليك ، وقد اشتغل به عدد من الاطباء منهم الطبيب المعروف ابن ابى آصيبعة (ت ٦٦٨ هـ ) الذى آلف " تاريخ الاطباء " المشهور فى عشر مجلدات المسمى ب " عيون الانباء فى طبقات الاطباء " .

٢ - علم الهندسة :

لقد عنى سلاطين المماليك بعلم الهندسة حيث تم افتتاح مدرسة لهذا الغرض ولان الحاجة ماسة اليها فى البناء .

وهناك علوم آخرى كان انتشارها على نطاق ضيق نبغ فيها آشخاص معدودون ربما تلقوها على ايدى افراد متخصصين . من هذه العلوم علم الفلسفه والجدل المنطق .

د - التاريخ والتراجـــــم :

وقد وجدت علوم التاريخ والتراجم عناية كبيرة فى عصر سلاطين المماليك حيث ان ذلك العصر هو العصر الذهبى للتأليف فى التاريخ .(١)

وقد برع فى تلك العلوم كثير من العلماء أمثال ابن العديم الــــذى ألف كتابه " بغية الطلب فى تاريخ حلب " وقام باختصاره باســـم " زبده الطلب فى تاريخ حلب " .

ومنهم ابن خلكان المؤرخ الحجه والذى ألف كتابه المشهور "وفيات الاعيان وانبــاء ابناء الزمان " والذى يعد من المصادر الاساسية حتى يومنــا هذا.ومنهم ابو شامه المؤرخ ومن أهم مؤلفاته كتاب " الروضتين فـــى اخبار الدولتين : النوريـة والصلاحيـة "

٢ - أنواع التعليـــــم :

ان التعليم فى عصر سلاطين المماليك لم يتخذ فيه سياسة عامـــة عليا تتكفل الدولة بتنفيذها والانفاق عليها من أموالها العامه. بـــل كانت سياسة التعليم فردية شخصية موكوله الى همم الامراء وضمائـــر السلاطين ورغبات الرؤساء كل منهم على حده .

وكان يسود فى عصر سلاطين المماليك نوعان من التعليم هما :

١ - التعليم العسكرى وكان يعنى بثقافة العنصر التركى ثقافة عسكريـة الغرض منها تنشئة الجنود واعدادهم للحرب ،وهذه الثقافة العسكرية كانت مقصورة على المماليك فقط ، ولم يكن للشعب صله به ، ولـــم يسمح لاحد من أبناء الشعب بالاندماج فيه ، وكان مقر ذلك فى طبـاق قلعـــة الجبــــل .(٢)

٢ - التعليم الشعبى . وكان مقره المدارس والمساجد ، وقد اوقفـــت عليه الاوقاف ويسرت به سبل العلم لطلابه من ابناء الشعــــــب والوافدين عليه .
غير انه لم يكن يعنى به العناية التامه لانه حق الشعب ، ولكـــن زلفـى الى الله وقربـى .(٣)

---

(١) محمود رزق سليم - عصر سلاطين المماليك " مرجع سابق ، المجلد السادس ص ٤٣٦ .
(٢) (٣) المرجع السابـــق ، المجلد السابع ، ص ٣٠٦

٣ - انـــــواع المدارس :

قام سلاطيـن المماليـك بتأسيس دور التعليم واوقفوا عليهـا الاوقاف ورتبوا لشيوخها الرواتب ولطلابهـا المعونات ، من مـال وطعام وكسـوه ومسكـن فى بعض الاحيان •

وتتمثـل دور التعليم حينذاك فيمـا أنشـىء من المدارس والمساجد وما شيـد من الخوانق والربط والزوايـا • كان الى جوارهـا مكاتب صغيرة ملحقـة لتعليـم الصغار • وقد فتحت تلك الـدور ليتعلم فيها من يشاء من ابنـاء الشعب •

وكانت مدارسـه بمثابـة جامعات علميـة عظيمـة الشأن ، كمـا كان التعليـم فيها بالمجـان • (١)

٤ - اتجاهات الحركـة العلميـة :

كانت سياسة سلاطيـن المماليك وأمرائهم منصرفه الى انشاء المساجد واتخاذها آماكن يتعبد فيها الناس لربهـم ، ودورا للتعليم يتلقـى فيها الطلاب دروس العلم • وقد تكون الدوافـع الحقيقـة وراء اتباع تلك السياسـة تعزيز سلطانهم فى داخل البلاد وخداع الشعب من هـذه الناحية الدينيـة ليتم لهم خضوعـه • وقد تكون صادرة عن ايمـان حق واخلاص لله تعالـى دعاهم الى تعمير مساجده ، وقد تكون احـدى وسائلهـم الى استمرار انتفاع ذراريهم بما تدره عليهم - اوقـاف مساجدهـم من أموال •

---

(١) المرجع السابـق ، المجلد السابـع ، ص ٢٣٢

وقد اوقف المماليك اوقافا واسعة على المساجد التى أنشأوها لينفق عليها من ريعها ، وخصصوا فى احيان كثيره معونات للطلاب المقيمين بها المنقطعين للعلم وطلبه . وعنوا عناية تامه باختيار الشيوخ الذين يتولون التدريس بها ، وكادوا يجعلون فى كل مسجد مكتبه مليئه بنفائس كتب العلم كما قرروا انواع الدروس التى تلقى بها . (١)

وقبل أن نختتم الحديث عن الحركة الفكرية فى القرن السابع الهجرى يجدر بنا أن نذكر اختلاف بعض العلماء المعاصرين حول الحركة العلمية فى القرن السابع الهجرى وما تلاه من قرون وانقسامهم الى فريقين :

الفريق الاول : يرى أن القرن السابع الهجرى وماتلاه من قرون يتصف بالجمود الفكرى ، والتقليد لتراث السلف ، واغلاق باب الاجتهاد يقول أحد علماء هذا الفريق من المعاصرين " .... ان الجيل الذى تلى القرون الثلاثة الاولى من المفكرين جيل آخر بدأ منذ القرن الرابع الهجرى واستمر حتى بداية القرن الثامن الهجرى ، وهو جيل انحدر فى تفكيره عن مستوى المواقف العلمية الى الوقوف عند الاصول والنظريات دون محاولة ابتكار جديد مثلها وهو ما أسموه بالاتباع " (٢) .

---

(١) محمود رزق سليم ، عصر سلاطين المماليك ،" مرجع سابق " المجلد السادس ، ص ٣١٦ .

(٢) ماجد الكيلانى ، تطور مفهوم النظرية التربوية الاسلامية " مرجع سابق" ص ٢٤٥ .

ومنهم من يعلل ركود الحركة الفكرية عند المسلمين بعد القرن السادس الهجرى بعد أن ظلت هذه الحركة قوية مزدهرة منذ القرن الثانى فى التأليف والترجمة فى شتى العلوم والمعارف الى جمود التعليم ووقوفه عند طريقة لايتطور عنها منذ بداية التعليم عند الصبيان الذين انطبعت نفوسهم على طريقة خاصة فى فهم الدين يصعب التحول عنها ويرجع السر فى ذلك الى أن " غايتهم القصوى هى حفظ القرآن ، وغرضهم هو تلقين أصول الدين ، مع الابتعاد عن تعليم أى مسألة من مسائل الدنيا الا ماقضت به الضرورة ... ولطول العهد بهذه الطريقة التى دارت مع الزمان ،واتبعها الناس قرنا بعد قرن ، آمنوا بأنها الطريقة الوحيدة التى ينبغى اتباعها(١)" ومما يؤيد ذلك الرأى العالم ابن خلدون حيث يقول : " ... وقف التقليد فى الامصار عند هؤلاء الاربعة - أى المذاهب الاربعة المعروفة - ... وسد الناس باب الخلاف وطرقه ... ، وردوا الناس الى تقليد هؤلاء ... ، ولم يبق الا نقل مذاهبهم (٢)" .

وأما الفريق الآخر فيرى ان اتهام علماء القرن السابع الهجرى وما تلاه من قرون بالجمود الفكرى ، واغلاق باب الاجتهاد ، والوقوع فى براثن التقليد اتهام يشوبه شئ من الجور ، ويقوده كثير من التزمت وعدم التسامح ، فيقول أحد العلماء المعاصرين لهذا الفريق فى ذلك " ان اتهام علماء المسلمين الذين جاءوا بعد القرن الرابع الهجرى بالجمود الفكرى،

---

(١) أحمد الاهوانى ، التربية فى الاسلام " مرجع سابق " ص ٩٦ .

(٢) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٤٤٨ .

واغلاق باب الاجتهاد ، والوقوع فى براثن التقليد ، - تهمة غبية ظالمة - ذلك لان لهذا الذى يسمونه جمودا وتقليدا وفرارا من الاجتهاد سببا ماديا خارجا عن طوقهم واختيارهم ، ولا شأن له بقدراتهم العلمية البتة". ثم يقول : " والسبب يتلخص فى أن الساحة الاجتهادية التى أمامهم محدودة بنصوص الكتاب والسنة ، وكليات المبادئ الاسلامية ، والضوابط الاجتهادية العامة". (١)

فالتأخر والجمود لاينعت به الفقهاء المتأخرون فحسب وانما عليهم ان ينعتوا أيضا سائر المفكرين فى حقول العلوم والفنون ، ومع ذلك فان هناك بعض العلماء مثل أبى شامة ( ت ٦٦٥ هـ ) ألف كتابا بعنوان "المؤمل فى الرد الى الاصل الاول " يدعو مؤلفه الى دعوتين هما :

(١) التحرج من الفتيا

(٢) عدم التقيد تقيدا تاما بالائمة الاربعة ، وذلك أسوة بأولئك الائمة الاربعة أنفسهم (٢)

وقال أيضا الامام النووى : " ان الاجتهاد نوعان :

١ - مستقل وقد فقد من رأس المئة الرابعة فلم يمكن وجوده .

٢ - منتسب ( يريد مجتهد المذهب ) وهو باق الى أن تأتى أشراط الساعة ولايجوز انقطاعه شرعا لأنه فرض كفاية . ومتى قصر أهل مصر حتى تركوه أثموا كلهم "(٢).

---

(١) محمد سعيد رمضان البوطى، على طريق العودة الى الاسلام، ط ٣ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٣)، ص ١٩٩ - ٢٠٠. ولمزيد من الايضاح انظر المرجع نفسه ٢٠١ - ٢٠٤

(٢) عبد اللطيف حمزة ، الحركة الفكرية فى مصر فى العصرين الايوبى والمملوكى الاول " مرجع سابق " ص ٢٠٣ .

(٣) المرجع "سابق ; ص ٢٠٢ ; كتاب الفكر السامى فى تاريخ الفقه الاسلامى الحجوى ، الجزء الثانى ، القسم الرابع ، ص ٤٥٢ .

وقد انتشر بين الناس مثل قول النووى هذا ، وهو أنه ليس لأحد أن يختار بعد المائة الرابعة للهجرة ، ويعنون بذلك أنه ليس لأحد أن يُحدث مذهباجديدابعد المذاهب الاربعة المعروفة . وبذلك أقفل الفقهاء على أنفسهم باب الاجتهاد المطلق ، وقصروا أنفسهم على الاجتهاد المقيد بالمذهب (١).

ومع هذا فمن الانصاف للفقهاء فى العصر المملوكى بمصر والشام ان يقال انهم كانوا يتطلعون الى نوع من الاستقلال فى الفقه ، أولى به أن يسمى " سعة فى التصرف "على حد قول(عبد اللطيف حمزة ) . ولم يكن هذا غريبا منهم بعد أن ركدت ريح الفقهاء السنيين بمجئ الفاطميين الى مصر (٢) .

وأختتم هذا الكلام بذكررأيي فيما تقدم وهو أن اطلاق الجمود الفكرى على مابعد القرن الرابع الهجرى فيه نوع من التجاوز والجور . وذلك بوصم علماء تلك القرون بعدم اعمال فكرهم وتحريك عقولهم وتنشيط أذهانهم . اذ أننى أعتبر تلك الفترة فترة توقف وتدقيق وتمحيص للكم الهائل من المؤلفات التى وصلت اليهم من علماء القرون التى سبقتهم . وكذلك نجد أن الظروف والاحوال فى البلاد الاسلامية غير مستقرة من جميع النواحى السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية .

---

(١) عبد اللطيف حمزة " مرجع سابق" ،ص ٢٠٢، محمد بن الحسن الحجوى الثعالبى الفاسى ، الفكر السامى فى تاريخ الفقه الاسلامى ، خرج أحاديثه وعلق عليه عبد العزيز بن عبد الفتاح القارئ، المدينة المنورة : المكتبة العلمية ، ١٣٩٧ ) ،ج ٢ القسم الرابع ،ص ٤٥٢.

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٥٢ .

ومن الجدير بالذكر أن نوضح فى هذا المقام بأنه ظهر فى تلك القرون السابقة علماء نوابغ ومفكرون أجلاء فى شتى العلوم والمعرفة . فضلا على أن علماء القرون الثلاثة الاولى وجدوا الساحة العلمية خالية أمامهم ، وبالتالى فلم يدعوا لمن بعدهم من ساحات العلوم المختلفة الا القليل .

والكلمة الجامعة لحال هذا العصر من ناحيته الفكرية هو " أنه ان لم يكن عصر ابداع كعصور الاجتهاد ، فهو - بجملته وأكثر علومه - عصر نقل متزن ، وتقليد واع ، وجمع فى تحفظ ،وتحقيق ، وتحرير وتصحيح ، وتهذيب ، بل أحيانا اجتهاد مقيد [ فى المذهب ] [1] " .

---

(١) عبد الغنى الدقر ، الامام النووى " مرجع سابق " ، ص ١٤ .

## ثانيا : حيـاة الإمام النووى وسيرتـــه

هو الامام الحافظ الفقيه المحدث ، ناصر السنة ، وقامع البدعة محي الدين ، أبو زكريا يحي بن شرف بن مرى بن حسن بن حسين بن محمد بن جمعة بن حزام النووى الدمشقى(١). ولد فى العشر الأوسط من المحرم سنة احدى وثلاثين وستمائة بنوى ، وتوفى بها(٢). وكان أبوه من أهلها المستوطنين بها (٣). ونوى قاعدة الجولان الآن ... من أرض حوران من أعمال دمشق(٤). فهو الدمشقى أيضا خصوصا وقد أقام الشيخ النووى بدمشق نحوا من ثمانية وعشرين عاما(٥).

ولقد نشأ الامام النووى كما صرح به الحافظ الذهبى فى سير النبلاء فى ستروخير ، اذ عاش فى كنف أبيه وأنه " بقى يتعيش فى الدكان لأبيه مدة . وأن أباه كان دكانيا بنوى(٦)" . وقد وصف علاء الدين ابن العطار(٧)،

---

(١) أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلى ، شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ( بيروت : المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع ) ج ٥ ، ص ٣٥٤ .

(٢) السخاوى ، ترجمة النووى ( مرجع سابـق ) ، ص ٤ .

(٣) السبكى ، طبقات الشافعية الكبرى " مرجع سابـق " ، ج ٨ ، ص ٣٩٦ .

(٤) السخاوى ، ترجمة النووى " مرجع سابـق " ، ص ٣ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٣ .

(٦) المرجع السابـق، ص ٤ .

(٧) على بن ابراهيم بن العطار، كان أبوه عطارا وجدّه طبيبا ،صحب النووى ولازمه واشتغل عليه ، حتى كان يقال له مختصر النووى ، توفـى سنة ٧٢٤ هـ .

والد شيخه النووى ، بقوله : " الشيخ الزاهد الورع ولى الله "[١]. ويقول عنه الذهبى أيضا و " كان شيخا مباركا[٢] " ولما مات والد النووى سنة ٦٨٥ هـ صلى عليه صلاة الغائب[٣]. وهذا يدل على شهرة صلاحه . وواضح أنه عاش بعد وفاة ابنه الامام النووى تسع سنين ، وقد جاوز السبعين .

ولقد حبب الله العلم للنووى ، وهيأه لقبوله ، فحفظ القرآن صغيرا وانشغل به عن اللعب مع أقرانه ، يقول شيخه ياسين بن يوسف الزركشى : " رأيت الشيخ محي الدين وهو ابن عشر سنين بنوى ، والصبيان يكرهونه على اللعب معهم وهو يهرب منهم ويبكى لاكراههم ، ويقرأ القرآن فى تلك الحال ، فوقع فى قلبى حبه ، وجعله أبوه فى دكان فجعل لايشتغل بالبيع والشراء عن القرآن[٤] " .

ثم قدم النووى الى دمشق سنة ٦٤٩ هـ بعد أن حفظ القرآن فى قريته وكان عمره آنذاك تسع عشرة سنة ، وكانت دمشق فى ذلك الحين محج العلماء وطلبة العلم . فسكن المدرسة الرواحية[٥] "واستمر بها حتى مات لم ينتقل

---

(١) السخاوى ، ترجمة النووى " مرجع سابق " ، ص ٣ .

(٢) المرجع السابق، ص ٧٦ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٧٦

(٤) السبكى ، طبقات الشافعية الكبرى " مرجع سابق ، ج ٨ ، ص ٣٩٦ .

(٥) المدرسة الرواحية بدمشق " ... واقفها أبو القاسم هبة الله المعروف بابن رواحة ، كان أحد التجار وفىّ الثروة والمقدار، ومن المعدلين بدمشق ...، وقد ابتنى المدرسة الرواحية ، داخل باب الفراديس ووقفها على الشافعية ، وفوض نظرها وتدريسها الى الشيخ تقى الدين بن الصلاح الشهرزورى " ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٣ ، ص ١١٦ .

منها حتى ولابعد ولايته الاشرفية " كما قاله التاج السبكى فى الطبقات الوسطى . والسبب فى اقامته بها يعود كما ذكر اليافعى بقوله : " وسمعت أنه انما اختار الاقامة بها على غيرها لحلها [ أى أنها من جهة حلال ](١) " . وبقى الامام النووى نحو سنتين لايضع جنبه بالارض ويتقوت بخبز المدرسة لاغير ، وقال السخاوى : "بل كان يتصدق منها أيضا "(٢). وحفظ التنبيه للشيرازى فى نحو أربعة أشهر ونصف . وقال السخاوى : " وعرضه فى سنة خمسين وستمائة لسبع مضين من شهر ربيع الاول (٣) " ، وقرأ كذلك ربع كتاب " المهذب " حفظا فى باقى السنة على شيخه الكمال اسحاق بن احمد المغربى(٤). ويقول عنه تلميذه : ابن العطار " وجعلت أشرح وأصحح على شيخنا الكمال اسحاق المغربى ولازمته فأعجب بى لما رأى من ملازمتى للاشتغال وعدم اختلاطى بالناس ، وأحبنى محبة شديدة ، وجعلنى معيد الدرس بحلقته لاكثر الجماعة (٥) " . وكان لايضيع وقتا فى غير التعلم ، لاسيما

---

(١) السخاوى ، ترجمة النووى " مرجع سابق " ، ص ٤ .

(٢) (٣) المرجع السابق، ص ٥ .

(٤) الكمال اسحاق بن احمد المغربى ، الشيخ المفتى الامام الفقيه الشافعى ، احد مشايخ الشافعية واعيانهم ، كان اماما فاضلا مقيما بالمدرسة الرواحية ، وقد أخذ عنه جماعة منهم الامام النووى ، وقال النووى عنه " أول شيوخى الامام المتفق على علمه وزهده وورعه وكثرة عبادته وعظيم فضله ، وتمييزه فى ذلك على اشكاله ، توفى سنة ٦٥٠ هـ" .
المراجع : السبكى ١٢٦/٨ ؛ تهذيب الاسماء واللغات للنووى ١٨/١" .

(٥) السخاوى " مرجع سابق " ، ص ٦ . ، النعيمى ، الدارس فى تاريخ المدارس " تحقيق جعفر الحسنى ( دمشق : المجمع العلمى العربى ، ١٣٦٧ ، ج ١ ، ص ٣٥ .

بعد وفاة شيخه الكمال اسحاق المغربى ، فانه زاد فى الاشتغال بالعلم والعمل(١). فكان يقرأ فى كل يوم احد عشر درسا *على مشايخه شرحا وتصحيحا(٢). يقرأ على النحو التالى : درسين فى " الوسيط " للغزالى ، ودرسا فى " المهذب " للشيرازى ، ودرسا فى " الجمع بين الصحيحين " للحميدى ، ودرسا فى " صحيح مسلم " ، ودرسا فى " اللمع " لابن جنى فى النحو ، ودرسا فى " اصلاح المنطق " لابن السكيت فى اللغة ، ودرسا فى التصريف ، ودرسا فى أصول الفقه ، ودرسا فى أسماء الرجال ،ودرسا فى أصول الدين(٣). وكان يعلق جميع ما يتعلق بها من شرح مشكل ، وايضاح عبارة ، وضبط لغة(٤).

وقد خطر للامام النووى الاشتغال بعلم الطب فاشترى كتاب " القانون" لابن سينا ، وعزم على الاشتغال فيه ، وتذكر المصادر أن الامام النووى" لم يبدأ فى طلب العلم الا فى سن الثامنة عشرة أو نحوها من عمره . وأخذ فى التصنيف بدءا من سنة ستين وستمائة والى أن مات(٥)" .

---

(١) السخاوى ، ترجمة النووى " مرجع سابق " ، ص ٦ .

(*) تذكر اكثر المراجع أنه " كان يقرأ كل يوم اثنى عشر درسا " والصحيح ما أثبتناه بدليل عدد الدروس التى جاءت فى النصوص جميعها .

(٢) الذهبى ، تذكرة الحفاظ " مرجع سابق " ، ج ٤ ،ص ١٤٧٠ .

(٣) المرجع السابق ، ص١٤٧٠

(٤) المرجع السابق ، ص١٤٧٠

(٥) محمد بن احمد الذهبى ، العبر فى خبر من غبر ، تحقيق صلاح الدين المنجد ( الكويت : مطبعة حكومة الكويت ، ١٣٨٦) ،ج ٥ ، ص ٣١٢ .

ونلاحظ من خلال ماسبق أن :

الامام النووى أخذ يؤلف الكتب بعد مكثه بدمشق عشر سنوات ٠
ونخلص من ذلك فنقول : يحتمل أن الامام النووى قد اشتغل بالطب ثم تركه وعمره آنذاك مابين التاسعة عشر الى حدود التاسعة والعشرين" أى مابين سنة ( ٦٥٠ - ٦٦٠ هـ ) والله أعلم ٠

أما من حيث تعلم مهنة الطب " فتعلمها ضرورة لما عرف من فائدتها وذلك بحفظ الصحة للاصحاء ودفع المرض عن المرضى بالمداواة وحتى يحصل لهم البراء من أمراضهم بإذن الله[1]". الا أن الامام النووى قد أظلم قلبه عند اشتغاله بكتاب " القانون " لابن سينا ، ويرجع السبب فى ذلك الى أن كتاب القانون السالف الذكر غير مجرد عن أصول الفلاسفة ، والذى صرح صاحبه فى أوله " بابتناء الطب المورد فى كتابه عليها ، وان الطبيب يتعلم مايبنى عليه من العلم الطبيعى[2] " ، يضاف الى ذلك أن صاحب الكتاب المذكور يعد من كبار الفلاسفة فى عصره ، ولذا فكتابه فيه الكثير من الفلسفات اليونانية وذلك لتأثره البالغ بها وبفلاسفة اليونان ٠ ونجد كذلك أن هذه الفلسفات اليونانية بعيدة كل البعد عن الاسلام وتجد لها فى عصر الامام النووى محاربة شديدة ولمن يتعلمها حتى وصل بهم الأمر الى أن يرموا أصحابها بالزندقة والفسق ٠ ولذا اعترى الامام النووى ما اعتراه من ظلام قلبه بمجرد عزمه على الاشتغال فى ذلك الكتاب السالف الذكر، فقام ببيع الكتاب " القانون " لابن سينا فى الحال فاستنار قلبه ورجع الى حاله، ومع

---

(١) ابن خلدون ، المقدمة " مرجع سابق " ، ص ٤١٥ ٠
(٢) عبد الغنى الدقر، الامام النووى " مرجع سابق " ، ص ٧٠ ٠

ذلك كله فقد كان الامام النووى ملما بعلم الطب النبوى الذى مدحه الشافعى - رحمه الله - بقوله " العلم علمان علم فقه للأديان ، وعلم طب للابدان " كما يعلم أيضا من خلال شرحه لصحيح مسلم عند قوله صلى الله عليه وسلم : " لكل داء دواء . فاذا أصيب دواء الداء برأ باذن الله عز وجل[(١)] .

ومما يدل على اجتهاد الامام النووى فى طلب العلم والحرص عليه مانقله السخاوى عن الامام الذهبى فى سير النبلاء بقوله : " وضرب به المثل فى اكبابه على طلب العلم ليلا ونهارا ، وهجرة النوم الا عن غلبة ، وضبط أوقاته بلزوم الدرس أو الكتابة أو المطالعة أو التردد الى الشيوخ[(٢)] " . ويقول عنه كذلك تلميذه ابن العطار : " وذكر لى رحمه الله أنه كان لايضيع له وقتا فى ليل ولا نهار الا فى وظيفة من الاشتغال بالعلم حتى أنه فى ذهابه فى الطرق وايابه يشتغل فى تكرار محفوظه أو مطالعة . وأنه بقى على التحصيل على هذا الوجه نحو ست سنين[(٣)] " . ثم اعتنى بالتأليف حين تأهل له ، فألف مؤلفات كثيرة منها ما أكمله ، ومنها مالم يكمله اذ عاجلته منيته . يقول ابن كثير : " مما كمل شرح مسلم ، والروضة ، والمنهاج ، والرياض ، والاذكار ، والتبيان ، وتحرير التنبيه وتصحيحه ، وتهذيب الاسماء واللغات ، وطبقات الفقهاء ، وغير ذلك ، ومما لم يتمه ولو كمل لم يكن له نظير فى بابه : شرح المهذب الذى أسماه المجموع ... ولا أعرف فى كتب الفقه أحسن منه[(٤)] " . ويمتدح

(١) شرح صحيح مسلم ، ج ١٤ ، ص ١٩٢ - ١٩٤ .

(٢) السخاوى ، ترجمة النووى " مرجع سابق " ، ص ٧ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١١ - ١٢ .

(٤) ابن كثير ، البداية والنهاية " مرجع سابق " ، ج ١٣ ، ص ٢٧٨ - ٢٧٩ .

كتاب المجموع أيضا كل من الاسنوى وابن الملقن بقولهما : " ليته أكمله ونقصت كتبه كلها[١]" .

واشتغل الامام النووى بالتدريس ، فكان معلما فذا ، أحسن توجيه طلابه ، وتذكر المصادر أنه " باشر تدريس الاقبالية ( وهى مدرسة كبيرة فى الفقه الشافعى ) نيابة عن ابن خلكان الى آخر سنة ٦٦٩ هـ ، وكذلك ناب فى الفلكية والركنية ( وهما مدرستان مشهورتان فى عصره ) ، وولى مشيخة دار الحديث الاشرفية[٢]. فى رمضان سنة ٦٦٥ هـ بعد وفاة شيخها شهاب الدين عبد الرحمن المقدسى شيخ دار الحديث المعروف بأبى شامة ، الى أن توفى الامام النووى سنة ٦٧٦ هـ .[٣] وهى أشهر دار فى بلاد الشام لعلم الحديث . ومن الجدير بالذكر أن الامام النووى لم يوافق على توليتها الا بعد جهد جهيد والحاح شديد من الناس . ومما يدل على ذلك رسالة الشيخ النووى لابن النجار مانصه : " أو ما علمت لو أنصفت كيف كان ابتداء أمرها ، أو ماكنت حاضرا مشاهدا آخذى لها ؟[٤]" . ولقد حدّث الامام النووى بالصحيحين ( صحيح البخارى وصحيح مسلم ) بدار الحديث الاشرفية سماعا

---

(١) السخاوى ، " مرجع سابق " ، ص ٢١ .
(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية " مرجع سابق " ، ج ١٣ ، ص ٢٧٩ .
(٣) عبد القادر محمد النعيمى ، الدارس فى تاريخ المدارس " مرجع سابق" ، ج ١ ، ص ٢٠ - ٢١ .
(٤) السخاوى ، ترجمة النووى " مرجع سابق " ، ص ٥٢ .

وبحثا ، وبقطعة من سنن أبى داود ، وبالرسالة للقشيرى ، وصفوة التصوف ، والحجة على تارك المحجة لنصر الدين المقدسى كلها سماعا وبحثا ، وشرح معانى الآثار للطحاوى (١) .

وسمع الامام النووى من كبار شيوخ عصره أمثال الكمال اسحاق بن احمد المغربى ، وعبد الرحمن بن نوح المقدسى(٢) ، وشيخ الشيوخ عبد العزيز ابن محمد الانصارى(٣) ، وابراهيم بن عيسى المرادى (٤) ، وأبى الحسن سلار

---

(١) السخاوى ، ترجمة النووى " مرجع سابق " ، ص ٢٩ .

(٢) شمس الدين عبد الرحمن بن نوح بن محمد المقدسى ، مدرس الرواحية بدمشق ، وأجل أصحاب ابن الصلاح ،وأعرفهم بالمذهب ( الشافعى) توفى فى ربيع الاخر سنة ٦٥٤ هـ .
المراجع : شذرات الذهب ٢٦٥/٥ ،السبكى ١٨٨/٨ ، البداية والنهاية ١٩٥/١٣ ، النجوم الزاهرة ٤٠/٧" .

(٣) شيخ الشيوخ شرف الدين عبدالعزيزبن محمد بن عبد المحسن الانصارى الدمشقى الحموى الشافعى الاديب ، كان أبوه قاضى حماه ويعرف بابن الرفا ، ولد بدمشق سنة ٥٨٦ هـ وبرع فى الفقه والشعر والحديث ،وكان مفرط الزكاء،مات بحماه فى ثامن رمضان سنة ٦٦٢ هـ .
المراجع : " شذرات الذهب ٣٠٩/٥ ، السبكى ٢٥٨/٨ ،تذكرة الحفاظ١٤٤٣/٤ النجوم الزاهرة ٢١٤/٧ - ٢١٨ ، فوات الوفيات ٥٩٨/١ - ٦٠٧ " .

(٤) ابراهيم بن عيسى المرادى الاندلسى المصرى الدمشقى ، قال فيه النووى : " الفقيه الامام ،الحافظ ، المتقن ،المحقق ،الضابط ،الزاهد، الورع ،الذى لم ترعينى فى وقتى مثله . كان رحمه الله بارعا فى معرفة الحديث وعلومه ،وتحقيق ألفاظه ، لاسيما الصحيحان ،ذا عناية باللغة،والنحو، والفقه ، ومعارف الصوفية ... ،حسن التعليم، صحبته نحو عشر سنين لم آر منه شيئا يكره " .توفى بمصر فى اوائل سنة ثمان وستين وستمائة " .

المراجع : السبكى١٢٢/٨ ،شذرات الذهب ٣٢٦/٥،حسن المحاضرة ٤١٦/١ " .

ابن الحسن الاربلى(١) وغيرهم .

وأما عن تلاميذه : فيقول تلميذه ابن العطار " وسمع منه خلق من العلماء والحفاظ والصدور والرؤساء ، وتخرج به خلق كثير من الآفاق وسار علمه وفتاويه فى البلدان(٢)"

ومن أبرز تلاميذه علاء الدين ابو الحسن على بن ابراهيم بن داود الدمشقى المعروف بابن العطار* ، ويتحدث عن ملازمته للنووى فيقول: " وكانت مدة صحبتى له مقتصرا عليه دون غيره ، من أول سنة سبعين وستمائة وقبلها بيسير الى حين وفاته - أى نحو ست سنين(٣)" . وكذلك البدر محمد

---

(١) أبو الحسن سلار بن الحسن بن عمر بن سعيد الاربلى ، تلميذ ابن الصلاح، وشيخ النووى ، قال النووى فيه " هو شيخنا المجمع على امامته ، وجلالته ، وتقدمه فى علم المذهب ( الشافعى ) على أهل عصره بهذه النواحى(٤)" . وكان معيدا بالمدرسة البادرائية ، فلم يزل على ذلك الى ان مات ، لم يرد ( يطلب ) منصبا آخر ، قال الشريف عز الدين : وكان عليه مدار الفتوى بالشام فى وقته ، ولم يترك بعده فى بلاد الشام مثله ، توفى فى جمادى الاخرة سنة ٦٧٠ هـ عن بضع وستين سنة(٥) .

(٤) المراجع : السبكى ، طبقات الشافعية الكبرى ١٤٩/٨ .

(٥) شذرات الذهب ٣٣١/٥ ، ٣٣٢ ، السبكى ١٤٩/٨ ، البداية والنهاية ٢٦٢/١٣ .

(٢) السخاوى ، " مرجع سابق " ، ص ٣٠ .

(*) سبقت ترجمته ص ٥٥

(٣) المرجع السابق ، ص ٣٠ .

ابن ابراهيم بن سعد الله بن جماعة [١]، وشهاب الدين أبو حفص عمر بن كثير ( والد المؤرخ المحدث ابن كثير) [٢]، والشمس محمد بن ابى بكر بن ابراهيم ابن عبد الرحمن النقيب [٣]، وهو آخر من كان من أعيان أصحاب الامام النووى. وعبد الله بن محمد بن على [٤]، وقال النووى عنه : " وهو من فضلاء أصحابنا المتأخرين [٥]" وغير هؤلاء كثير من تلاميذ الامام النووى .

---

(١) البدر محمد بن ابراهيم بن سعد الله بن جماعة بن على بن جماعة ، محدث فقيه ، مولده سنة ٦٣٩هـ بحماه ، ولى قضاء القدس مدة ثم درّس بالقيمرية بدمشق ، ولى قضاء القضاه بمصر - ثم دمشق ،مات بمصر سنة ٧٣٣ هـ .
المراجع : "السبكى ١٣٩/٩ - ١٤٠ ،البداية والنهاية ١٦٣/١٤ ، شذرات الذهب ١٠٥/٦ ، طبقات الاسنوى ٣٨٦/١ " .

(٢) أبو حفص محمد بن كثير بن ضو بن كثير القرشى ، ولد سنة ٦٤٠ هـ ،وعنى بالنحو والعربية واللغة ، وحفظ اشعار العرب ، وتمذهب للشافعى ، وأخذ عن النووى ... ، توفى سنة ٧٠٣ هـ .
المراجع : " ابن كثير ٣١/١٤ - ٣٢ " .

(٣) الشمس محمد بن ابى بكر بن ابراهيم النقيب ، الحاكم بحمص ثم طرابلس ثم حلب ، ثم مدرس الشامية البرانية ،وصاحب النووى ، واعظم بتلك الصحبة رتبة عليّة ، وله الديانة والعفة ،والورع ،وكان من أساطين المذهب الشافعى ... ، ولد سنة ٦٦٢ هـ وتوفى ثانى عشر ذى القعدة سنة ٧٤٥ هـ ، بالمدرسة الشامية .
المراجع : " السبكى ٣٠٧/٩ - ٣٠٨ ، الدر الكامنة ١٩/٤ ، الاسنوى ٢/ ٥١٢ ، شذرات الذهب ١٤٤/٦ " .

(٤) عبد الله بن محمد بن على بن ابى عقامة أبو الفتوح القاضى ،وصاحب كتاب " الخناثى " ، قال النووى : " وهو من فضلاء اصحابنا المتأخرين له مصنفات حسنة ،من أغربها وانفسها " كتاب الخناثى " مجلد لطيف فيه نفائس حسنة ، ولم يسبق الى تصنيف مثله " .
المراجع : " السبكى ١٣٠/٧ ، تهذيب الاسماء واللغات ٢٦٢/٢، طبقات ابن هداية الله ٧٨ " .

(٥) تهذيب الاسماء واللغات ٢٦٢/٢ .

وأما عن أخلاقه فانه كان كثير العبادة و " الزهد والقناعة ومتابعة السالفين من أهل السنة والجماعة ، والمثابرة على أنواع الخير، لايعرف ساعة من غير طاعة (١) " . وأثر عنه الشجاعة وقوة الايمان والصراحة فى قول الحق ، فقد كان يواجه الملوك والسلاطين والظلمة ويخوفهم بالله تعالى . ويقول عنه القطب اليونينى (٢) . " أنه كان كثير التلاوة للقرآن والذكر ، معرضا عن الدنيا مقبلا على الاخرة (٣) " . ويصفه تلميذه ابن العطار بقوله : " وكان رفيقا بى شفيقا علي لايمكن أحدا من خدمته غيرى على جهد منى فى طلب ذلك منه ، مع مراقبته لى فى كل حركاتى وسكناتى ، ولطفه بى فى جميع ذلك ، وتواضعه معى فى جميع الحالات ، وتأديبه لى فى كل شىء حتى الخطرات وأعجز عن حصر ذلك (٤) " . وقال عنه الذهبى : " ترك جميع الجهات الدنيوية فلم يكن يتناول من جهة من الجهات درهما ...،وأنه ما أخذ للاشرفية فيما بلغنى جامكيه (*) بل اشترى بها كتبا ووقفها (٥) " . وقد وصفه السبكى بقوله : " الشيخ الامام العلامة ، علم الزهاد، وقدوة العبّاد، محي علوم الاولين ، وممهد سبل الصالحين " (٦) .

---

(١) السبكى ، طبقات الشافعية الكبرى " مرجع سابق " ، ج ٨ ،ص ٣٩٦

(٢) هو موسى بن محمد اليونينى البعلبكى ، قطب الدين الفتح، مؤرخ توفى فى دمشق سنة ٧٢٦ هـ " شذرات الذهب ٧٣/٦ - ٧٤ " .

(٣) السخاوى ، ترجمة النووى " مرجع سابق" ، ص ١٢ .

(٤) المرجع السابق، ص ٣٠ .

(*) الجامكيه : وجمعها جوامك وهي مرتبات خدام الدولة والجند المرجع ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة " مرجع سابق " ج ١٢ ، ص ١٧٢ ، ٢٢٨ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٣٧

(٦) الطنطاوي ، الامام النووي ، " مرجع سابق " ، ص ٢٢ .

وأما عن مكانته فنذكر ما رواه المؤرخون عنه ، فقد ذكر الذهبي في كتابه "سير النبلاء" قوله :

" الشيخ القدوة ، الحافظ الزاهد العابد ، الفقيه المجتهد الرباني ، شيخ الاسلام ... صاحب التصانيف التي سارت بها الركبان ، واشتهرت بأقاصي البلدان.."
الى ان قال : " لازم الاشتغال والتصنيف محتسبا في ذلك مبتغيا وجه الله مع التعبد والصوم والتهجد والذكر والأوراد ، وحفظ الجوارح وذم النفس ، والصبر على العيش الخشن ، ... ، وكان مع ملازمته التامة للعلم ، ومواظبته لدقائق العمل ، وتزكيه النفس من شوائب الهوى ، وسيء الاخلاق ... ، عارفا بالحديث ، قائما على اكثر فنونه ، عارفا برجاله ، رأسا في نقل المذهب ، مستضلعا من علوم الاسلام (١) " .

وقال الذهبي في كتابه " العبر " : " وكان [ النووي ] مع تبحره في العلم ، وسعة معرفته بالحديث والفقه واللغة وغير ذلك بما قد سارت به الركبان ، رأسا في الزهد ، وقدوة في الورع عديم المثل في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر (٢) " وقال عنه ابن كثير في طبقات الشافعية له ونقله السخاوي بقوله : " الشيخ الامام ، العلامة الحافظ ، الفقيه النبيل ، محرر المذهب ومهذبه ، وضابطه ومرتبه ، أحد العباد والعلماء الزهاد ، وكان على جانب كبير من العلم والعمل والزهد والتقشف ، والاقتصاد في العيش ، والصبر على خشونته ، والتورع الذي لم يبلغنا عن أحد في زمانه ولا قبله بدهر طويل (٣) " وأرخ له الشيخ قطب

---

(١) عبد الغني الدقر، الامام النووي ، ص ١٧٥ ، السخاوي ، ص ٥٨ ، السبكي ٣٩٦/٨ .

(٢) الذهبي ، العبر ، ج ٥ ، ص ٣١٢ - ٣١٣ .

(٣) السخاوي ، ص ٦١ .

الدين اليونينى ونقله الذهبى بقوله : " كان أوحد زمانه فى العلم والورع والعبادة والتقلل وخشونة العيش[1] " ويقول عنه ابن كثير " العلامة شيخ المذهب وكبير الفقهاء فى زمانه[2] " ، وهناك الكثير والكثير عن مكانة الامام النووى بين العلماء وهذا غيض من فيض . وتوفى - رحمه الله - ليلة أربع وعشرين من رجب من سنة ست وسبعين وستمائة بنوى ودفن بها[3] بعد حياة حافلة بالعلم والمجاهدة والزهد والورع رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته .

ويستنتج الباحث مما سبق مايلى :

١ - ان الامام النووى بدأ فى طلب العلم وهو في سن مبكره .

٢ - ممارسة الامام النووى للتدريس عمليا واشتغاله به عند تأهله لدلك .

٣ - اهتمامه بجميع العلوم وبخاصة العلوم الشرعية والعربية . فهما يأتيان فى المرتبه الاولى من اهتمامه ، ولذا كان اكثر مؤلفاته فيهما .

٤ - تفرغه لطلب العلم وعدم الاشتغال بغيره ليلا أو نهارا .

---

(١) الذهبى ، تذكرة الحفاظ " مرجع سابق " ، ج ٤ ، ص ١٤٧٣ .

(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية " مرجع سابق" ،ج ١٣ ،ص ٢٧٨ .

(٣) الذهبى ، تذكرة الحفاظ " مرجع سابق" ، ج ٤ ،ص ١٤٧٣ .

# الفصل الثاني

## منهج الإمام النووي الإصلاحي

- دعوته الإصلاحية للسياسة .

- العدالة الإجتماعية وتطبيق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

## الفصل الثانى

## منهج الامام النووى الاصلاحى ودعوته

### ١ - دعوته الاصلاحية للسياسة

إن تاريخ الاصلاح والتجديد متصل فى الاسلام ، فالاصلاح والكفاح مترافقان لهذه الأمة الاسلامية ، لايتخلفان عنها ، وكان لسيرة الامام النووى وحياته النزيهة ، " وزهده فى حطام الدنيا ، وابتعاده عن مناصب الدولة ، وتمرده على الشهوات ، ومواجهته لكبار الملوك والسلاطين بالحق ، وارشاده للخلق باخلاص ونزاهة ، ولايمانه القوى تأثير فى نفوس الناس ، فقد أدى حق النصيحة ، وحذر من سطوة الله ، وتبرأ من الجور الفاشى ، والظلم القاسى "(١).

ولقد دعا الامام النووى الى الاصلاح السياسى فى عصره ، وذلك بأن تكون الدولة الاسلامية على جانب كبير من القوة فيما يتعلق بشؤون الحياة والتى تربط بين الحاكم والمحكوم ، آخذة بالأصول الصحيحة الواردة فى كتاب الله وسنة رسوله ومطبقة لمنهج الله وأحكامه كما طبقها السلف الصالح . فالدين والدولة لايمكن الفصل بينهما ، وبدون قوة الدولة يتعرض الدين للخطر ، وبدون دعائم الشريعة تنقلب الدولة الى مؤسسة ظالمة لرعاياها . وحتى تبقى الدولة حارسة للدين كما ينبغى ، يجب على كل فرد

---

(١) أبو الحسن الندوى ، رجال الفكر والدعوة فى الاسلام " مرجع سابق " ، ص ٩٠ .

من أفرادها أن يقوم بواجبه بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر،وأن يمارس حقه فى النصح(١).

فصلاح الناس متعلق بصلاح العلماء والحكام ، وفسادهم بفساد علمائهم وحكامهم ذلك مانطق به الامام أبو الفرج ابن الجوزى حيث قال : " صنفان - اذا صلحا - صلحت الأمة ، واذا فسدت فسدت الأمة : السلطان والعلماء(٢)" . ويقول سفيان الثورى كما نقله أبو نعيم الأصبهانى : " وصنفان اذا صلحا صلح الناس : السلطان والقراء"(٣)، وهذا ما أثبته الواقع العملى فى كل عصر ومصر . فصلاح الفرد يؤول الى اصلاح المجتمع وهو الغرض الاسمى للاسلام ، ويؤكد ذلك الغزالى ، بقوله : " ففساد الرعايا بفساد الملوك وفساد الملوك بفساد العلماء(٤)"

وبطبيعة الحال فقد برز من خرج عما ألفه العلماء من آداب ،فصار يذهب بعض العلماء الى قصور الملوك والسلاطين والأمراء ، ويتباهون بذلك .

---

(١) ماجد الكيلانى ، الفكر التربوى عند ابن تيمية " مرجع سابق " ، ص ٦٨ .

(٢) أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزى ، المصباح المضيىء فى خلافة المستضيىء ، تحقيق ناجية عبد الله ( بغداد : وزارة الأوقاف العراقية ،، ١٩٧٦ ) ، ح ١ ، ص ٢٤٥ .

(٣) أبو نعيم أحمد عبد الله الاصبهانى، حلية الاولياء وطبقات الاصفياء ، ط ٢ ( بيروت : دار الكتاب العربى ، ١٩٦٧ ) ح ٧ ،ص ٥ .

(٤) الغزالى ، أبو حامد محمد ، احياء علوم الدين ( القاهرة : دار الشعب ، د . ت ) ح ٧ ، ص ٩٢ .

وفى ذلك يقول أبو الفرج عبد الرحمن الجوزى : " فمن تلبيس ابليس على الفقهاء مخالطتهم الأمراء والسلاطين ومداهنتهم وترك الانكار عليهم مع القدرة على ذلك ، وربما رخصوا لهم فيما لارخصة لهم فيه ، لينالوا من دنياهم عرضا فيقع بذلك الفساد "(١). لأن الدخول على السلاطين خطر عظيم على العلماء ، ولأن نواياهم قد تحسن فى أول الدخول ، ثم تتغير باكرامهم وانعامهم ، أو بالطمع فيهم ، ومن ثم لايتماسكون عن مداهنتهم وترك الانكار عليهم(٢)، وقد كان علماء السلف يبعدون عن الامراء لما يظهر من جورهم فتطلبهم الامراء لحاجتهم اليهم فى الفتاوى والولايات (٣)". وقد استدل النووى على ذلك " بجهل هذا النفر من المعلمين وفساد نواياهم(٤)".

ونجد أن الامام النووى يقف من السلطان الظاهر بيبرس الموقف الصلب الذى لاتلين قناته ، والسلطان فى قمة جبروته وعنفوان قوته ماهابه ولا خشى وعيده ورمى فى وجهه بكلمة الحق سافرة صارخة ، جريئة مدوية ، خوفا على الرعية ، حفاظا على الدين ، وصونا للحق .

واليك بعضا من صور كتابات ورسائل الامام النووى الى الملوك والسلاطين . يقول عنه تلميذه ابن العطار : " وكان مواجها للملوك

---

(١) ابن الجوزى ، تلبيس ابليس ، تصدير احمد حمدى امام ( القاهرة : مطبعة المدنى ، ١٤٠٣ ) ، ص ١٦٩ .

(٢)، (٣) المرجع السابق ، ص ١٧٠ .

(٤) النووى ، التبيان فى آداب حملة القرآن ، " مرجع سابق " ، ص ٢٨ .

والجبابرة بالانكار ، لاتأخذه فى الله لومة لائم ، بل كان اذا عجز عن المواجهة كتب الرسائل ويتوصل الى ابلاغها (١)" فمما كتبه وغيره من الشيوخ للسلطان بيبرس يذكّرونه ويدعونه الى النظر فى أحوال رعيته والرفق بهم ، وليس فيما يقولونه ضرر بل هو نصيحة محضة ، وشفقة تامة . ولقد جاء رد الجواب من السلطان بالانكار والتوبيخ والتهديد . وبالتالى فلم يسكت النووى على ذلك بل رد عليه برسالة أخرى جاء فيها " ... والسلطان يعلم أنها نصيحة له وللرعية ، وليس فيها مايلام عليه ،ولم نكتب للسلطان الا لعلمنا بأنه يحب الشرع ومتابعة أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الرفق بالرعية والشفقة عليهم ، واكرامه لآثار النبى صلى الله عليه وسلم ، وكل ناصح للسلطان موافق على هذا الذى كتبنا (٢)" . وكذلك قوله عندما اشتدت الحالة سوءا بأهل الشام وأصبحوا فى ضيق عيش وضعف حال بسبب قلة الامطار وغلاء الاسعار ، وقلة الغلات والنبات وغير ذلك : " أنه تجب الشفقة على الراعى والرعية ، ونصيحته فى مصلحته ومصلحتهم ، فان الدين النصيحة (٣)" .

ولقد أوضح لنا الامام النووى من خلال كتاباته ورسائله أن تهديد السلطان للرعية فيه ظلم لهم ، فليس هو المرجو من عدل السلطان وحلمه برعيته ، وذلك بسبب نصيحة العلماء له ، ودون علمهم بذلك فيقول: " فكيف يؤاخذون به لو كان فيه مايلام عليه ؟ (٤)" ، وأما تهديد الرعية من قبل السلطان دون ذنب اقترفوه فيرد الامام النووى على السلطان بقوله

---

(١) السخاوى ،ترجمة النووى " مرجع سابق " ، ص ٤٠ .
(٢) المرجع السابق، ص ٤٢ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٤٠ .
(٤) المرجع السابق، ص ٤٢ .

:" وأما تهديد الرعية بسبب نصيحتنا وتهديد طائفة فليس هو المرجو من عدل السلطان وحلمه ، فأى حيلة لضعفاء المسلمين المفرقين فى أقطار ولاية السلطان فى كتاب كتبه بعض المسلمين الناصحين نصيحة للسلطان ولهم ، ولا علم لهم به [١]" . وأما عن نفسه فانه كان لايخشى التهديد ولا أكثر منه وهو القتل فيقول فى ذلك : " وأما أنا فى نفسى فلا يضرنى التهديد ولا أكثر منه "[٢] وقوله أيضا : " وأنا بحمد الله تعالى ممن يود القتل فى طاعة الله تعالى " [٣] .

وبعد ذلك فهذه الامثلة تدل على حرص الامام النووى الشديد على المصلحة العامة للمسلمين وليست المصلحة الشخصية . بالاضافة الى اصراره القوى فى دعوة السلطان الى اصلاح نفسه وأمرائه لأن بهم صلاح الرعية والبلاد . فيقول فى ذلك " ولايمنعنى ذلك من نصيحة السلطان ، فانى أعتقد أن هذا واجب علىّ وعلى غيرى ، وما ترتب على الواجب فهو خير وزيادة عند الله تعالى ... وأن نقول الحق حيثما كنا ، وأن لانخاف فى الله لومة لائم ... ولاحجة لنا عند الله اذا تركنا النصيحة الواجبة علينا [٤]" .

ونجد للامام النووى مواقف كثيرة مع السلطان الظاهر بيبرس منها :*موقفه عندما طلب السلطان بيبرس أن توقّع له فتوى من قبل العلماء على جواز أخذ مال الرعية ليستنصر به على قتال الاعداء ، فوقعها كثير من فقهاء الشام ، بعضهم خوفا وبعضهم

---

(١) السخاوى ،ترجمة النووى " مرجع سابق " ص ٤٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٢ .

(٣) المرجع السابق، ص ٥٣ .

(٤) المرجع السابق، ص ٤٢ - ٤٣ .

طمعا ، وامتنع خلق من العلماء على فتواه بالجواز، مما أدى الى قتل الكثير منهم ، فسأل السلطان هل بقى أحد من العلماء لم يوقع على الفتوى ؟ قالوا بقى الامام النووى ، فطلب من النووى التوقيع وقال له السلطان : اكتب بخطك مع الفقهاء الموافقين له فامتنع النووى وقال : لا ، فقال ما سبب امتناعك ؟ فقال : أنا أعرف أنك كنت فى الرق للامير بندقدار ، وليس لك مال ، ثم منّ الله عليك وجعلك ملكا ، وسمعت أن عندك ألف مملوك كلهم عنده حياصة [1] من ذهب ، وعندك مائتا جارية لكل جارية حق من الحلى . فاذا أنفقت ذلك كله ، وبقيت مماليكك بالبنود والصوف بدلا من الحياصات الذهب ، وبقيت الجوارى بثيابهن دون الحلى، ولم يبق فى بيت المال شيىء من نقد أو متاع أو أرض . أفتيتك بأخذ المال من الرعية ،وانما يستعان على الجهاد وغيره بالافتقار الى الله تعالى، واتباع آثار نبيه صلى الله عليه وسلم . فغضب السلطان من كلامه وقال : أخرج من بلدى يعنى دمشق فقال الشيخ : السمع والطاعة وخرج الى نوى فقيل للملك ماسبب عدم قتلك له ؟ فقال : كلما أردت قتله أرى على عاتقه سبعين يريدان افتراس فأمتنع من ذلك . فقال الفقهاء ان هذا من كبار علمائنا وصلحائنا وممن يقتدى به فأعده الى دمشق ،فرسم برجوعه فامتنع وقال : لا أدخلها والظاهر بها ، فمات الظاهر بعد شهر يوم الخميس السابع والعشرين من المحرم سنة ٦٧٦ هـ بدمشق [2] " .

---

(١) الحياصة : الثياب الموشاة بالذهب فى مضايقها .

(٢) السخاوى " ترجمة النووى " مرجع سابق " ، ص ٨٠ .

ويعتبر الامام النووي المرجع للناس فى كل ملمة تلم بالبلد ، وكان مفزع الناس فى الخطوب اليه ، واعتمادهم بعد الله فى الملمات عليه وكان سفيرهم الى الملوك ووسيلتهم الى السلاطين . فهو لم يعتزل دنياه فلا يدرى ماذا فيها ؟ وانقطع عن الناس فلا يعرف ماهم عليه ، بل انه لم يكن يلين للسلاطين ويتذلل لهم حتى لايبالوا به ، ولم يكن يغلظ عليهم ، ويشتد معهم حتى ينفروا منه ، بل كان يعرف كيف يخاطبهم ، فيمدحهم بما هوفيهم من فضيلة ، وينكر عليهم ماهم فيه من مخالفة [1]. ولقد كان السلف " يتلطفون فى الانكار ، وأولى الناس بالتلطف فى الانكار على الامراء فيصلح أن يقال لهم : ان الله قد رفعكم فاعرفوا قدر نعمته ، فان النعم تدوم بالشكر ، فلا يحسن أن تقابل بالمعاصى [2]" .

وسيتناول الباحث بعضا من كتابات الامام النووي فى النصح للسلطان مع ملاطفته له فيقول النووي : " وقد أوجب الله على المكلفين نصيحة السلطان أعز الله أنصاره ، ... ومن نصيحة السلطان - وفقه الله لطاعته ، وتولاه بكرامته [3]" وقوله أيضا فى احدى رسائله " وقد شاع بين الخاص والعام أن السلطان كثير الاعتناء بالشرع ، ويحافظ على العمل به ، وأنه بنى المدارس لطوائف العلماء ، ورتّب القضاه من المذاهب الاربعة ، وأمر بالجلوس فى دار العدل لاقامة الشرع ، وغير ذلك مما هو معروف من اعتناء السلطان - أعز الله أنصاره - بالشرع ، وانه اذا طلب طالب منه العمل

---

(١) على الطنطاوى ، الامام النووي " مرجع سابق " ، ص ٣٢ .
(٢) ابن الجوزى ، تلبيس ابليس " مرجع سابق " ، ص ٢١٢ .
(٣) السخاوى " مرجع سابق " ، ص ٤٣ ، ٥٣ .

بالشرع أمر بذلك ولم يخالفه [١]" . وكل ماكتبه الامام النووى فى رسائله يهدف الى اصلاح الامور التى أصبحت مخالفة لشرع الله عز وجل وهدى نبيه صلى الله عليه وسلم ، ومع ذلك فالامام يذكر محاسن السلطان بيبرس دون غمط لها كما سبق ذكرها .

وغاية الامام النووى من ذلك هو ماذكره فى احدى رسائله للسلطان بقوله : " ونحن نحب للسلطان معالى الامور وأكمل الاحوال ، وما ينفعه فى آخرته ودنياه ، ويكون سببا فى دوام الخيرات له ، ويبقى ذكره له على ممر الأيام ، ويخلد فى سننه الحسنة ويجد نفعه [٢]" . وكذلك فان غرض الامام النووى وغايته من الاصلاح السياسى فى عصره ودعوته اليه باللسان والقلم ماهو الا " غيرة على الشرع ، واعظاما لحرمات الله تعالى ، واقامة للدين ، ونصيحة للسلطان وعامة المسلمين [٣]" .

وان أفضل جهاد هو كلمة حق عند سلطان ظالم لرعيته يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر [٤]" فنجد أن السلطان الظاهر بيبرس مع جبروته وسطوته وعنفوان قوته ، كان يفزع من الامام النووى لجرأته فى الحق دون مهابة من أحد . يقول القطب اليونينى : " انه - أى النووى - واقف الظاهر غير مرة بدار العدل بسبب الحوطة على بساتين دمشق فحكى عن الملك الظاهر أنه قال : أنا أفزع منه [٥]" .

---

(١) السخاوى ، ترجمة النووى " مرجع سابق " ، ص ٥٠ - ٥١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٣ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٥٣ .

(٤) رواه احمد وابن ماجة .

(٥) السخاوى " مرجع سابق " ، ص ٤٥ .

ويقول الحافظ الشمس بن ناصر الدين الدمشقى فى " التبيان لبديعه الزمان " : " وكانت له - أى للنووى - هيبة ووقار باهر حتى كان يخاف منه الملك الظاهر[١] " .

والواقع ان مايحصل للناس من سوء الادارة من قبل الزعماء والحكام يقع ضرره بالدرجة الاولى عليهم وعلى مصالحهم ، وفى هذا الصدد يقول المقريزى : " ليس بالناس سوى سوء تدبير الزعماء والحكام ، وغفلتهم عن النظر فى مصالح العباد [٢] " فما من شك أن الاصلاح عموما يبدأ من الفرد ثم يعود عليه فكذلك الاصلاح التربوى أيضا . وهناك ارتباط وثيق بين منهج الامام النووى الاصلاحى ومنهجه التربوى له حيث أن الامام النووى " لم يكن يكتفى بتلقين تلاميذه العلم فحسب ، بل كان يأخذهم بحسن السلوك مع الله ومع الناس[٣] " . اضافة الى اهتمامه بمشاكل مجتمعه وسعيه لحلها ، ولاصلاح المجتمع كله . فيقول : " اعلم ان التعليم هو الاصل الذى به قوام الدين وبه يؤمن امحاق العلم ، فهو من أهم أمور الدين وأعظم العبادات ".[٤]

لذا فان «العلم أساس كل اصلاح ، وتاج كل نهضة ، والتعليم ليس الا السبيل الى نشر العلم وتثقيف العقول به وتهذيب النفوس[٥] " . فعن

---

(١) السخاوى " مرجع سابق " ، ص ٦٣ .

(٢) تقى الدين احمد بن على المقريزى ، اغاثة الامة بكشف الغمة ،تقديم بدر الدين السباعى ( دار ابن الوليد ، ١٩٥٦ )،ص ك .

(٣) على الطنطاوى ، الامام النووى " مرجع سابق " ، ص ٢٦ .

(٤) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٥٠ .

(٥) احمد الاهوانى التربية فى الاسلام " مرجع سابق " ، ص ٥ .

طريق التعليم والتربية يحصل العلم للناس ، ومعرفة مايجب عليهم من حقوق وواجبات نحو الحكام والناس ، فالعلم مرتبط ارتباطا وثيقا بالاصلاح لأن الناس عن طريقه يعرفون مالهم وما عليهم ، فيتم بذلك التناصح بما يصلح الحكام عن طريق العلماء الغيورين على شرع الله ، وهذا يترتب عليه صلاح أحوال الناس والبلاد ، اذا فالدعوة الى الاصلاح مشروطة بالعلم ، لأن الجاهل ربما دعا الى الباطل ، وأمر بالمنكر ، ونهى عن المعروف ، وهذا اتجاه تربوى رشيد رسمه الامام النووى لمن يريد الاصلاح ، وهو أن يبدأ باصلاح البيئة ذاتها ،

**٢ - دعوته الى العدالة الاجتماعية وتطبيق الامر بالمعروف والنهى عن المنكر**

يعد الامام النووى من الذين " يحسون بآلام الناس ، وضيقهم ومظالمهم ، ليس عنده من حب الذات ذرة واحدة [١]" ، فانه كان يمشى مع المظلومين حتى تثبت حقوقهم فهو يسعى الى العدالة الاجتماعية فى مجتمعه ، ولذا فهو يرسل الرسائل متى عجز عن مواجهة الملوك والسلاطين ويتوصل الى ابلاغها للسلطان والتى تتضمن العدل فى الرعية ، وازالة المكوس عنهم ، ويذكّره دائما بالنظر فى أحوال رعيته والرفق بهم ، وازالة الضرر عنهم ، لأن الاسلام " يفرض قواعد العدالة الاجتماعية ، ويضمن حقوق الفقراء فى أموال الأغنياء ، ويضع للحكم وللمال سياسة عادلة [٢]" .

---

(١) عبد الغنى الدقر : الامام النووى " مرجع سابق " ، ص ١٥٨ .

(٢) سيد قطب : العدالة الاجتماعية فى الاسلام ( القاهرة : دار الشروق ، ١٤٠٠ ) ، ص ٢٠ .

فالعدالة الاجتماعية فى الاسلام هى " عدالة انسانية شاملة لكل جوانب الحياة الانسانية ومقوماتها ، وليست مجرد عدالة اقتصادية محدودة . وهى اذن تتناول جميع مظاهر الحياة وجوانب النشاط فيها ، كما تتناول الشعور والسلوك ، والضمائر والوجدانات . والقيم التى تتناولها هذه العدالة ليست القيم الاقتصادية وحدها ، وليست القيم المادية على وجه العموم ، انما هى هذه ممتزجة بها القيم المعنوية والروحية جميعا[1] " .

ومن خلال ذلك فقد حرص الامام النووى على مصلحة اخوانه من الفقهاء وغيرهم ، وذلك عندما صدر مرسوم سلطانى يقضى بأن لايكون الفقيه منزلا ( أى يعمل ) فى اكثر من مدرسة فيقول النووى فى ذلك : " قد بلغ الفقهاء أنه رسم فى حقهم بأن يغيروا عن وظائفهم ، ويقطعوا عن بعض مدارسهم ، فتنكدت بذلك أحوالهم ، وتضرروا بهذا التضييق عليهم ، وهم محتاجون ولهم عيال ... واللائق ... اكرام هذه الطائفة والاحسان اليهم ومعاضدتهم ، ودفع المكروهات عنهم والنظر فى أحوالهم بما فيه من الرفق بهم ، فقد ثبت فى صحيح مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " اللهم من ولى من آمر أمتى شيئا فرفق بهم فأرفق به [2] " . فتحقيقا للعدالة الاجتماعية فى مجتمعه ، دعا الامام النووى السلطان الى ابقاء الفقهاء فى مدارسهم لأنهم محتاجون للمال لكثرة عيالهم الذين يحتاجون الطعام والشراب والكساء وغير ذلك ، ولأن هؤلاء الفقهاء ليس لهم موارد رزق خاصة

---

(١) سيد قطب ، العدالة الاجتماعية " مرجع سابق " ، ص ٣٢ .

(٢) السخاوى ، ترجمة النووى " مرجع سابق" ، ص ٤٦ ؛ جلال الدين السيوطى ، المنهج السوى فى ترجمة الامام النووى ، ص ٢٩ - ٣٠ .

وانما مورد رزقهم بيد الحكام فليس للسلطان " أن يحفى الناس ، فيأخذ كل مالهم ويدعهم فقراء ؛ أو يجعل موارد رزقهم كلها فى يديه يستذل أعناقهم بها ويجعلهم عبيدا له ، ويفقدهم القدرة على أن يقوموا بواجبهم فى النصيحة الحرة والرقابة الواعية ، وتغيير المنكر أيا كان مصدره (١) "

ولقد أوضح الامام النووى تلك العدالة الاجتماعية فى احدى رسائله للسلطان الظاهر بيبرس ، وذلك عندما قرر السلطان أخذ مال من الرعية ليستنصر بها فى قتال العدو . قال فيه : " فاذا قرر السلطان له أجنادا مخصوصين ولهم أخبار معلومة من بيت المال كما هو الواقع ، تفرغ باقى الرعية لمصالحهم ومصالح الاجناد والسلطان وغيرهم من الزراعة والصنايع وغيرهما مما يحتاج الناس كلهم اليها ، فجهاد الاجناد مقابل بالاخبار المقررة لهم ولايحل أن يؤخذ من الرعية شئ مادام فى بيت المال شئ من نقد أو متاع أو أرض أو ضياع تباع أو غير ذلك ... وبيت المال بحمد الله معمور (٢) " .

فهنا الامام النووى يحدد مسئوليات الجند مادام لهم رواتب مخصصة من الدولة فى قتال الاعداء ، وكذلك عدم جواز أخذ المال من الرعية مادام بيت مال المسلمين عامرا بالاموال ، ويتمتع به السلطان وخاصته .

---

(١) سيد قطب ، العدالة الاجتماعية " مرجع سابق " ، ص ١١١ .

(٢) السخاوى " مرجع سابق " ، ص ٤١ - ٤٢ ، السيوطى ؛ المنهج السوى فى ترجمة الامام النووى " مرجع سابق " ، ص ٢٤ - ٢٥ .

لذا نرى الامام النووى لايجيز آخذ مال من الرعية حسب هذه الاحوال التى ذكرها • ولان من العدالة الاجتماعية ممارسة النقد البناء لصالح المجتمع بكل جرآة من قبل العلماء وهذا مافعله الامام النووى تجاه السلطان الظاهر بيبرس •

فلم يكن الامام النووى آنذاك يعيش فى برج عاجى منطويا على نفسه ، منفصلا عن مجتمعه ، بل كان عظيم التجاوب معه ، شديد الاحساس بما يجب عليه من المشاركة الايجابية فى اسعاده ، واصلاح حاله ، لان الرقى الاجتماعى فى صورته الحقيقية هو " آن يكون الفرد فعالا معطاءًا ذا آثر فى الحياة [1] " • وهذا ماكان عليه الامام النووى من قدرته على التكيف والاندماج مع الآخرين والعيش معهم ومخالطتهم والتفاعل معهم والاهتمام بشؤون آمته التى ينتمى اليها ، وبمجتمعه الذى هو فرد من آفراده • فهو يطبق قول الرسول صلى الله عليه وسلم وينفذه ليصبح من المسلمين : " من لم يهتم بآمر المسلمين فليس منهم [2] " • ويذكر الامام النووى آن آمور المسلمين لاتصل الى السلطان كما ينبغى بل تحرّف الى غير وجهها الصحيح ، وهذا ليس من العدالة الاجتماعية الحقة فى شئ • فالواجب على السلطان آن يتحرى ويتقصى آحوال رعيته ، لآن كل راع مسئول عن رعيته " فالراعى والرعية مطالبان كلاهما برعاية الله فى كل تصرف ، وخشية

---

(١) عز الدين التميمى ، بدر اسماعيل سمرين ، نظرات فى التربية الاسلامية ، ط ١ ( عمان : دار البشير ، ١٤٠٥ هـ ) ، ص ٧٤ •

(٢) رواه الحاكم فى المستدرك ٣١٧/٤ •

الله هى الضمانة الأخيرة فى تحقيق العدالة (1)" ولذا فان الامام النووى يعظ السلطان وينبه الى أمر خطير ألا وهو أن أمور المسلمين لاتنتهى اليه على وجهها بل تحرف حسب أهواء الولاة ، فيقول : " ولو رأى السلطان ما يلحق الناس من الشدائد ، لاشتد حزنه عليهم ... ولكن لاتنتهى اليه الامور على وجهها ، فبالله آغث المسلمين يغثك الله ، وارفق بهم يرفق الله بك (2)" . ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " مامن عبد يسترعيه الله رعية فلم يحطها بنصيحه الا لم يجد رائحة الجنة (3)" .

فمحصلة القول أن " العدالة فى نظر الاسلام مساواة انسانية ينظر فيها الى تعادل جميع القيم ، بما فيها القيمة الاقتصادية البحتة. وهى على وجه الدقة تكافؤ فى الفرص ، وترك المواهب بعد ذلك تعمل فى الحدود التى لاتتعارض مع الاهداف العليا للحياة (4)" . والمهم فى عدالة الاسلام " أنها لم تكن مجرد نظريات ، بل أخذت طريقها الى واقع الحياة (5)" ومن هنا كان العدل أصلا من أعظم أصول التشريع فى الاسلام ، فأينما تحقق كان التشريع الاسلامى معه . يقول ابن القيم فى ذلك فى كتابه " الطرق الحكمية " : " فاذا أظهرت آمارات العدل وأسفر وجهه بأى طريق كان فثم شرع الله ودينه (6)" .

---

(1) سيد قطب ، العدالة الاجتماعية " مرجع سابق " ، ص ١١٢ .
(2) السخاوى ، ترجمة النووى " مرجع سابق " ص ٤٤ ؛ السيوطى المنهج السوى " مرجع سابق " ، ص ٢٨ .
(3) رواه الشيخان أى البخارى ومسلم .
(4) سيد قطب ، العدالة الاجتماعية " مرجع سابق " ، ص ٣٥ .
(5) المرجع السابق، ص ١٠٦ .
(6) أبى عبد الله محمد بن ابى بكر المعروف بابن قيم الجوزيه ، الطرق الحكمية فى السياسة الشرعية ، تقديم محمد محي الدين عبد الحميد مراجعة احمد عبد الحليم العسكرى (القاهرة : المؤسسة العربية للطباعة والنشر ، ١٣٨٠ ) ، ص ١٦ .

وكذلك " فالعدالة الاجتماعية لاتكون دائما على حساب الفرد . فهى للفرد ، كما هى للجماعة [١] على حد سواء .

ويعد الامر بالمعروف والنهى عن المنكر منهجا للاصلاح الاجتماعى ولـذا فـان تحقيق الامر بالمعروف والنهى عن المنكر مطلوب من كل فرد فى المجتمع ، لأنه المسؤول وحده أمام ربه عن سلوكه ، وعن حسن تعاونه مع بقية أفراد مجتمعه ، وعن تطبيق مبدأ الامر بالمعروف والنهى عن المنكر على نفسه وعلى الآخرين .

ولقد كان الامام النووى يسعى الى تطبيق مبدأ الامر بالمعروف والنهى عن المنكر على نفسه وعلى أفراد مجتمعه . وذلك مايرويه عنه الامام الذهبى المؤرخ فيقول : " كان عدم المثل في الامر بالمعروف والنهى عن المنكر [٢] " ولقد أجمع المؤرخون على أن الامام النووى - رحمه الله - كان لايبالى فى أمره ونهيه لومة لائم ، بل لايبالى بالاهانة أو الموت ، ولايكبر عنده أحد عن النصيحة حتى العلماء والامراء والملوك

---

(١) سيد قطب ، العدالة الاجتماعية " مرجع سابق " ، ص ١١٧ .
(٢) الذهبى ، تذكرة الحفاظ ، " مرجع سابق ، جـ ٤ ، ص ١٤٧٣ .

والجبابرة ، يقول عنه تلميذه ابن العطار : " كان النووى مواجها للملوك والجبابرة بالانكار ، لا يأخذه فى الله لومة لائم [(١)] " . ويقول الحافظ الشمس بن ناصر الدين الدمشقى فى " التبيان لبديعة الزمان " عنه : " ... والقيام بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر [(٢)] " .

ويقول الذهبى عنه كذلك : " وكان يواجه الملوك والظلمة بالانكار ، ويكتب اليهم ويخوفهم بالله تعالى [(٣)] " . وهناك قضايا مشهورة وقفها الامام النووى فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فى وجه الملك الظاهر بيبرس ومن أشهرها قضية الحوطة على الغوطة " بساتين الشام " . يروى القطب اليونينى موقف الامام النووى فى ذلك فيقول : " واقف الظاهر غير مرة بدار العدل بسبب الحوطة على بساتين دمشق وغير ذلك [(٤)] " .

وقال العماد ابن كثير : " أنه قام على الظاهر فى دار العدل فى قضية الغوطة لما أرادوا وضع الاملاك على بساتينها ، فرد عليهم ذلك[(٥)] " . ويقول السبكى فى طبقاته الوسطى : " وطال مافاه بالحق لا تأخذه لومة لائم ، ونادى بحضرة الاسود الضراغم ... ونطق معتصما بالباطن الظاهر غير ملتفت الى الملك الظاهر[(٦)] " .

---

(١) السخاوى ، ترجمة النووى ، " مرجع سابق " ، ص ٤٠ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٦٣ .
(٣) الذهبى ، تذكرة الحفاظ ، " مرجع سابق " ج ٤ ، ص ١٤٧٣ .
(٤) السخاوى ، ترجمة النووى " مرجع سابق " ، ص ٤٥ .
(٥) المرجع السابق ، ص ٤٥ .
(٦) المرجع السابق ، ص ٦٠ - ٦١ .

ولا غرو اذا كان الامام النووى لايبالى فى سبيل الله ، وفى سبيل الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ان يقتل أو يقطع رزقه ، فلا يبالى بالاولى أن يهان او يطرد او يضرب . وكان لايسكت عن اى مخالفة شرعية مهما يكن مصدرها من ادنى الناس الى الملوك والرؤساء، ولم يكن يبالى فى الحق ملكا ولا سلطانا ولا عالما من العلماء حتى وان كان شيخه التاج الفزارى وذلك عندما فتح السلطان الظاهر بيبرس الفتوحات المشهورة وعم الناس الجوارى وتسروا بهن سئل التاج الفزارى عن ذلك فرخص فيه ، وصنف جزءا فى إباحة ذلك من غير تخميس . يقول القطب اليونينى :

" فحصل للناس بقوله : ( أى التاج الفزارى ) خير عظيم لان الناس لم يزالوا يغنمون ويستولدون الجوارى ويبيعوهن فيحكم الحكام بصحة بيعهم وشرائهم واجراء جميع مايتعلق بهم على حكم الصحة . ولو فتحوا باب وجوب تخميس الغنائم لحرم وطء كل جارية تغنم قبل تخميسها ، لان نكاح الجارية المشتركة حرام فيؤل ذلك الى مفاسد كثيرة . فلما وقف الشيخ النووى على ذلك نقضه كلمة كلمة وبالغ فى الرد عليه ( اى على التاج الفزارى ) ونسبه الى أنه خرق الاجماع فى ذلك واطلق لسانه وقلمه فى هذا المعنى[1] " .

وكان يصرف اوقاته كلها فى العلم والعمل والامر بالمعروف والنهى عن المنكر يقول عنه تلميذه ابن العطار : " قد صرف أوقاته كلها فى أنواع العلم والعمل . فبعضها للتصنيف وبعضها للتعليم ، وبعضها للصلاة . وبعضها للتلاوة والتدبر ، وبعضها للامر بالمعروف والنهى عن المنكر[2] ".

---

(١) السخاوى " مرجع سابق " ، ص ٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٦ .

ويقول عنه كذلك التقى محمد بن الحسن اللخمى فيقول : " ... مثابرا على الصوم ، والامر بالمعروف والنهى عن المنكر فى آشد المواطن وأصعبها [(١)] ". كما قال المحدث ابو العباس أحمد بن فرح الاشبيلى ، ونقله الذهبى عنه قوله : " كان الشيخ محيي الدين قد صار اليه ثلاث مراتب ، كل مرتبة منها لو كانت لشخص شدت اليه آباط الابل من أقطار الارض ، المرتبة الاولى : العلم والقيام بوظائفه . والمرتبة الثانية : الزهد فى الدنيا ، والمرتبة الثالثة : الامر بالمعروف والنهى عن المنكر [(٢)] " ... يقول الذهبى أيضا فى وصف الامام النووى فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر : " ... يقول الحق وان كان مرا ، لايخاف فى الله لومة لائم [(٣)] " . ولقد كانت حياة الامام النووى كلها " وقفا على الدعوة الى دين الله اما بالكتابة والتصنيف أو الاقبال الى الناس حكاما ومحكومين يذكرهم بالله ويدعوهم اليه [(٤)] " وكان رحمه الله يقوم بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر بالموعظة الحسنة والكلام اللين واما بالكتابة اذا عجز عن المواجهة يقول السخاوى : " وكان أمره بالمعروف ونهيه بلسانه وقلمه [(٥)] " ويقول أيضا عبد الرحمن بن يوسف البعلى فيه : " وكان آمّارا بالمعروف

---

(١) السخاوى " مرجع سابق " ، ص ٥٦ .

(٢) الذهبى ، تذكرة الحفاظ " مرجع سابق " ، حـ ٤ ، ص ١٤٧٣ . ، السيوطى ، المنهاج السوى " مرجع سابق " ، ص ١٢ .

(٣) السخاوى ، " مرجع سابق " ، ص ٣٩ .

(٤) محمد سعيد رمضان البوطى ، هكذا فلندع الى الاسلام ، ( بيروت : الشركة المتحدة للتوزيع ، د . ت ) ، ص ٣١ .

(٥) السخاوى " مرجع سابق " ، ص ٣ .

ناهيا عن المنكر على الامراء والملوك والناس عامة [١]" .

ونجد أن الامام النووى قد توفرت فيه شروط الامر بالمعروف والنهى عن المنكر منها :

١ – أن يكون الآمر بالمعروف والنهى عن المنكر فقيها عالما بأوامر الله ونواهيه ، فلا يتخذ عقله أو ذوقه أو هواه مصدرا لأوامره ونواهيه فيضل الناس بغير علم ، وأن يكون عارفا بعلل الأحكام ومناط الأمر والنهى ( الحكم ) . حتى لا يأمر أو ينهى بدون معرفة لسبب الأمر والنهى[٢]. فكان الامام النووى متحليا بالفقه والعلم التام بما يأمر به وماينهى عنه . ويقول سفيان الثورى رحمه الله فى ذلك : " لايأمر السلطان بالمعروف الا رجل عالم بما يأمر ، عالم بما ينهى ، رفيق فيما يأمر ، رفيق بما ينهى ، عدل فيما يأمر ، عدل فيما ينهى [٣]" .

٢ – وينبغى أن يكون رفيقا حليما بالناس عند الامر والنهى . اذ الرفق والحلم من لوازم دعوة الناس حتى نحصل على الغرض المطلوب من الامر والنهى " لأن الله رفيق يحب الرفق فى الامر كله . وما وجد الرفق فى أمر الا زانه وما نزع من شىء الا شانه [٤]" . وتحقيقا لقوله

---

(١) السخاوى " مرجع سابق " ، ص ٥٧ .

(٢) تقى الدين أبو العباس احمد بن تيمية ، الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، تحقيق محمد السيد الجليند ، ( جدة : دار المجتمع للنشر والتوزيع ، ١٤٠٤ ) ، ص ٧ – ٨ .

(٣) احمد بن عبد الله احمد ابو نعيم الاصبهانى ، حلية الاولياء وطبقات الاصفياء " مرجع سابق " حـ ٦ ، ص ٣٧٩ .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب البر ، باب الرفق ، حـ ٤/٢٠٠٤ .

تعالى : ﴿ أدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ (١) ﴾ .

٣ - وينبغي أن يكون شجاعا في الحق ، والمراد بالشجاعة شجاعة القلب ورباطة الجأش وليست الشجاعة المطلوبة هنا في قوة الجسم أو شدة العضلات . بالاضافة الى تحلى الداعية الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر بالصبر على اذى الناس ، لان الداعية لابد أن يتعرض لكثير من أذى الناس في المال أو النفس أو الاهل .

ونجد أن تلك الأمور السابقة الفقه والعلم - الصبر - الحلم - الرفق - كان الامام النووي يتحلى بها حتى أصبح عديم المثل في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر كما قال الامام المؤرخ الذهبي .

وخلاصة القول بأن هذا الأسلوب وهو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر " من الامور الضرورية في المجتمع الاسلامي ، اذ أن الامر بالمعروف هو وسيلة اصلاح الافراد والجماعات والمجتمع ، كما أن النهي عن المنكر وسيلة يتطبّع بها من آتى منكرا ان يجد من ينهاه عنه ويرشده الى الصواب ويأمره بالمعروف فيعتدل سلوكه ويفيق الى الحق . وهذا الاسلوب لو أهمله المسلمون لعمهم البلاء ولفسد المجتمع " مصداقا لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " ما أقر قوم المنكر بين أظهرهم الاّ عمهم الله بعذاب محتضر " (٢) .

---

(١) سورة النحل ، آية رقم ١٢٥ .

(٢) فوزى سالم عفيفى ، السلوك الاجتماعى بين علم النفس والدين ( الكويت : وكالة المطبوعات ، د. ت ) ، ص ٢٠٣ - ٢٠٤ .

فالامر بالمعروف والنهى عن المنكر مبدأ تربوى من المبادئ التربوية السامية والضرورية والتى ينبغى على المسلمين كافة وعلى العلماء خاصة العمل به وتطبيقه التطبيق الامثل والصحيح حتى يؤتى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر أكله وليسود فى المجتمع الاصلاح واتباع منهج الله عز وجل دون انتهاك لحدوده ومحارمه . ولتعود الامة الاسلامية الى سالف مجدها خير أمة أخرجت للناس لان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر كان أحد الركائز الاساسية لها والاركان القائمة عليها .

# الباب الثاني

# الفكر التربوي عند الإمام النووي

# الفصل الأول

- المنهاج .
- أعراض التعليم .
- العوامل المؤثرة في التعلم .
- طرق التدريس والدراسة في نظره .

# الباب الثانـــى

## الفكر التربوى عند الامام النووى

### الفصـل الأول

### أولا - المنهـــاج

قبل أن نتعرف على المنهاج الدراسى عند الامام النووى يحسن بنـــا أن نعرف المنهاج فى اللغة وهو " الطريق الواضح ، وكذلك المنهج والنهج "(١) وقد وردت لفظة " منهاج " فى قوله تعالى :﴿" لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَـــةً وَمِنْهَاجاً (٢)﴾ وهى فى هذه الآية الكريمة تعنى أيضا الطريق البيّــن الواضح (٣) " .

" أما فى الميدان التربوى فقد استخدم هذا المصطلح للدلالة علـى أكثر من معنى ، بل ان المرء قد يخرج بصورة مشوشة عندما يطالع التعريفات المتعددة للمنهاج(٤)" . ونجد أن هناك مفهومين متباينين للمنهـــاج : المفهوم القديم أو " التقليدى " والمفهوم الحديث أو " الشامل " .

فنجد أن المنهاج بمفهومه التقليدى يركز تركيزا قويا على ايصـال مجموعة محددة من المعلومات والحقائق الى أذهان المتعلمين ، كما أنـــه

---

(١) ابن الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقى ،لسان العرب ( بيروت : دار صادر ، د٠ ت ) م ٢ ، ص ٣٨٣ ٠

(٢) سورة المائدة ، آية رقم ٤٨ ٠

(٣) محمد على الصابونى ، صفوة التفاسير ، م١ ،ط ٤ ( بيروت : دار القرآن الكريم ، ١٤٠٢ هـ ) ، ص ٣٤٦ - ٣٤٧ ٠

(٤) عبد الرحمن صالح عبد الله ، المنهاج الدراسى ( الرياض : مركز الملك فيصـل للبحوث والدراسات الاسلامية ، ١٤٠٥ ) ، ص ٣ ٠

يهتم بتبسيط المعارف والعلوم كى يتمكن المتعلمون من حفظها واستظهارها[١] ولذا فهو يوجه العناية الى جانب من جوانب القدرة الذهنية فقط دون غيرها مثل الحفظ والتذكر مع إغفال أى نشاط آخر ليس له صلة باتقان المادة الدراسية ويجعل ذلك خارجا عن نطاق المنهج[٢]، ثم ان المعلم فى هذا المنهاج التقليدى يحرص كل الحرص على معرفة مقدار ماحفظه طلابه ، كذلك لاننسى أن طريقة الشرح أو الالقاء هى التى كانت سائدة فى ظل المنهاج التقليدى[٣] .

ويمكننا القول بأن مصطلح المنهاج بمفهومه التقليدى يعنى المقررات الدراسية[٤] فنجد من عرّفه بأنه : " مجموعة نظامية من الدروس الاكاديمية المطلوبة للحصول على شهادة فى حقل من الحقول الدراسية[٥] " ، كما كان ينظر الى المنهاج قديما على أنه " مجموعة من المواد يفرض على التلميذ أن يتعلمها ويستظهرها ... وكان ينظر أيضا الى الكتاب المقرر ومتابعة دراسته على أنه النوع الوحيد من أنواع التعلم[٦] " .

(١) عبد الرحمن صالح، المنهاج الدراسى" مرجع سابق "، ص ٣ - ٤ .

(٢) بريكان بركى القرشى ، القدوة ودورها فى تربية النشء ، ط٢ (مكة : المكتبة الفيصلية ، ١٤٠٥ ) ، ص ٦٣ .

(٣) عبد الرحمن صالح ، " مرجع سابق " ، ص ٦ - ٧ .

(٤) حلمى الوكيل ، محمد امين مفتى ، أسس بناء المناهج وتنظيماتها ( القاهرة : مطبعة حسان ، ١٩٨٢ ) ، ص ٦ .

(٥) فريد نجار وآخرون ، قاموس التربية وعلم النفس التربوى ( بيروت : الجامعة الامريكية ، ١٩٠٦ ) ، ص ١٢٢ .

(٦) صالح عبد العزيز، التربية الحديثة - مادتها - مبادئها - تطبيقاتها العملية - ط ٧ ( مصر : دار المعارف ، ١٩٦٩ ) ، ص ٢٣٥ .

وفى ضوء هذا المنهاج التقليدى فالمعلم يلعب دورا حاسما وفعالا فى عملية التعليم بينما يقتصر دور ونشاط التلميذ على مجرد الاستماع وتلقى مايقوله المعلم " بل ان الهدف من التربية انتقل من المتعلم الى المادة الدراسية فأصبح اتقان المقرر الدراسى هو الركن الأساسى فى المنهاج التقليدى بغض النظر عن مدى ملاءمته لحالات المتعلمين ودوافعهم " (١) وعلى هذا نجد " ان الكتاب المقرر كان يلعب دورا كبيرا فى تحديد المنهج (٢) " .

أما ما يتعلق بالخبرات التى يحصل عليها المتعلمون ، والأنشطة المدرسية خارج المدرسة أو داخلها فى ظل المنهاج التقليدى فيعتبر ضربا من الترف الفكرى ، اذ لم يكن يلقى لها بال من مخططى المنهج، وبالتالى " فهى لا تلقى أدنى اهتمام من القائمين على أمور التربية لوقوعها خارج اهتمام المدرسة (٣) " .

أما فى العصر الحديث ( فى القرن الثامن عشر الميلادى وما بعده ) فقد اتجه علماء التربية الحديثة الى تلافى العيوب والقصور الذى تضمنه المنهاج القديم أو " التقليدى " بحيث " أصبح المنهج يعمل على النواحى التالية :

- العناية الشاملة بجميع نواحى نمو التلاميذ .
- الاهتمام بتوجيه سلوك التلاميذ نحو الأهداف التربوية المنشودة .

---

(١) عبد الرحمن صالح ،المنهاج الدراسى ، " مرجع سابق " ، ص ٤ .
(٢) صالح عبد العزيز " مرجع سابق " ، ص ٢٣٥ .
(٣) عبد الرحمن صالح " مرجع سابق " ، ص ٥ .

- تهيئة المجال أمام التلاميذ لتكامل خبراتهم وتفاعلهم مع بيئتهم .
- توثيق الصلة بين المدرسة والمجتمع .(١)

وبناء على المواصفات الجديدة للمنهاج ، فقد أصبح مفهوم المنهاج الحديث أو " الشامل " يعنى " مجموع الخبرات ( الثقافية والاجتماعية والرياضية والفنية ) والمواقف التعليمية وأوجه النشاط التى توفرها المدرسة لتلاميذها داخل جد رانها وخارجها بهدف مساعدتهم على النمو المتكامل لنواحى شخصياتهم ، وتعديل سلوكهم ، طبقا لأهدافها التربوية ، لتجعل منهم أفرادا نافعين لأنفسهم ولمجتمعهم[٢] " . كما يعرّف المنهاج بمفهومه الحديث أيضا بأنه " مجموع الخبرات التى تهيؤها المدرسة للتلاميذ داخلها أو خارجها بقصد مساعدتهم على النمو الشامل أى النمو فى جميع الجوانب - العقلية ، الثقافية ، الدينية ، الاجتماعية ، الجسمية ، النفسية ، الفنية - نموا يؤدى الى تعديل سلوكهم ويعمل على تحقيق الاهداف التربوية المنشودة [٣] " .

ولاشك أن المنهاج الدراسى الذى تناوله الامام النووى يتناول المنهج القديم " التقليدى " الذى يركز أساسا على حفظ واستظهار المقررات الدراسية وأهمها كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم الصحيحة

---

(١) عرفات عبد العزيزسليمان ، المعلم والتربية - دراسة تحليلية مقارنة لطبيعة المهنة - ، ط ٢ ( القاهرة : مكتبة الانجلوالمصرية ، ١٩٨٢ ) ، ص ٩٧ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٩٨ .
(٣) حلمى الوكيل " مرجع سابق " ، ص ١٩ .

وما نشأ حول كل منهما من فروع وعلوم ذات صلة وثيقة بهما ، دون أن يغفل الاهتمام بالنمو الشامل فى جميع النواحى للتلاميذ وتعديل سلوكهم ، ولكن نجد أن ذلك الاهتمام من قبله أتى ضمنا فى كتاباته كما سيتضح لنا لاحقا .
ولقد وضح الامام النووى ذلك المنهاج الدراسى الذى كان يسير عليه المعلم فى تعليمه المتعلمين المبتدئين بقوله : " وأول مايبتدىء بـــه ( أى المتعلم ) حفظ القرآن ... ، وبعد حفظ القرآن يحفظ من كل فن مختصرا ، ويبدأ بالأهم ، ومن أهمها الفقه والنحو ثم الحديث والاصول ثم الباقى على ماتيسر [1] " . وهذا يؤكد الاهتمام بمعرفة كل انواع العلوم .

ونرى أن الامام النووى لديه ترتيب أولويات فى المنهاج الدراسى والذى ينبغى على المعلم أن يتدرج فى تعليمه اياه بادئا بالأهم منهـا كما ذكر مجملا فيقول فى ذلك : " ويكون تعليمه ( أى المعلم ) اياهـم ( اى المتعلمين ) ... تدريجيا شيئا فشيئا لتجتمع لهم مع طول الزمان جمل كثيرات [2] " . على النحو التالى :

أ - حفظ القرآن الكريم دون الاشتغال عنه بغيره ، فهو من أهم العلوم على الاطلاق ولقد اعتبر الامام النووى نسيان القرآن الكريم من الكبائر وهذا ماصرح به فى كتابه " الروضة " واستشهد بحديث أبى داوود " عرضت علىّ ذنوب أمتى فلم أر ذنبا أعظم من سورة أو آية أوتيتها رجل ثم نسيها [3] " .

---

(١) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٦٤ - ٦٥ .
(٢) المرجع السابق، ص ٥٥ .
(٣) السيوطى ، الاتقان فى علوم القرآن ، ط ٣ ( مطبعة حجازى ، ١٩٤١ ) ، ج ١ ، ص ١٨١ .

٢ - حفظ مختصر من كل فن حسب الأهميـة . وأهمها بدء الفقه والنحو ثم الحديث والاصول ثم الباقى من الفنون حسب الاستطاعـة [١] .

٣ - الانتقال بعد اتمام بحث المختصرات الى بحوث مطولة أكبر منهـا ، مع الاهتمام بالمطالعة المتقنة للكتب وتمحيص ماجاء فيها مع التعليق عليها دون أن يحتقر أى فائدة يراها المتعلم أويسمعها فى أى فن كانت وعليه بالمبادرة بكتابتها مع المواظبة المستمرة على كل ما كتبه من خلال مطالعته الدائمة لهـا . [٢]

٤ - الاعتماد على المتخصصين فى كل فن وذلك بشرح الدروس المطلوب حفظها عليهم دون الاعتماد على الكتب وحدها استقلالا لان ذلك يسبب أضرارا على المتعلمين ويستشهد النووى بقول الامام الشافعـى " من تفقه من الكتب ضيع الاحكام [٣] " وبناء على ذلك لابد للتعليم أن يحدث بوجود المعلم ، لأن المعلم من أهم عناصر العملية التعليميـة .

٥ - الاعتناء بكل الدروس والتعليق عليها ما امكن ، فان عجز اعتنى بالاهـم [٤] .

---

(١) النووى ، المجموع ،" مرجع سابق " ، ص ٦٥ .
(٢) المرجع السابـق ، ص ٦٥
(٣) المرجع السابـق ، ص ٦٤
(٤) المرجع السابـق ، ص ٦٥

- أهميـــة العلـــوم :

وبناء على ماسبق نرى أن الامام النووى دعا المتعلم الى التدرج فى التعليم وبخاصة للمبتدئين بادئا بأهم العلوم على الاطلاق وهو حفظ كتاب الله العزيز ، وهذا التدرج فى التعليم مطلوب لأن الانسان لايصل الى درجة النضج الفكرى دفعة واحدة ، وانما يتدرج فى ذلك حسب استعدادات المتعلم وقدراته .

ويتضح لنا من المنهاج الدراسى الذى ذكره الامام النووى أن هناك علوما اجبارية فى المنهاج أولها القرآن الكريم والذى هو أول العلوم الشرعية التى ينبغى أن يحفظها المتعلمون بل هو المحور الاساسى الذى يدور عليه التعليم . ولقد جعل الامام النووى حفظ القرآن والاحاديث وعلومهما من فروض الكفاية حيث يقول : " فرض الكفاية وهو تحصيل مالابد للناس منه فى اقامة دينهم من العلوم الشرعية كحفظ القرآن والاحاديث وعلومهما (١)" .

وأما عن تنظيم المنهاج الدراسى عند الامام النووى فانه يطلب من المعلم تقديم الدروس حسب أهميتها ويبدأ بالاهم فالمهم يقول الامام النووى فى ذلك : " فان ذكر [ أى المعلم ] دروسا قدم أهمها ؛ فيقدم التفسير ثم الحديث ثم الاصولين [ أصول الفقة وأصول الدين ] ثم المذهب ثم الخلاف ثم الجدل (٢)" .

- أنواع العلـــوم :

ولقد قسم الامام النووى العلوم الشرعية فى " مقدمة مجموعه " الى ثلاثة أقسام :

---

(١) النووى ، المجموع " مرجع سابق" ، ص ٤٤ .

(٢) المرجع السابق، ص ٥٦ - ٥٧ .

القسم الاول : فرض العين - " وهو تعلم المكلف ما لايتأدى الواجب الذى تعين عليه فعله الا به . ككيفية الوضوء والصلاة ونحوهما (١) "

القسم الثانى : فرض الكفاية : " وهو تحصيل مالابد للناس منه فى اقامة دينهم من العلوم الشرعية ، كحفظ القرآن والاحاديث وعلومهما ، والاصول ، والفقه ، والنحو، واللغة ، والتصريف ومعرفة رواة الحديث ، والاجماع ، والخلاف (٢) " .

أما ما يتعلق بالعلوم غير الشرعية كالطب والحساب ويحتاج اليه الناس فى قوام أمر الدنيا فان الامام النووى يرى أنها فرض كفاية . كما يرى ايضا " ان تعلم الصنائع التى هى سبب قيام مصالح الدنيا كالخياطة والفلاحة ونحوها " " هى فرض كفاية وهذا أظهر (٣) " .

القسم الثالث : النفل " وهو كالتبحر فى أصول الادلة والامعان فيما وراء القدر الذى يحصل به فرض الكفاية ، وكتعلم العامى نوافل العبادات (٤) " .

أما العلوم غير الشرعية فقد قسمها الامام النووى من حيث حكمها الشرعى الى ثلاثة أقسام أيضا :

---

(١) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٤١ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٤٤ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٤٤
(٤) المرجع السابق ، ص ٤٥ .

القسم الاول : " محرم كتعلم السحر فانه حرام على المذهب الصحيح وبه قطع الجمهور وكذلك الفلسفة ، والشعبذة [الشعوذة ] ، والتنجيم وعلوم الطبائعيين [ علم الكلام ، وعلم المنطق] " وكل ماكان سببا لاثارة الشكوك [ أى فى الناحية العقائدية ] . ويتفاوت فى التحريم [(١)] "ونجد أن الامام النووى قد قصر التحريم على طائفة معينة " اذ يقول موضحا ذلك : " بل الصواب للعوام وجماهير المتفقهين والفقهاء الكف عن الخوض فى دقائق الكلام مخافة من اختلال يتطرق الى عقائدهم يصعب عليهم اخراجه [(٢)] " . فقوله السابق لعل فيه حماية لجناب التوحيد من الانحراف الذى يخشى أن يقع فيه الناس .

القسم الثانى : : " المكروه كاشعار المولدين التى فيها الغزل والبطالة [(٣)] " .

القسم الثالث :" المباح كاشعار المولدين التى ليس فيها سخف ولاشىء مما يكره ولا ماينشط الى الشر ، ولا مايثبط عن الخير ولا مايحث على خير أو يستعان به عليه [(٤)] " .

---

(١) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٤٥ .
(٢) المرجع السابق، ص ٤٢ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٤٥ .
(٤) المرجع السابق ، ص ٤٥ - ٤٦ .

ويود الباحث أن ينهى هذا الموضوع بالاشارة الى حقيقة هامة وهى أن عناية المربى المسلم الامام النووى فى المنهاج الدراسى بالحفظ لم تحل دون التأكيد على الفهم للدروس وعدم الاقتصار على حفظ الالفاظ واستظهار الجمل حيث أن للامام النووى أقوالا عدة ٠ تؤكد على مبدأ الفهم دون الاقتصار على الحفظ فقط فمن هذه الاقوال قوله : " واذا ذكر لهم درسا تحرى تفهيمهم بأيسر الطرق (١)" ٠ وقوله كذلك : " ويختبر ٠٠٠ أفهامهم (٢)" وقوله أيضا : " ويحرص على القرب من الشيخ ليفهم كلامه فهما كاملا بلا مشقة (٣)" وقوله : " واذا قال له الشيخ أفهمت ؟ فلا يقل نعم حتى يتضح له المقصود ايضاحا جليا لئلا يكذب ويفوته الفهم (٤)" ٠

وبناء على أقوال الامام النووى السابقة فان الفهم عنده ركيزة أساسية فى العملية التعليمية حيث لاينفع الحفظ دون الفهم بل لابد أن يكونا معا ليكون ذلك باعثا على التفكير الصحيح ٠

ولقد ساد مفهوم التعلم كعملية حفظ للمعلومات ، ولم يكن فهم الامام النووى للتعلم على أنه عملية تذكر لما يحفظونه غريبا ، اذ أن ذلك الفهم يدخل ضمن مفاهيم عصره وثقافته التى أسهمت فى تشكيل فكره والتى جعلته يؤكد على التحصيل والتذكر باعتبارهما قوام عملية التعلم (٥) ٠

---

(١) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٥٦ ٠
(٢) المرجع السابق، ص ٥٨ ٠
(٣) ،(٤) المرجع السابق ، ص ٦٢ ٠
(٥) حسن عبد العال " من قضايا التربية فى رسالة اللؤلؤ لابن يحي الانصارى " ، مجلة العلوم الاجتماعية ، العدد السابع (الرياض: جامعة محمد بن سعود الاسلامية ، ١٤٠٣ ) ، ص ١٥٣ ٠

## ثانيا : أغراض التعليم

من المعروف أن كل تعليم له أهداف أو أغراض يسعى الى تحقيقها المتعلمون ، فالهدف هو الغرض الذى يسعى الانسان الى تحقيقه ، وقد رسم له الطريقة والوسيلة التى من شأنها أن تحقق هذا الهدف .

وسيتناول الباحث بعض الأغراض أو الاهداف التى ذكرها الامام النووى ضمن مقدمة " مجموعة " والتى يمكن ايجازها على النحو التالى :

### أولا - تحقيق النفع الدينى للمتعلمين :

يرى الامام النووى ان التعليم أداه فعالة لتحقيق النفع الدينى الاخروى للمتعلم عند الله سبحانه وذلك عندما يريد بتعلمه وجه الله تعالى فحسب دون أن تكون بغيته من التعليم الوصول الى غرض دنيوى كالحصول على الشهادات أو الوصول الى المناصب العليا أو الوجاهة أو السمعة أو غير ذلك ، فمن كان غرضه شيئا من ذلك ليس له نصيب فى الآخرة ، لذا ينبغى على المتعلم الاّ يطمع بشىء من الدنيا لكى ينال الفضل العظيم والخير الكثير من الله ، كما ينبغى عليه أيضا الاشتغال بطلب العلم النافع وملازمته يقول الامام النووى موضحا ذلك الغرض : " ان يقصد بعلمه وجه الله تعالى ولايقصد توصلا الى غرض دنيوى كتحصيل مال أو جاه أو شهرة أو سمعة أو تميز عن الاشباه ، ... ولايشين علمه بشىء من الطمع [١] " .

---

(١) النووى ، المجموع ، " مرجع سابق " ، ص ٣٥ .

ولقد استشهد الامام النووى على ذلك الغرض بالعديد من الآيات الكريمة والاحاديث الشريفة فمنها قال الله تعالى : ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ [١] ﴾ ، ومن الاحاديث :عن معاوية رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين " رواه البخارى ومسلم . وعن أنس رضى الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من خرج فى طلب العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع " رواه الترمذى ، وقال حديث حسن .

ومن الأثر عن معاذ رضى الله عنه : " تعلموا العلم فان تعلمه لله خشية ، وطلبه عبادة ، ومذاكرته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وتعليمه من لايعلمه صدقة وبذله لأهله قربة [٢] " وقال الشافعى : " من أراد الدنيا فعليه بالعلم ، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم [٣] " وقال بعضهم " أليس يستغفر لطالب العلم كل شىء أفكهذا منزلة [٤] " . وهناك الكثير من الآيات والاحاديث والاثار الدالة على حصول النفع الدينى الاخروى عند الله عز وجل للمتعلم منها ما استشهد به الامام النووى قول الشافعى رحمه الله " من أراد الدنيا فعليه بالعلم ، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم [٥] " .

---

(١) سورة المجادلة ، آية رقم ١١ .
(٢) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٣٣ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٣٤
(٤) المرجع السابق ، ص ٣٤
(٥) المرجع السابق ، ص ٢٩

هذا فيمن طلب العلم مريدا به وجه الله تعالى ، لا لغرض من أغراض الدنيا ، وقد ذكرنا بعض الفضل الذى يحصل للمعلم على ذلك . أما من أراد بعلمه غير الله تعالى مريدا به غرضا دنيويا فقد أورد الامام النووى فصلا فى ذم من أراد بفعله غير الله تعالى[1].

وبيّن لنا الامام النووى أن من طلب العلم من المتعلمين يريد به شيئا من الدنيا كرياسة أو منصب أو نحو ذلك فهو مذموم ، وعلى المتعلم أن يريد بعلمه وجه الله تعالى ليرجو ثوابه فى الاخرة دون أن ينسب اليه من علمه شىء ، وفى ذلك يقول الامام النووى : " ولايشين علمه وتعليمه بشىء من الطمع فى رفق تحصل له من مشتغل عليه من خدمة أو مال أو نحوهما وان قلّ ولو كان على صورة الهدية التى لولا اشتغاله عليه لما أهداها اليه[2]" . وقد استشهد الامام النووى على كلامه بالعديد من الآيات والاحاديث الشريفة والآثار فمنها : " قال الله تعالى :﴿ **من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب** ﴾[3]" .

ومن الاحاديث ماروى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله عز وجل لايتعلمه الا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة [يعنى ريحها] "

---

(١) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٣٩ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٤٦ .
(٣) سورة الشورى ، آية رقم ٢٠ .

رواه أبو داود وغيره باسناد صحيح .

وما روى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " من تعلم علما ينتفع به فى الآخرة يريد به عرضا من الدنيا لم يرح رائحة الجنة (١) " .

وعن أنس وحذيفة قالا . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" من طلب العلم ليمارى به السفهاء ، ويكاثر به العلماء ، أو يصرف به وجوه الناس اليه فليتبوأ مقعده من النار " ورواه الترمذى من رواية كعب بن مالك وقال فيه " أدخله الله النار " (٢).

ثانيا - تهذيب الاخلاق وتنميتها فى نفوس المتعلمين :

لقد طلب الامام النووى من المعلم أن يهذب أخلاق تلاميذه ويعدل سلوكهم نحو الأفضل وأن يتدرج مع المتعلم على ذلك على اساس نزع الاخلاق السيئة وغرس الاخلاق الحسنة مكانها ، فقصد التعليم ليس تزويد المتعلمين بالمعارف والعلوم المختلفة فحسب ، بل اكسابهم الاخلاق الحسنة والخصال الحميدة وتهذيب نفوسهم وتقويم تلك الاخلاق الى الافضل . ولم تكن صلة المعلم بالمتعلم مقصورة على حضور الدرس بل كان المتعلم يلازم شيخه ويقتدى به . ولعل الحاجة الى الادب كانت أشد من الحاجة الى العلم ، فالعلم

---

(١) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٣٩ - ٤٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٠ ، ابى عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى الجامع الصحيح وهو سنن الترمذى ، ط ٢ ( القاهرة : مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى واولاده ، ١٣٩٥/١٩٧٥ ) ج٥ ، ص ٣٢ .

بغير الادب والخلق يضيع أثره ويفقد قيمته . فقيمة الاخلاق والادب أن تظهر واضحة للتلاميذ من خلال المواقف المختلفة للمعلم . وفى ذلك كله يقول الامام النووى : " وينبغى أن يؤدب المتعلم عن التدريج بالاداب السنية والشيم المرضية ، ورياضة نفسه بالآداب والدقائق الخفية ، وتعودة الصيانة فى جميع أموره الكامنه والجلية (١) " ويقول أيضا : " فأول ذلك ان يحرضه [ أى المتعلم ] بأقواله وأحواله [ أى المعلم ] المتكررات على الاخلاص والصدق وحسن النيات ، ومراقبة الله تعالى فى جميع اللحظات ، وأن يكون دائما على ذلك حتى الممات (٢) " .

**ثالثا : إستمرارية وجود المعرفة فى المجتمع :**

فبالتعليم يستمر العلم فى المجتمع ويزول الجهل عن الناس ، وفى ذلك يقول الامام النووى : " اعلم ان التعليم هو الاصل الذى به قوام الدين ، وبه يؤمن امحاق العلم فهو من أهم أمور الدين وأعظم العبادات وآكد فروض الكفايات (٣) " . ولذا نجد أن الله سبحانه حذر من كتمان العلم بالكثير من الآيات فمنها قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ (٤) ﴾ . وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى (٥) ﴾ الآية

---

(١) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ج ١ ، ص ٥١ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٥١
(٣) المرجع السابق ، ص ٥٠
(٤) سورة آل عمران ، الاية رقم ١٨٧ .
(٥) سورة البقرة ، الاية رقم ١٥٩ .

## ثالثا _ العوامل المؤثرة فى التعلم :

مما لاشك فيه أن هنالك عوامل متعددة تؤثر فى التعلم تأثيرا مباشرا ، وقد ذكر الامام النووى بعض هذه العوامل المؤثرة فى التعلم ونبّه اليها . ويستحسن أن نتعرف على التعلم فى أبسط عبارة له بأنه " تعديل فى السلوك من خلال الممارسة " والممارسة نشاط يقوم به الفرد بدرجات متفاوتة ، وتختلف من موقف الى آخر .

والملاحظ أن كل الخبرات التى يكتسبها الانسان ، ليست مؤثرة فى السلوك . ولكى تكون الخبرة المتعلمة مؤثرة ، فهناك عوامل لابد منها فى عملية التعلم بالنسبة للمتعلم ، هذه العوامل استنتجت من الدراسات النفسية التى أجريت على المتعلم (١) " .

وسيتناول الباحث بعضا من تلك العوامل المؤثرة فى التعلم التى ذكرها الامام النووى على النحو التالى :

### العامل الاول : مبدأ الدافعية

من المتفق عليه فى الأوساط التربوية أن المرء لايتعلم الا اذا كانت لديه دافعية للتعلم ، ولذا كانت الدافعية شرطا آساسا من شروط التعلم ، فلا تعلم دون دافع ، لأن عملية التعلم تتوقف على الدوافع التى تدفع اليها

---

(١) محمد صلاح الدين مجاور ، فتحى عبد المقصود الديب ، المنهج المدرسى أسسه وتطبيقاته التربوية ، ط ٥ ( الكويت : دار القلم ، ١٤٠١ هـ ) ص ٢٤٧ — ٢٤٨ .

فالدوافع تؤدى دورا مهما فى هذه العملية . "ويقصد بالدافعية القوة الداخلية التى تولد السلوك وتوجهه [١] " .

ونستطيع القول أن للدوافع تأثيرا هاما فى عملية التعلم ، اذ يكفى أن نشعر التلميذ بأهمية شئ معين فنحفزه على تعلمه . ولقد أكدت الدراسات التجريبية التى اجراها علماء النفس المحدثون صحة هذا المبدأ ويعتبر الدافع " هو العامل الاساسى المسيطر على السلوك ، ويمتاز ذلك السلوك الناشئ عن الدافع بالنشاط والاستمرار والتنوع ، فكلما كان الدافع قويا ازداد النشاط[٢].

ونجد أنه لم ترد كلمة " الدافعية " فيما كتب الامام النووى ، وانما عبر عنها بصيغ أخرى تحمل معناها من مفردات اللغة العربية أمثال :" النية "[٣] و" الهمة [٤]" والرغبة "[٥] .و " جمع الهم[٦] " . ولقد أدرك الامام النووى أهمية الدوافع للتعلم وذلك بأن المتعلمين يتعلمون بصورة أفضل اذا ما اشتدت رغبتهم فى التعلم ، وحسنت نيتهم له ، واستعدوا لقبول العلم وتلقيه . حينئذ يحقق المتعلم هدفه فى الحصول على تعلم جيد مثمر . تظهر آثاره وعلاماته على المتعلم ، فينبغى له قبل تلقيه العلم " أن يطهر قلبه من الأدناس ليصلح لقبول

---

(١) عبد الرحمن صالح عبد الله ، المنهاج الدراسى " مرجع سابق " ، ص ١٣٨ .
(٢) عبد الله عبد الحى موسى ، المدخل الى علم النفس ، ط ٢ ( مكتبة الخانجى ، ١٩٧٩ ) ، ص ٢٢٥ .
(٣) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٥٠ - ٥١ ؛ ٦٣ .
(٤) المرجع السابق ، ص ٦٣ .
(٥) المرجع السابق ، ص ٥١ ؛ ٦٣ .
(٦) المرجع السابق ، ص ٥٩ .

العلم وحفظه واستثماره[١] " لما ورد فى الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ان فى الجسد مضغة ، اذا صلحت صلح الجسد كله ،واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب " [٢] ، وقالوا :"تطييب القلب للعلم كتطييب الارض للزراعة "[٣]. فالتعلم الناجح هو الذى يقوم على دوافع التلاميذ وحاجاتهم . وبالرغم من آن دراسة موضوع الدوافع المساعدة على التعلم . من أهم مشكلات سيكولوجية التعلم وأعقدها ، الا اننا لانستطيع أن نوضح للمعلم بدقة معالم الطريق الذى يسلكه حتى يتم له ذلك[٤] " . وعلى الرغم من الصعوبة الكامنة وراء تحقيق ذلك ، الا آن للامام النووى رأى قيم فى تنمية دوافع المتعلمين للتعلم ، فقد أدرك صعوبة ذلك وعبر عنه بقوله : " وربما عسر فى* كثير من المبتدئين بالاشتغال تصحيح النية لضعف نفوسهم وقلة أنسهم بموجبات تصحيح النية[٥] " ، ومستشهدا بقول سفيان الثورى كما نقل عنه الامام النووي: " ما عالجت شيئا أشد علىّ من نيتى أنها تتقلب علىّ[٦] " . يقصد بذلك تعديل ميلها وتكوين اتجاهات مرغوبة فيها نظرا لكثرة تقلبها بين الفينة والاخرى . فهى لاتستقر على حال . وهذا هو مكمن صعوبتها .

---

(١) النووى ، المجموع "مرجع سابق " ، ص ٥٨ .

(٢) رواه البخارى ١١٧/١ فىالايمان ، ومسلمرقم(١٥٩٩) فى المساقاه .

(٣) النووى "مرجع سابق"، ص ٥٨ - ٥٩ .

(٤) رمزية الغريب ، التعلم دراسة نفسية تفسيرية توجيهية ، ط ٥ ، ( القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٥ ) ، ص ٥٠٥ .

* هكذا فى الاصل ، ولعله تصحيف والصواب : على كثير والله أعلم.

(٥) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ج ١ ، ص ٥٠ - ٥١ .

(٦) المرجع السابق ، ص ٢٩ .

وقد أدرك الامام النووى أهمية اثارة دوافع المتعلمين وتنمية ميولهم واتجاهاتهم الايجابية نحو تعلم العلم والاقبال عليه ، وتحفيزهم واثارة أفكارهم للتحصيل . فنراه يطلب من المعلم أن يقف موقفا ايجابيا تجاه تنمية دوافع تلاميذه وذلك عن طريق ترغيبهم فى طلب العلم بشتى الطرق والوسائل المتاحة له . فمن أهم واجبات المعلم تجاه المتعلم " أن يرغبه فى العلم ، ويذكره بفضائله وفضائل العلماء ، وأنهم ورثة الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم . ولا رتبة فى الوجود أعلى من هذه (١) " فالمعلم بلاشك المحرك الاول لنشاط وحماس تلاميذه والمشجع لهم على تحصيل العلم ،وأن مما يدل على شدة حرص الامام النووى على استمرارية نشاط المتعلمين واهتماماتهم ، والمحافظة على دوافعهم للتعلم ، حيث لايتم التعلم بغير دافع له كما أسلفنا أوجب على المعلمين مراعاة ذلك أثناء تعليمهم طلابهم . حيث أن الاستمرار فى النشاط من أجل التعلم أمر مطلوب لتعلم جيد . وهذا ما أكده علم نفس التعلم حديثا " ذلك لأن التعلم هو تغير فى السلوك ينجم عن نشاط يقوم به الفرد ، والفرد لايقوم بنشاط من غير دافع (٢) " .

فالتعلم الفعّال يكون نتيجة جهد معين يبذله المرء ، فالتعلم لايحدث لمجرد وجود مثيرات ومنبهات فى البيئة التى يعيش فيها المتعلم ،

---

(١) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٥١ .

(٢) أحمد عزت راجح ، أصول علم النفس ، ط ٩ ( الاسكندرية : المكتب المصرى الحديث ، ١٩٧٣ ) ، ص ٢٢٤ .

وان كانت تلك المثيرات احدى روافد عملية التعلم ، وقد أدرك المربون المسلمون أهمية الدافع الذاتى للمتعلم ومنهم الامام النووى الذى أكد على اخلاص النية فى طلب العلم لدى المتعلم وأهمية ذلك . فالنية سلوك باطنى يظهر على السلوك الملاحظ . فالحديث عن النية يعنى بالضرورة الاهتمام بنفسية المتعلم أى بدوافعه وعواطفه وانفعالاته . وعلى ضوء ذلك فالمنهاج السليم هو الذى يستثير دوافع المتعلمين فيوقظ الدوافع الخيرة الكامنة من سباتها ويكبح جماح تلك التى تعبر عن نفسها بصورة مبالغ فيها[١] " .

ويرى الامام النووى أن المتعلمين فى بدء تعلمهم يكونون فى أمس الحاجة الى الترغيب والتشجيع على تحصيل العلم ، واثارة دوافعهم للتعلم وقد عبّر الامام النووى عن تلك الاثارة وذلك التشجيع بعبارة "التحريض" فقال : " وتحريض على حفظ مايبذله لهم من الفوائد النفيسات[٢] " وقال : " وينبغى [ أى على المعلم ] أن يحرضهم [ أى المتعلمين ] على الاشتغال فى كل وقت [ أى التعلم ][٣] وقوله : " ومحرضا على التعلم[٤] " ، وقوله أيضا : " فأول ذلك أن يحرضه بأقواله وأحواله المتكررات على الاخلاص [ أى فى النية ] والصدق وحسن النيات ... وأن يكون دائما على ذلك حتى الممات[٥] " وينبغى على المعلم أن يقوم بتذكير المتعلم بأن

---

(١) عبدالرحمن صالح عبد الله ، المنهاج الدراسى " مرجع سابق " ، ص ١٥٨ - ١٥٩ .

(٢) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٥٢ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٥٥ .

(٤) النووى ، التبيان فى آداب حملة القرآن " مرجع سابق " ، ص ٣١ .

(٥) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٥١ .

احضار نيته " تنفتح عليه أبواب المعارف ، وينشرح صدره ، وتتفجر من قلبه ينابيع الحكم واللطائف ، ويبارك له فى حاله وعلمه ، ويوفق للاصابة فى قوله وفعله وحكمه [١] " ، وذلك كما يقول الامام النووى ، " ليكون سببا فى نشاطه وزيادة فى رغبته " [٢] . " وتلك كلها غايات ومرغبات تحفز همم طلاب العلم وبخاصة المبتدئين منهم فى أول الطريق على التعلم وهى بلاشك قوية التأثير فيهم وقد ثبت أن " الاعتماد على الحوافز التى تثير نشاط المتعلم فى بدء تعلمه آمر له قيمته اذا كان قيامه بهذا النشاط الضرورى يكسبه شيئا يرغب فيه أو يجنبه شيئا يكرهه [٣] " .

واذا كان لابد من الميول والاتجاهات المرغوب فيها واثارة دوافع التلاميذ لتعلم موضوع ما فلابد من " أن تزود خبرة التلاميذ المعرفية بالموضوع المراد تكوين ميولهم نحوه فلو فرض مثلا ان آراد المعلم تكوين اتجاه دينى ... فلابد أن يزودهم بالمعلومات والمعرفة الضرورية لايضاح الهدف فى أذهانهم والا كان نشاطهم غير موجه ، قليل القيمة التربوية [٤] " فان الامام النووى آكد على المعلم ضرورة تزويد تلاميذه بهذه الخبرة المعرفية لتكوين الميول والاتجاهات واثارة الدوافع لديهم ، وقد اتخذ من تعلم الفقه مثالا يحتذى به فى بقية الموضوعات والعلوم الاخرى لكى يقبل المتعلمين على تعلم الفقه برغبة قوية ، فينبغى على المعلم أن يوقفهم على أهمية علم الفقه ، ويعرفهم بالهدف من تعلمه ، والنتائج

---

(١) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٥١ .
(٢) النووى ، التبيان فى آداب حملة ألقرآن " مرجع سابق " ، ص ٣١ .
(٣) فكرى حسن ريان ، التدريس : أهدافه ، أسسه ، أساليبه ، تقويم نتائجه وتطبيقاته ، ط ٢ (القاهرة :عالم الكتب ، ١٩٧١)، ص ٧٩ .
(٤) رمزية الغريب ، التعلم " مرجع سابق " ، ص ٥٠٧ .

المترتبة على تحصيله ، فيعقد مقارنة لهم بين قيمة تعلم ذلك العلم وبين الاشتغال بغيره من نوافل العبادات البدنية فتصبح النتيجة لهذه المقارنة تفضيل تعلم العلم وأولويته على نوافل العبادات البدنية لان الهدف من تعلمه أسمى ، فيقول : "

" والحاصل أنهم ( أى العلماء ) متفقون على أن الاشتغال بالعلم أفضل من الاشتغال بنوافل الصوم والصلاة والتسبيح ونحو ذلك من نوافل عبادات البدن ، لان نفع العلم يعم صاحبه والمسلمين ، والنوافل المذكورة مختصة به ، ولان العلم مصحح فغيره من العبادات مفتقر اليه ولا ينعكس ، ولان العلماء ورثة الانبياء ولا يوصف المتعبدون بذلك ، ولأن العابد تابع للعالم مقتد به مقلد له فى عبادته وغيرها واجب عليه طاعته ولا ينعكس ، ولان العلم تبقى فائدته وأثره بعد صاحبه والنوافل تنقطع بموت صاحبها (١) " .

وباعطاء التلاميذ هذه الخبرة المعرفية تتضح لهم أهمية العلم ومكانته أو الموضوع المراد لهم تعلمه ، ومن ثم يندفعون الى تعلمه ، وبالتالى يسهل عليهم تحصيله بعد وضوح مقاصده ومعانيه وأهميته ، وذلك شرط أساس فى كيفية استخدام المعلم للدوافع استخداما ناجحا ، اذ أنه كلما كان موضوع الدرس مشبعا لهذه الدوافع والحاجات كانت عملية التعلم أقوى وأكثر حيوية اذ ان من واجب المعلم ان يجعل مادته التى

---

(١) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٣٧ .

يعلمها لتلاميذه أكثر متعة وجاذبية لهم ، بل ينبغى أن تكون ذات معنى وأهمية بالنسبة له كذلك [١] " .

ويعد التنافس وسيلة فعالة لحث المتعلمين على العمل والاجتهاد والتحصيل بل انه من أكثر الوسائل انتشارا ، لاثارة الافراد لنواحى النشاط اللازم للتعلم . فمن المؤكد أن المتعلمين الذين " لايبذلون الجهد اللازم لتعلمهم يمكن استثارتهم بالمنافسة والمسابقة لكى يبذلوا نشاطا كبيرا [٢] " . ويرى الامام النووى أنه من الممكن للمعلم استخدام التنافس لاثارة دوافع المتعلمين للتعلم ، وباعثا لهم على بذل المزيد من الجهد والنشاط وذلك بأن " يطالبهم فى أوقات باعادة محفوظاتهم ، ويسألهم عما ذكره لهم من المهمات ، فمن وجده حافظه مراعيا له أكرمه وأثنى عليه ، وأشاع ذلك مالم يخف فساد حاله باعجاب ونحوه [٣] " وكذلك قوله : " وينبغى للمعلم أن يطرح على أصحابه [ أى تلاميذه ] مايراه من مستفاد المسائل ، ويختبر أفهامهم ، ويظهر فضل الفاضل ، ويثنى عليه بذلك ، ترغيبا له وللباقين فى الاشتغال والفكر فى العلم وليتدربوا بذلك ويعتادوه [٤] " . فالمعلم عندما يظهر اعجابه وثناؤه وشكره واستحسانه بالمتفوقين من تلاميذه ، انما يلجأ بذلك الى الاستثارة الدافعة

---

(١) ج.ب جيلفورد ، ميادين علم النفس النظرية والتطبيقية ، ترجمة يوسف مراد ، ط ٤ ( مصر : دار المعارف ، ١٩٧٥) ، ص ١٩٨ .

(٢) المرجع السابق، ص ٢٠٠ .

(٣) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ص ٥٥ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٥٨ .

للنشاط والتى عبر عنها الامام النووى بقوله " ترغيبا له وللباقين فى الاشتغال والفكر فى العلم ، وليتدربوا بذلك ويعتادوه[١]" ويبث روح التنافس البناء الهادف بين التلاميذ ليحدث لهم التعلم الجيد المثمر .

وبالرغم من اعتقاد الامام النووى بأهمية التنافس وقيمته ،وبأنه وسيلة فعالة من وسائل الاستثارة الدافعية ، الا أنه حذر من سوء استخدامه . لذا ينبغى للمعلم عند استخدامه " أن تتاح لكل تلميذ الفرصة التى تساير قدراته . وان تتوافر الموضوعية التامة والحيده فى تقدير التلاميذ[٢]" ولذا طلب الامام النووى من المعلم الحذر كل الحذر من سوء استخدام التنافس بين المتعلمين ، حيث أن ذلك يولد الشحناء والبغضاء والعداوة بينهم ، وليس هذا هو المقصود من اجتماعهم للتعلم والدرس ، بل ان اجتماعهم ينبغى أن يكون لله تعالى،و اجتماع قلوبهم" على ظهور الحق وحصول الفائدة[٣]" المرجوة من التعلم وبالتالى فالامام النووى ينهى عن استخدام التنافس اذا أدى الى المشاحنة والخصام والكراهية والعداوة بين التلاميذ بحيث يود كل تلميذ لو قضى على زميله فيقول فى ذلك : " فلا يليق بنا المنافسة والمشاحنة[٤]" ويبين الغرض

---

(١) النووى ، المجموع " مرجع سابق "، ص ٥٨ .

(٢) جابر عبد الحميدجابر ، سيكولوجية التعلم ونظريات التعلم ، ط ٤ ( القاهرة : مكتبة النهضة العربية ، ١٩٧٨ ) ، ص ٥٥ .

(٣) ،(٤) النووى ، المجموع " مرجع سابق" ، ص ٥٧ .

الاسمى من التنافس والاجتماع فيقول : " بل شأننا الرفق والصفاء ،واستفادة بعضنا من بعض[١]" .

وواقع الامر أن المنافسة اذا لم تستخدم بمهارة ، واذا لم يوجهها المعلم الوجهة السليمة ، قد تكون مثارا للحسد والحقد بينهم،فيتنازعون الكتب والمراجع ، ويتحين كل منهم الفرصة للاضرار بزميله ، وبذلك يكون المعلم قد استخدم المنافسة لا لتشجيع التقدم انما لهدم العلاقات السليمة بين أعضاء المجتمع المدرسى [٢]" .

وقد نهى الامام النووى عن الحسد والاحتقار بين المتعلمين بقوله : " ولايحسد أحدا [ أى المتعلم ] ولا يحتقره ولا يعجب بفهمه" [٣]، وبالتالى يصبح العلم والتعلم وسيلة للعلو والتعالى على الاقران وسبيل الفوز عليهم ، وهو ما حذر منه الامام النووى فيما يرويه عن أبى يوسف رحمه الله تعالى قال : " ياقوم أريدوا بعلمكم الله فانى لم أجلس مجلسا قط أنوى فيه أن أتواضع الاّ لم أقم حتى أعلوهم ، ولم أجلس مجلسا قط أنوى فيه أن أعلوهم الاّ لم أقم حتى افتضح[٤]" . فالعلم عبادة بل من من أعظم العبادات ومن أفضل القربات الى الله تعالى ، فلا ينبغى أن يؤدى

---

(١) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٥٧ .
(٢) رمزية الغريب ، التعلم " مرجع سابق " ، ص ٥٠٤ .
(٣) النووى ، المجموع ، " مرجع سابق " ، ص ٦٥ .
(٤) المرجع السابق ، ص ٤٧

العلم الى الشحناء والعداوة والبغضاء بين المتعلمين •

كما حذر الامام النووى المعلم نفسه من منافسته لتلاميذه وحسدهم على كثرة علمهم ، إذ أن ذلك أشد خطورة من منافسة التلاميذ بعضهم لبعض فقد يعمد بعض المعلمين ذوى النفوس الضعيفة الى تلك المنافسة السيئة والهدامة حين يحملهم الحسد على الوقوف من طلابهم موقف المنافس لهم ، وذلك بتسفيه آراء النابهين منهم أو عدم الاكتراث لهم • مما يؤدى الى إحباطهم وقلة نشاطهم فى حلقة الدرس •

ولذا نرى الامام النووى ينهى المعلمين عن ذلك ، وبأنه لايليق بهم ولا يصح منهم؛حيث أن فضل طلابهم يعود اليهم بالدرجة الاولى باعتبارهم السبب فى هذا الفضل ، بالاضافة الى ان حسن تربيتهم يعود عليهم بالخير فى الدنيا والآخرة وهم بمثابة أبنائهم ، فيكون حسدهم هنا أشد حرمة عليهم ، ويقول الامام النووى ناهيا عن ذلك : " ولايحسد أحد منهم لكثرة تحصيله ، فالحسد حرام للاجانب ، وهنا أشد ، فانه بمنزلة الولد وفضيلته يعود الى معلمه منها نصيب وافر ، فانه مربيه وله فى تعليمه وتخريجه فى الاخرة الثواب الجزيل ، وفى الدنيا الدعاء المستمر والثناء الجميل [١] " وكذلك قوله : " ولايحسد أحدا منهم لبراعة تظهر منه ، ولا يستكثر فيه ما أنعم الله به عليه ، فان الحسد للاجانب حرام شديد التحريم ، فكيف للمتعلم الذى هو بمنزلة الولد [٢] " •

---

(١) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٥٥ •

(٢) النووى ، التبيان فى آداب حملة القرآن ، " مرجع سابق " ، ص ٣٤ •

ان المشاركة مع الآخرين والتعاون معهم يؤدى الى عدم التباغض والتحاسد والمفضى الى زيادة الدافعية بين التلاميذ وذلك ان كل تلميذ يسعى للاجتهاد وبذل المزيد من الجهد والتحصيل العلمى فى صفه الدراسى وبالتالى زيادة نشاط التلاميذ جميعا ومنافستهم لبعضهم البعض فى الحصول على مراكز متقدمة فى الصف دون اغفال الاهتمام بالتفاعل والتعاون بين التلاميذ لان هذا يشيع جوا من الالفة والمحبة بينهم مما يؤدى الى تعلم مثمر جيد ٠

فالمتعلم عندما يشعر بالارتياح النفسى فى صفه ومع زملائه كأنهم آسرة واحدة فان ذلك مما يجعله يقبل على التعلم بحماس وبنشاط زائدين وبالتالى زيادة الاستثارة الدافعية لديه ٠

وقد دلت " التجارب العلمية على ان الانتاج يزيد كثيرا اذا صحب التعلم قد ر من النشاط الاجتماعى(١) " ٠

فالامام النووى يحث المتعلم على مشاركة زملائه والتعاون معهم وارشادهم على سبيل النصيحة وأن يتفاعل معهم فى حلقة الدرس ، مما يؤدى الى تنمية السلوك التعاونى بين التلاميذ ، وتشجيع التفاعل الاجتماعى بينهم ، وزيادة الاستثارة الدافعية للتنافس الموجه بينهم وزيادة حماس ونشاط الطلاب الاقل جهدا بينهم ٠ وكسر جماح التنافس غير

---

(١) جيلفورد ، ميادين علم النفس النظرية والتطبيقية " مرجع سابق" ، ص ١٩٨ ٠

الموجه المفضى الى العداوة والحسد ، مما ينشأ عنه الاهتمام بالتفاعل والتعاون الجيد بين التلاميذ بديلا لهذا التنافس ، ويوصى الامام النووى المعلم بأن يبين لهم أهمية تعاونهم مع أنفسهم وعلمهم فيقول :"وينبغى أن يرشد رفقته وغيرهم الى مواطن الاشتغال والفائدة ، ويذكر لهم ما استفاده على جهة النصيحة والمذاكرة ، وبارشادهم يبارك له فى علمه ويستنير قلبه ، وتتأكد المسائل معه مع جزيل ثواب الله عز وجل، ومن بخل بذلك كان بضده فلا يثبت معه ، وان ثبت لم يثمر " [(١)] ذلك لان المشاركة مع الاخرين لها أثر فعّال فى الاداء والتعلم بصفة عامة أعظم من أثر التنافس الشخصى فان مايتعلمه الفرد بالمشاركة مع غيره من الافراد أنفع وأعلى قيمة عند الامام النووى مما يتعلمه نتيجة للنشاط الذى يحدثه التنافس . فالتربية الحقة تشجع " التعاون اكثر من تشجيعها التنافس ، لا لأن ذلك يؤدى الى زيادة فعالية التعليم ، بل لان هذا يؤدى الى نتائج اجتماعية مرغوب فيها [(٢)] " ، فعن طريق التعاون مع زملائه يتعلم الفرد كيفية التعاون الجماعى المثمر ليس فى نطاق المدرسة فحسب ، بل فى نطاق محيط مجتمعه ككل ، وبالتالى تكوين علاقات اجتماعية مرغوب فيها ، بالاضافة الى تعلم مواد الدراسة .

ونخلص الى القول بأن الدافعية ذات صلة وثيقة بالعملية التربوية ولابد للمعلم من أن يأخذها بعين الاعتبار فى تعليمه وتدريسه لزيادة نشاط المتعلمين نحو التقدم .

---

(١) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٦٥ .

(٢) برسيفال سيموندز ، الدروس التى تتعلمها التربية من علم النفس ، تعريب عبد الرحمن صالح عبد الله ، مراجعة احمد حسن عبد الرحيم ، ط ٢ ( بيروت : دار الفكر ، ١٩٧٤ ) ، ص ٣٧ .

## العامل الثانى : مبدأ الثواب والعقاب

ان مبدأ الثواب والعقاب له اهمية كبرى فى تحفيز التلاميذ وتشويقهم للتعلم ، كما أنهما شكلان رئيسان من أشكال الضبط الاجتماعى وباعثان على تعلم انماط السلوك المرغوب .

وقد اولى الامام النووى اهتماما بالغا بالاثابه باعتبار ان اثرها أقوى فى تحسين التعلم ، فطلب من المعلمين أن يثيبوا تلاميذهم عندما يستحقون ذلك بقوله : " ويظهر فضل الفاضل ، ويثنى عليه بذلك " [١] وقوله ايضا : " ويثنى ( اى المعلم ) على من ظهرت بجابته ( اى من تلاميذه ) مالم يخش عليه فتنه باعجاب او غيره " [٢] وهذا ما قد اثبتته البحوث حديثا بان الثواب أفضل من العقاب فى آثاره التربوية . ولقد أدرك الامام النووى ذلك من قبل وسبق غيره بدليل ماذكره فى كتاباته لالوان الحوافز المعنوية وعدم ذكره للفظ العقاب البته واقتصاره على التعنيف عند المصلحه والا فلا .

ولقد ادرك الامام النووى ببصيرته الثاقبة جدوى الثواب واثره البالغ على المتعلمين ، فهو يزيد من الاصابة والنجاح ، كما تقوى رغبتهم فى التحصيل والاشتغال بالعلم وليس هذا قاصرا على المثاب فحسب ، بل ان مجتمع المتعلمين يتأثرون بذلك ويصبح ثواب أحد زملائهم حافزا وباعثا لهم على التعلم . وفى ذلك يقول الامام النووى مبينا أهمية الثواب امام الطلاب : " ويثنى عليه بذلك ، ترغيبا له وللباقين فى الاشتغال

---

(١) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ص ٥٨

(٢) النووى ، التبيان فى آداب حملة القرآن " مرجع سابق ، ص ٣٤ .

والفكر فى العلم ،وليتدربوا بذلك ويعتادوه "(١) وقوله أيضا : " فمن وحدة حافظه مراعيا له اكرمه واثنى عليه ، وأشاع ذلك ( اى بين زملائه "(٢) وبذلك يكون التكريم والترغيب والثناء من قبل المعلم لتلاميذه دافعا قويا لعملية التعلم ليس للطالب المجد فحسب ،بل ولغيره من الطلاب الاخرين .

أما من حيث مبدأ العقاب واستخدامه من قبل المعلم ، فنرى الامام النووى يكاد لايذكر العقوبه على الاطلاق ، فلم يكن يدعو الى استخدام اى نوع من العقاب ، ماعدا حالة واحدة أجازها فى كتاباته للمعلم الا وهى التعنيف ولكن بقيود وهى ان يكون التعنيف فى مصلحة المتعلم اما اذا كان غير ذلك فلا يعنفه يقول الامام النووى فى ذلك : " ولايعنف ( اى المعلم ) من غلط منهم فى كل ذلك الا ان يرى تعنيفه مصلحه له " (٣) وقوله ايضا : " ومن وجده مقصرا عنفه الا ان يخاف تنفيره ( اى من طلب العلم ) (٤) . فنستنتج مما سبق ان الامام النووى دعا المعلم الى استخدام " التعنيف " اذا كان باعثا للتعلم ووسيلة من وسائل ضبط السلوك ، وهذا النوع لايتسبب فى الالم والاذى للمتعلمين كما انه لايخدش كرامتهم .

ويحذر الامام النووى المعلم من سوء استخدام التعنيف ، وطلب منه ان يكون تعنيفه للمتعلم لطيفا لطيفا مراعيا لمشاعره واحاسيسه ولذلك يقول : " ومن قصر عنفه تعنيفا لطيفا مالم يخش تنفيره " (٥)

وخلاصة القول ان الثواب والعقاب " اسلوبان متكاملان يوصلان الى ذات الهدف شريطة ان يحسن استخدام كل منهما " (٦)

---

(١) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ص ٥٨ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٥٥ .
(٣) المرجع السابق ،ص ٥٨ .
(٤) المرجع السابق ، ص ٥٥ .
(٥) النووى ،التبيان فى آداب حملة القرآن ،" مرجع سابق " ص ٣٤
(٦) عبدالرحمن صالح عبدالله ، المنهاج الدراسى " مرجع سابق " ص ١٦٠

## العامل الثالث : مبدأ الفروق الفردية بين التلاميذ

يتوقف ما يستطيع الانسان تعلمه من حيث نوعه ومقداره وسرعة تعلمه على ذكاء الفرد وقدرته على التعلم ، فالذكى النابه أقدر على التحصيل وأسرع فيه ، وأدق فهما من غيره . يقول جيلفورد : " وتؤيد التجارب العامة بطبيعة الحال ما نتوقعه نظريا من أن هناك علاقة بين الذكاء وتعلم المواد الدراسية (١) " ولابد من التأكيد على ان التسليم بوجود الفروق بين الافراد حقيقة قائمة لايجوز للتربية أن تحاربها أو تهملها . ولقد أدرك المربون المسلمون ومنهم الامام النووى أهمية مراعاة مبدأ الفروق الفردية بين الافراد ، بل والفروق الموجودة فى الفرد نفسه ، وذلك أساس لاينبغى اغفاله فى آية عملية توجيه أو تعلم ذلك " لان الناس ليسوا قوالب جامدة متشابهة ولا نماذج شخصية متماثلة (٢) " .

ويدرك النووى أن المتعلمين يختلفون فيما بينهم ، ولذا أوجب على المعلم أن يكون على دراية تامة فيما بين المتعلمين وغيرهم من الفروق الفردية ، كما يعتبر الذكاء أحد الفروق الفردية بين المتعلمين وأن يكون له معرفة عميقة بالفروق الفردية القائمة بين تلاميذه ، لان تلك المعرفة من قبل المعلم تعتبر سمة أساسية لكل مرب كفء ، كما أنه لاينبغى

---

(١) جيلفورد ، ميادين علم النفس " مرجع سابق " ، ص ١٧٩ .

(٢) عبد الحميد محمد الهاشمى ، الفروق الفردية - دراسة تحليلية تطبيقية ( بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٥ ) ، ص ١١ .

تجاهل وجود تلك الفروق الفردبية بين التلاميذ ، والا سنتهم ولاريب بارتكاب خطأ تربوى جسيم عند القيام بأداء واجباتنا التدريسية [١] وبالتالى فان "هذا التفاوت بين البشر ضرورى اذ لو كان الجميع صورا مكررة لشخص معين لما أمكن ان تجرى الحياة على ماهى عليه [٢]" .

ولقد أدرك النووى مبدأ الفروق الفردية بين الاشخاص بوجه عام وبين التلاميذ بوجه خاص فيقول الامام النووى فى ذلك : " والاختيار أن ذلك يختلف باختلاف الاشخاص [٣]" وقوله أيضا " وهذا يختلف باختلاف الناس [٤] " وقوله أيضا : " وهذا يختلف باختلاف الناس والاحوال [٥]" .

واذا كان الناس أو المتعلمون يختلفون فيما بينهم - وهذه حقيقة لاتقبل الشك - فلابد اذن للمعلمين مراعاة ذلك فى تعليمهم ليسيروا بالمتعلمين حسب قدراتهم ، فلا يكلفونهم مالايطيقونه ، ولا يحمّلونهم مالا يتحملون ، بل يتعاملون معهم على قدر مستوياتهم فيقول الامام النووى: " فمن كان يظهر له بدقيق الفكر لطائف ومعارف فليقتصر على قدر مايحصل له كمال فهم مايقرؤه [٦]" وقوله كذلك : " وأن يعطى كل انسان منهم

---

(١) آرثر جورج هيوز ، التعلم والتعليم " مرجع سابق " ص ٥ .
(٢) عبد الرحمن صالح ، المنهاج الدراسى "مرجع سابق " ،ص ١٦٦ .
(٣) النووى ، التبيان فى آداب حملة القرآن "مرجع سابق " ، ص ٤٨ .
(٤) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٦٣ .
(٥) النووى ، التبيان " مرجع سابق " ، ص ٤١ .
(٦) المرجع السابق ، ص ٤٨ .

مايليق به [(١)]" . ويقول أيضا : " ولايدخر عنهم من أنواع العلم شيئا يحتاجون اليه اذا كان الطالب أهلا لذلك [(٢)]" . وقوله أيضا " ويفهم كل واحد بحسب فهمه وحفظه فلا يعطيه مالايحتمله ، ولا يقصر به عما يحتمله بلا مشقة [(٣)]" . كما حذر الامام النووى المعلم من اعطاء المتعلم شيئا من العلوم والمعارف دون أن يمتلك المهارات والقدرات اللازمة لذلك فيقول : " ولايلق اليه شيئا لم يتأهل له لئلا يفسد عليه حاله [(٤)]" ، ويقول الامام النووى أيضا : " فلا يكثر على من لايحتمل الاكثار ،ولايقصر لمن يحتمل الزيادة [(٥)]" . بل ان الامام النووى يشدد فى هذه الناحية لدرجة أن يقول : " فلو سأله المتعلم عن ذلك لم يجبه ويعرفه أن ذلك يضره ولا ينفعه ، وأنه لم يمنعه ذلك شحا بل شفقة ولطفا[(٦)]" . فالامام النووى لم يقتصر على المعلم فى التوجيه والارشاد فحسب بل للمتعلم أيضا فيقول فى ذلك : " ولا يحمل نفسه مالا تطيق مخافة الملل [(٧)]" . وقوله أيضا : " ولا يحمل نفسه مالايطيق مخافة من الملل وضياع ماحصل[(٨)]" .

---

(١) النووى ، التبيان " مرجع سابق " ، ص ٣٤ .
(٢) النووى ، المجموع " مرجع سابق" ، ص ٥٢ .
(٣)،(٤) المرجع السابق ، ص ٥٢ ، ٥٣ .
(٥) النووى ، التبيان " مرجع سابق"، ص ٣٤ .
(٦) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٥٢ .
(٧) المرجع السابق ، ص ٦٣ .
(٨) النووى ، التبيان " مرجع سابق" ، ص ٤١ .

ويرى النووى أن اختلاف المتعلمين فى قدراتهم واستعداداتهم يقتضى تنويعا لاساليب التعليم وطرقه بما يلائم الفروق الفردية بينهم فيقول : " ويخاطب [ أى المعلم ] لكل واحد [ أى من المتعلمين ] على قدر درجته وبحسب فهمه وهمته ، فيكتفى بالاشارة لمن يفهمها فهما محققا (١) " . وأما الاقل ذكاء من المتعلمين فله عند الامام النووى طريقة خاصة لتعليمه فيقول : " ويوضح العبارة لغيره [ أى للاقل ذكاء ] ويكررها لمن لا يحفظها الا بتكرار (٢) " ، ومن خلال ماسبق تبين لك قبل ذلك أن النووى مدرك لذلك الارتباط الوثيق بين الفروق الفردية بين التلاميذ وطريقة تدريسهم فعلى المعلمين أخذ ذلك فى الاعتبار وتطبيقه فى مدارسهم لتعم الفائدة المرجوة للجميع ، لان : " طريقة التدريس ذات علاقة وثيقة بهذا الموضوع ... ، ومهما يكن من آمر فان شخصية المعلم ذات آثر كبير فى نجاح آية طريقة مقترحة . فالمعلم هو المسؤول عن تقديم المواد التعليمية بصورة تلائم المتعلمين على الرغم مما بينهم من تفاوت (٣) " .

ولاشك أن " الفروق الفردية تعتبر مبدأ وقانون عام أساسى فى علم النفس ، وحيث أن التوجيه والارشاد حق لكل فرد ، فان مسألة الفروق الفردية تصبح ذات أهمية كبيرة . ولابد من وضع الفروق الفردية فى الحسبان فى تعليمهم وارشادهم (٤) "

---

(١) ،(٢) النووى ، المجموع ، " مرجع سابق " ، ص ٥٣

(٣) عبد الرحمن صالح ، المنهاج الدراسى " مرجع سابق " ص ١٦٦- ١٦٧ .

(٤) حامد عبد السلام زهران ، التوجيه والارشاد النفسى ، ط ٢ ( القاهرة : عالم الكتب ، ١٩٨٠)، ص ٦٥ .

وهكذا فاهتمام الامام النووى بالفروق الفردية بين التلاميذ ومراعاتها أثناء تعليمهم لا يعنى إلغاء ذاتية أو شخصية الفرد والعمل على إذابته فى بوتقة الجماعة . وانما العمل على تنمية مالدى الافراد من قدرات تزيد من الفروق الفردية [١].

ويوجب الامام النووى على المعلم بأن لاتكون طريقته فى التدريس واحدة ، لأن هناك فروقا فردية متفاوتة فيما بين التلاميذ ينبغى عليه مراعاتها أثناء ذلك ، وعليه أن يقدم لهم المادة التعليمية بصورة تلائم المتعلمين على الرغم مما بينهم من تفاوت ، فنرى الامام النووى فيما سبق يوضح لنا أن المتعلم قليل الذكاء يكون عادة بطئ التعلم وبالتالى لايستطيع مواصلة تعلمه دون تبسيط شديد للمعارف والعلوم التى يأخذها ، وشرح سهل ميسر للخبرات التى يراد له تعلمها ، وتوضيحها له بالامثلة والاشياء والنظائر المفهومة له [٢].

فالمعلم فى تعليمه لهذا الصنف من المتعلمين عند الامام النووى عليه أن " يذكر الاحكام موضحة بالامثلة من غير دليل لمن لايتحفّظ الدليل ، فان جهل دليل بعضها ذكره له [٣]" أما التلميذ الذكى فيلزمه طريقة مغايرة عند تعليمه خلافا لمن سبقه من قليلى الذكاء ، فيلزم أن تكون

---

(١) عبد الرحمن صالح ، المنهاج الدراسى " مرجع سابق ، ص ١٦٦ .

(٢) حسن عبد العال ، فن التعليم عند ابن جماعة " مرجع سابق " ص ١٨٨ .

(٣) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٥٣ .

المعارف والخبرات المراد له تعلمها تتحدى قدراته وتستثير ذكـاءه فتخلو من كثير الامثلة وتنحو بصورة اكبر نحو التجريد والتعليل،والوقوف على أسرار الاحكام وفهمها[١]، ولهذا نبه الامام النووى المعلم الى ضرورة أن " يذكر الدلائل لمحتملها [ أى من الاذكياء ] ويذكر هذا ما بينا على هذه المسألة وما يشبهها وحكمه حكمها وما يقاربها مخالف لها، ويذكر الفرق بينهما ، ويذكر مايرد عليها وجوابه ان أمكنه ، ويبين الدليل الضعيف لئلا يغتر به [٢]" . وقوله أيضا : " ويكرر مايشكل من معانيه وألفاظه الاّ اذا وثق بأن جميع الحاضرين يفهمونه [٣]" .
ان علمائنا سبقوا الغرب من قديم فى تربية المتفوقين والاعتناء بهم وهذا ما دعا اليه الامام النووى .

فيرى أن أمثال هؤلاء المتعلمين الاذكياء ، من ذوى الاستعدادات الخاصة ، يحتاجون الى رعاية خاصة من معليمهم ، وكذلك الى مناهج تعليمية تتلاءم وما يملكون من مواهب وقدرات خاصة يقول الامام النووى : ويوقر فاضلهم بعلم [٤] " . قوله وأن يرحب بهم عند اقبالهم اليه ، ويظهر لهم البشر ، وطلاقة الوجه ، ويحسن اليهم بعلمه [٥] " وان يرفع مجلس الفضلاء ويكرمهم بالقيام لهم على سبيل الاحترام [٦] " .

---

(١) حسن عبد العال ، فن التعليم عند ابن جماعة " مرجع سابق " ، ص ١٨٨ .
(٢) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٥٣ .
(٣) (٤) المرجع السابق ، ص ٥٦ .
(٥) المرجع السابق ص ٥٢
(٦) المرجع السابق ص ٥٦

وعلى المعلم أن يخص المتعلم الذكى بمزيد من الحفاوة والتكريم والخطوة الخاصة من قبله فينهى الامام النووى المعلم بقوله : " ولايخاطب الفاضل منهم باسمه بل بكنيته ونحوها(١) " . ويستشهد على ذلك بحديث عن عائشة رضى الله عنها قالت: " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكنّى أصحابه اكراما لهم وتسنية لأمورهم(٢) " . فنرى الامام النووى يوصى كثيرا بهؤلاء الفئة من المتعلمين النابغين والعناية بهم بسبب استعداداتهم وقدراتهم الخاصة ، وليكون ذلك سببا لمواصلة تقدمهم العلمى بما ينفع المسلمين ويغنيهم عن سواهم .

وخلاصة القول ان ادراك الامام النووى حقيقة الفروق الفردية بين المتعلمين وكذلك اختلاف الناس بعضهم عن بعض فى المواهب والاستعدادات والقدرات أدى الى حثه المستمر للمعلم بمراعاة مبدأ الفروق الفردية بين المتعلمين ما أمكن لأن مراعاة الفروق الفردية بين التلاميذ حافز كبير على التحصيل العلمى ، فينبغى على المعلم تجاه ذلك أن يكيّف تعليمه وطريقته التدريسية حسب قدرات واستعدادات تلاميذه ، فكل واحد منهم لديه قدرات واستعدادات تختلف عن غيره ، وذلك باتباع طريقة ملائمة لجميع مستويات المتعلمين الذهنية ، ومتمشية مع تكافؤ الفرص بينهم ، واكتشاف التلاميذ النابغين منهم ، والوقوف على استعداداتهم الخاصة . وهى من حيث أهميتها تعتبر نقاط الانطلاق فى توجيه المعلم المتعلمين الى عملية تعليم فعّالة مؤثرة .

---

(١)(٢) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٥٢ .

## رابعا - طرق التدريس والدراسة

تعتبر الطريقة التربوية جزء من المنهج وتمثل الاسلوب أو النهج الذى يسلكه المربى أو النظام الذى يرتضيه لتزويد المتعلمين بالمبادىء والخبرات التى يتضمنها المنهج التربوى ،وهى مايعبر عنها فى العملية التعليمية بطريقة التدريس . فطريقة التدريس هى الاداة الموصلة بين المعلم والمتعلم . ولاشك أن هناك ارتباطا وثيقا بين المحتوى وطريقة التدريس لايمكن الفصل بينهما ، فكل منهما يمثل حلقة فى المنهاج التربوى وتكمل كل منها الاخرى وتتممها .

فنجد أن الطريقة تؤثر فى المحتوى الذى ينبغى أن يتعلمه المتعلمون ، وكيف يتعلمونه ومدى قابلية مايتعلمونه للتطبيق ، كما أن للمحتوى دورا فى تحديد طريقة التدريس الذى ينبغى للمعلم أن يسلكها . اذ تختلف الطريقة تبعا لطبيعة المادة التعليمية ، وهى تتأثر أيضا بكل من المعلم والمتعلم . فتتأثر بالمعلم من حيث حالته النفسية وكفايته المهنية ، ومدى قدرته على تكييف آسلوبه واجراء التعديل على طريقته لتصبح أكثر حيوية ونجاحا . أما المتعلمين فتتأثر بهم من حيث مواجهتها لحاجاتهم وفروقهم الفردية وأعمارهم العقلية والزمنية ومواهبهم الخاصة ، وقدراتهم الشخصية [1]" .

---

(١) بريكان القرشى ، القدوة " مرجع سابق" ص ص ٦٥ - ٦٦ .

ولقد اهتم المربون المسلمون منذ القدم بطرق التدريس ،والدلالة على اهتمامهم بها ماقام به أحد المربين المسلمين وهو برهان الاسلام الزرنوجي من تأليف كتاب فى تعليم طرق التعلم أسماه " تعليم المتعلم طريقة التعلم "(١). ولقد اهتم كذلك الامام النووى أيضا بطرق التدريس وان لم يكتب فيها كتابة خاصة ، الا أن الدارس يستطيع التعرف على آرائه فى أساليب التدريس وطرائقه فى عصره • ومن المعروف أن طرق التدريس وأساليبه " ليست واحدة فى كل عصر وفى كل مجتمع ، بل هى وليدة ظروف وحاجات ومطالب اجتماعية معينة ، ومن ثم فهى تتغير كلما تغيرت الأهداف التعليمية ، والاهتمامات التربوية ، لمواجهة متطلبات المجتمع وحاجاته ، كما يشملها التعديل والتبديل كلما تعددت وتنوعت مصادر المعرفة ، وكلما لفحت رياح التغيير ثقافة المجتمع ، أو شملت توقعات أفراده وآمالهم(٢)" ومن هنا ينبغى عدم الحكم على صلاحية طرق التدريس وأساليبه عند الامام النووى الا فى ضوء متطلبات عصره الذى عاش فيه ، وفى اطار المؤثرات الثقافية التى أحاطت به فى القرن السابع الهجرى • لذا ينبغى أن لانقيس آراءه فيما يخص طرق التدريس بما جدّ من طرق وأساليب للتدريس ، فرضتها ظروف عصرنا وخصائصه مثل طريقة تدريس الوحدات ، وطريقة المشروع وغيرهما •

وتعرّف الطريقة فى التدريس بأنها : " سلسلة فعاليات منظمة ، يديرها فى الصف معلم يوجه انتباه طلابه اليه بكل وسيلة ، ويشاركهم

---

(١) سيد احمد عثمان ، التعلم عند برهان الاسلام الزرنوجي ( القاهرة : الانجلو المصرية ، ١٩٧٧ ) ، ص ٣٨ - ٣٩ •

(٢) حسن عبد العال ، فن التعليم " عند ابن جماعة "مرجع سابق"ص ٢٠٥

فى هذه الفعاليات لتؤدى بهم الى التعلم[١]" وهناك تعريف آخر نرى أنه أشمل تعريف للطريقة هو : " جميع أوجه النشاط الذى يقوم به المدرس فى اطار مقتضيات مادة تدريسه وخصائص نمو تلاميذه ، وظروف بيئته ، بغية مساعدة تلاميذه على تحقيق التعلم المرغوب والتغير المنشود فى سلوكهم ، وبالتالى مساعدتهم على اكتساب المعلومات والمعارف والمهارات والعادات والاتجاهات والميول والقيم المرغوبة [٢]" .

ومن هنا ندرك أن الطريقة عملية تعليم تتطلب خطوات يؤدى الانتقال فيها من واحدة الى أخرى فى النهاية الى التعلم ، إذ هى وسيلة نختارها ونتّبعها لتفهيم التلاميذ فى درس ما مادة معينة ، ويتوقف على حسن اختيارها نوع التعليم والتعلم وبحسن اختيارها يحصل النجاح للمعلم ، اذ أن حسن الاختيار ييسر ايصال المعلومات الى أذهان الطلاب بأسرع وقت وأقل جهد [٣]" .

وعلى الرغم من أننا لم نستطع التوصل الى تعريف محدد للطريقة فى التدريس عند الامام النووى الا أننا نجد أن التعليم فى العهود الاولى كان يعتمد على الطريقة الفردية الخاصة بالمعلم وابداعه وابتكاره ، بالاضافة الى استعانته بطلابه الاذكياء النابغين لتعليم مجموعات صغيرة عند ازدياد عدد المتعلمين لديه . فعملية التعلم ليست عبارة عن معلم يستظهر المعلومات ليعلم ، وطالب يستظهر ليمتحن . بل إنها عملية

---

(١) محمد حسين آل ياسين ، المبادىء الاساسية فى طرق التدريس العامة ، ( بيروت : دار القلم ، ١٩٧٤) ، ص ٧٥ .

(٢) عمر محمد التومى الشيبانى ، فلسفة التربية الاسلامية (طرابلس : الشركة العامة للنشر والتوزيع ، ١٩٧٥ ) ، ص ٤٠٥ .

(٣) محمد حسين آل ياسين ، المبادىء الاساسية فى طرق التدريس العامة " مرجع سابق " ، ص ٧٥ .

انسانية جعلت واجبات المعلمين لاتنحصر فى الصف والمدرسة فحسب بل تعدت الى خارجها [١].

وسيتناول الباحث بعض طرق التدريس المستخلصة مما كتبه الامام النووى عن آداب المعلم . كما سنحاول تصنيفها تحت ما تعارفنا عليه الان من طرق التدريس .

## ١ - الطريقة الالقائية

تعتبر طريقة الالقاء أو المحاضرة من الطرق المستخدمة قديما فى التعليم ، وعلى الرغم من قدم تلك الطريقة ، فلا يمكن اعتبارها عديمة الفعالية ، فان " ثمة ارشادات تجعل منها طريقة فعالة ، اذا مارأى المعلم أنها تناسب موقفا تعليميا معينا [٢] " وتعتمد هذه الطريقة فى عمومها على عرض الحقائق والمفاهيم وتوضيحها وتفسيرها ، كما تقوم على شرح المعلومات وتبسيطها ليسهل على التلاميذ استيعابها . ويتوصل المعلم بها فى درسه للتأثير على شعور التلاميذ ، واثارة عواطفهم ، وحفزهم على العمل والنشاط .

وعلى الرغم من أن التربية الحديثة لم تعلق على طريقة الالقاء أو المحاضرة أهمية كبيرة وأصبح الاتجاه العام لهذه التربية سائرا نحو

---

(١) محمدحسين آل ياسين "المبادىء الاساسية"،" مرجع سابق"،ص ١١ - ١٢.

(٢) عزت جرادات وآخرون ، التدريس الفعّال ، ط ٢ ( سلسلة مطبوعات المكتبة التربوية المعاصرة ، ١٤٠٤ هـ )، ص ٧٦ .

الاستعانة بطرق التدريس الاخرى التى تستغل فى الدرجة الاولى فعالية المتعلم فى التعلم ، الا ان هناك بعض المواقف فى التعليم لايمكن الاستغناء فيها عن طريقة الالقاء أو المحاضرات (١) . وهى الى الان تعتبر " من أكثر الطرق شيوعا ، ولاتزال تستمتع بمركز هام بين جميع الطرق (٢)" ومن هذه المواقف نجد أن المعلم يحاضر طلابه شفاهة ويشرح لهم الجديد من المعلومات أو ينقل اليهم فكرة معينة لايعرفها الطلاب ولايستطيعون أن يتوصلوا اليها لا فى كتبهم المدرسية المقررة ولافى المراجع التى بين أيديهم ان وجدت . وقد يحتاج ايضا الى التأثير على شعورهم واثارة عواطفهم ، وفى هذه الحالة لابد ان يلجأ المعلم الى الالقاء والعرض .

ولقد أهتم الامام النووى بطريقة الالقاء أو المحاضرة ، بل يكاد المرء يلحظ أنها الطريقة الغالبة فى عملية التدريس عنده ، وأن غيرها من الطرق والوسائل انما تدور فى فلكها نظرا لطبيعة المادة العلمية وقلة الكتب . وقد يكون للامام النووى بعض العذر لسيادة الفلسفة التعليمية التى تستند اليها طريقة الالقاء فى عصره الذى عاش فيه ، وهى أن محور التعليم كان يعتمد بالدرجة الاولى على قدرة المعلم فى توجيه مسار الدرس . وهذه الطريقة تربط المعلم بمجتمعه ، وتجعله يأخذ بعين الاعتبار اهتمامات طلبته ، كما أنه يتأثر بالمناقشات والمساءلات التى يثيرها الطلاب ، فتتنبه الى آفاق علمية جديدة (٣) . فنجد أن مركز الفعالية الحقيقى فى العملية التعليمية لطريقة الالقاء كان هو المعلم . وأصبح " الطالب وعاء فارغا يصب فيه ما يجتمع

---

(١) محمد حسين آل ياسين ، المبادىء الاساسية " مرجع سابق "، ص ٧٧- ٧٨

(٢) محمد عزت عبدالموجود وآخرون ، أساسيات المنهج وتطبيقاته (القاهرة : دار الثقافة للطباعة والنشر ، ١٩٧٩ ) ، ص ١٣٦ .

(٣) صالح احمد العلى ، دراسات فى تطور الحركة الفكرية فى صدر الاسلام ( بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٣ هـ ) ، ص ٢٤ - ٢٥ .

لدى المعلم من معلومات الماضى وحكمه [(١)] " .

فالمعلم فى طريقة الالقاء دوره الاساسى " تعليمهم او القاء درس عليهم [ اى على التلاميذ ] [(٢)] " والقيام بجميع المعارف والمعلومات اللازمة للمتعلمين عن الدرس فيبين لهم " من الاصول والامثال والاشعار واللغات [(٣)] " ، وليس هذا فحسب بل إنه ينبه تلاميذه الى الاخطاء التى قد يقع فيها بعض المصنفين للكتب المدرسية المقررة عليهم ، فيقول الامام النووى منبها المعلم على تدارك تلك الاخطاء وتصويبها " مثلا هذا هو الصواب ، وأما ماذكره فلان فَغلط أو فضعيف " [(٤)] والسبب فى تنبيههم القصد منه " النصيحة لئلا يغتر به لا لتنقص للمصنف [(٥)] " . كما أن على المعلم فى طريقة الالقاء دور اكبر وهو أن يقوم بتوضيح الدرس للتلاميذ توضيحا شاملا من جميع جوانبه إذ يبين للمتعلم " جملا مما يحتاج اليه ، وينضبط له [(٦)] " ، كما يبين له " حد الامر والنهى والعموم والخصوص والمجمل والمبين [ المفصل ] والناسخ والمنسوخ [(٧)] " وغير ذلك . وكل هذا التوضيح من قبل المعلم لجوانب الدرس لايتم الاّ بطريقة الالقاء وحدها ، ولذا نبه الامام النووى المعلم الى مراعاة مصلحة المتعلمين فى تقديم الدرس أو تأخيره فيقول: " ويؤخر ماينبغى تأخيره ، ويقدم ماينبغى تقديمه [(٨)] " ولاشك أن ذلك كله لابد

---

(١) محمد حسين آل ياسين ، المبادىء الاساسية فى طرق التدريس العامة " مرجع سابق " ، ص ٧٧ - ٧٨ .

(٢) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ج ١ ، ص ٥٨ .

(٣)،(٤)،(٥) المرجع السابق، ص ٥٣ .

(٦)،(٧) المرجع السابق ، ص ٥٤ .

(٨) المرجع السابق، ص ٥٦ .

أن يتم بالتدريج للتلاميذ فيقول الامام النووى : " ويكون تعليمه اياهم كل ذلك تدريجا شيئا فشيئا لتجتمع لهم مع طول الزمان جمل كثيرات[(١)] " ، ويطلب الامام النووى من المعلم اثارة دوافع تلاميذه للتعلم وذلك بأن " يحرضهم على الاشتغال [ أى بالعلم ] فى كل وقت[(٢)] " وكما يعتنى " بمصالحه [ أى المتعلم ] كاعتنائه بمصالح نفسه وولده[(٣)] " .

ويطلب الامام النووى من المعلم أن يكون " سهلا بالقائه الى مبتغيه متلطفا فى افادته طالبيه مع رفق ونصيحة وارشاد الى المهمات[(٤)] " . كما يستحب للمعلم " أن يرفق بالطالب ويحسن اليه ما أمكنه[(٥)] " .

كما طلب الامام النووى أيضا من المعلم أن يكون القاؤه الدرس على تلاميذه " مترسلا مبينا واضحا "[(٦)] لكى تحصل لهم الفائدة المرجوة على الوجه الاكمل . ولاشك أن طريقة الالقاء والمحاضرة قد احتلت موقع الصدارة بين طرق التدريس عند الامام النووى فى عصره . اذ تبدأ عملية التعليم - بالدرجة الاولى - من المعلم وتنتهى بالتلاميذ .

---

(١) ، (٢) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٥٥ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٥١ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٥٢ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٤٦ .

(٦) المرجع السابق ، ص ٥٦ .

## الاعـــداد للـــــدروس

لايخفـــى أن الاعـــداد للدروس يعتبر الحجر الأساس للتدريس الجيد المبدع ، باعتبار أن عملية الاعداد مرحلة من مراحل عملية التدريس التى لايمكن أن نقلل من قيمتها أو تقديرها ، حيث أن الاعداد يؤدى الى " تحقيق الاهداف المنشودة ، بأقل جهد وأقصر وقت وأفضل نتائج[1] " ، فالاعداد للتدريس يمثل " منهجا وأسلوبا وطريقة منظمة للعمل ، إنه عملية عقلية منظمة هادفة ، تؤدى الى بلوغ الأهداف المنشودة بفعالية وكفاية[2] " . وينبغى عند الاعداد للدروس للتلاميذ ، ووضع الاطار للمادة العلمية ، أن تعطى الوقت الكافى للتفكير فى " كيف تدرس ؟ " ، مثلما نفكر فى " ماذا ندرس ؟ "[3]. ومن الخطأ أن يبدأ المعلم فى التدريس بطريقة الالقاء أو المحاضرة بدون اعداد مسبق أو استعداد لها فكما " أن كل الطرق التدريسية الأخرى تتطلب دراسة واتقانا كذلك طريقة المحاضرات فهى تحتاج الى دراسة والى تحضير شأنها شأن الطرق الاخرى[4] " .

ولذلك ينبغى على المعلم أن يعامل المتعلمين بالطريقة التى تجعل المتعلم أكثر فاعلية . لا من حيث تعلم المواد الدراسية فحسب ، بل أيضا

---

(١) عزت جرادات وآخرون ، التدريس الفعال " مرجع سابق " ،ص ٦٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٦٣ - ٦٤ .

(٣) محمد سليمان شعلان ، سعاد جاد الله ، محمد محمود رضوان ، اتجاهات فى أصول التدريس بمدرسة التعليم الاساسى ، ط ١ ( القاهرة : دار الفكر العربى ، ١٩٨١ ) ، ص ١٠١ .

(٤) محمد حسين آل ياسين ، المبادىء الاساسية " مرجع سابق " ،ص ٨٠ .

من حيث تعلم المهارات والاتجاهات والسلوك . فطريقة التدريس " ذات أهمية قصوى لكل شخص مهتم بالتدريس ذلك أنه لايستطيع أى شخص أن يدرس شيئا ما لشخص آخر دون أن يفعل ذلك بطريقة ما . وهذه الطريقة لها آثار هامة على الموقف التدريسى كله ، وكذلك على التعلم(١) " فنجد أنه من المستحسن أن يهتم المعلم بطرق التدريس " القديمة " [ يقصد المتعارف عليها والمجربة من قبل ] اذا كان فى مطلع حياته التعليمية (٢) " .

ولكى تحقق طريقة الالقاء أهداف التعليم وتتخلص مما يلحق بها من عيوب فان على المعلم أن يعد لها اعدادا جيدا قبل أن يشرع فى القاء درسه ، ويرى الامام النووى أن الاعداد للالقاء يتحقق بالتالى :

١ - <u>تهيؤ المعلم لالقاء الدرس</u> :

يقصد بالتهيؤ هو " الاتجاه المهيىء لمواجهة موقف التعلم، وهذا الاتجاه له دوره الواضح فى نجاح عملية التعلم(٣) " . فقد طلب الامام النووى من المعلم أن لايدخل فى الدرس مباشرة ، وانما لابد من التهيؤ النفسى له وذلك بطلب الاستعانة بالله والتقرب اليه بالنوافل . فاذا وصل المعلم الى موضع الدرس " صلى ركعتين ، فان كان مسجدا تأكد الحث

---

(١) روشالى . ت . هايمان ، طرق التدريس ،ترجمة ابراهيم محمد الشافعى ( الرياض : جامعة الملك سعود ،عمادة شئون المكتبات ، ١٤٠٣) ، ص ٣٥ - ٣٦ .

(٢) آرثر جورج هيوز، اى اج .هيوز ، التعلم والتعليم مدخل فى التربية وعلم النفس ،ترجمة حسن الدجيلى ( الرياض ،جامعة الملك سعود، ١٤٠٢)ص ٤٣ .

(٣) سيد أحمد عثمان، التعليم عند برهان الاسلام الزرنوجى" مرجع سابق "ص٤٣ .

على الصلاة [1]" ثم بعد ذلك التهيؤ للجلوس للدرس ، وذلك بأن " يقعد مستقبل القبلة على طهارة . متربعا ان شاء ، وان شاء محتبيا* وغير ذلك[2]" و " أن يجلس بوقار [3]" .

ويتقدم ذلك العناية بالمظهر العام للمعلم وذلك بأن تكون " ثيابه نظيفة بيض[4]" . دون أن " يعتنى بفاخر الثياب[5]" فالمعلم فى نظر الامام النووى قدوة حسنة لتلاميذه فى مظهره وهندامه دون مغالاة أو ابتذال ، وفى أخلاقيات المهنة ، وسلوكه بصفة عامة . حتى ينطبع هذا فى نفوس تلاميذه عن طريق المحاكاة والتقليد والتأس به [6]" .

ومن تهيؤ المدرس للدرس أيضا عقد النية وهى شرط ضرورى للتعلم وذلك بأن يقصد المعلم " بتعليمه وجه الله تعالى ... والا يجعله وسيلة الى غرض دنيوى [7]" . وهذا من شأنه أن يجعل المعلم يستشعر قيمة عمله ويحس بالمتعة فى ممارسته ، فلا يطلب التدريس ( التعليم ) حينئذ كمهنة أو عملا ليكتسب منه ، وانما لكون " التعليم آكد العبادات ، وليكون

---

(١) ، (٢) ، (٣) ، (٤) ، (٥) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٥٦ .

* قال ابن الاثير : الاحتباء هو أن يضم الانسان رجليه الى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره ويشده عليها .
وقال الجوهرى : احتبى الرجل اذ أجمع ظهره وساقيه بعمامته وقد يحتبى بيديه . ابن منظور ، لسان العرب ، ج ١٤ ، ص ١٦ .

(٦) عرفات عبد العزيز ، المعلم والتربية " مرجع سابق " ، ص ١١٨ - ١١٩ .

(٧) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٥٠ .

ذلك حاثا له [ اى للمعلم ] على تصحيح النية ، ومحرضا له على صيانته من مكدراته ومن مكروهاته، مخافة فوات هذا الفضل العظيم والخير الجسيم"[١]
كما يحرص الامام النووى كل الحرص على تذكير المعلم دائما بأن التعليم " من أهم أمور الدين ، وأعظم العبادات ، وآكد فروض الكفايات[٢]" وهذا من شأنه أيضا أن يرفع من حماس ونشاط المعلم فى بذل الوسع لتفهيم طلابه والخروج بالفائدة المرجوة .

ويصاحب الاعداد النفسى للمعلم التهيؤ الروحى له وللمتعلمين وذلك باستثارة العاطفة الدينية عندهم عن طريق سماع ماتيسر من القرآن قبل البدء فى الدرس لكى تطمئن القلوب به وتغشاهم الرحمة فيقول فى ذلك : " ويقدم على الدرس تلاوة ماتيسر من القرآن ، ثم يبسمل ، ويحمد الله تعالى ، ويصلى ويسلم على النبى صلى الله عليه وسلم وعلى آله ، ثم يدعو للعلماء الماضيين من مشايخه ووالديه والحاضرين وسائر المسلمين[٣]" ، ثم يقول بعد ذلك " حسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم " ، ثم يتعوذ بالله بقوله : " اللهم انى أعوذ بك من أن أضل أو أضل ، أو أزل أو أزل ، أو أظلم أو أظلم ، أو أجهل أو يجهل علىّ[٤]" .أخرجه أبو داود والترمذى والنسائى .

---

(١) (٢) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٥٠ .
(٣) (٤) المرجع السابق ، ص ٥٦

وهذه فى الحقيقة سنة متبعة لدى علماء السلف رضوان الله عليهم قبل القاء الدرس . وبالامكان اطلاق هذا على ( التمهيد للموضوع أو المقدمة ) لان المعلم ينبغى أن لايدخل فى الموضوع مباشرة بل يمهد له أولا .

ومن ذلك أيضا عدم اطالة الدرس أو تقصيره لان ذلك يؤدى بالدارسين الى الملل والسأم ويفقدهم الاهتمام بمتابعة المعلم ، ويصرف أذهانهم عن شرحه فيقول الامام النووى " ولا يطول مجلسه تطويلا يملهم أو يمنعهم فهم بعض الدروس أو ضبطه (١) " ، ومن ذلك ايضا عدم رفع الصوت زائدا على قدر الحاجة أو خفضه فيقول الامام النووى : " ولايرفع صوته زيادة على الحاجة ولايخفضه خفضا يمنع بعضهم كمال فهمه (٢) " .

ويصاحب الاعداد النفسى والروحى أيضا التهيؤ البدنى والجسمى ، اذ أن حالة المعلم الجسمية تؤثر فى قدرته على القاء درسه وافادة تلاميذه ويصبح عندئذ غير قادر على الانتاج المثمر المطلوب ، لذا نهى الامام النووى المعلم أن " يذكر الدرس وبه مايزعجه (٣) " فالمرض والجوع ومدافعة الاخبثين أو شدة فرح أو غضب وغيرها من العوامل التى تحول دون إجادة المعلم لعرض درسه والقائه بالصورة المطلوبة وقد أخبر الامام النووى عن تلك العوامل بقوله : " كمرض أو جوع أو مدافعه الحدث أو شدة فرح وغم (٤) " . فهذه العوامل من شأنها أن تجعل المعلم كسولا فى عمله

---

(١) ، (٢) ، (٣) ، (٤) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٥٧ .

غير مقبل عليه يتطرق اليه السأم أو الكآبة وهو مايخشى أن ينعكس آثره على تعامله مع تلاميذه وفى موضع درسه .

٢ - تهيئة المتعلمين للدرس :

ينبغى على المعلم أن يهيىء تلاميذه لدرسه ، ويعد أذهانهم له ، وذلك بأن يجلس المعلم فى حجرة الدراسة أو موضع الدرس بحيث يراه كل التلاميذ ، ومن ثم يستطيعون متابعته فى الدرس ، ولا يغيبون عن نظره . لذا طلب الامام النووى من المعلم " أن يجلس فى موضع يبرز فيه وجهه لكلهم [١] " كما ينبغى على المعلم " أن يصون يديه عن العبث ، وعينيه عن تفريق النظر بلا حاجة [٢] " . وعليه أن يشيع جوا من الالفة والمودة بين التلاميذ والحاضرين قبل الشروع فى القاء الدرس فيقول : " ويحسن خلقه مع جلسائه ويوقر فاضلهم بعلم أو سن أو شرف أو صلاح ونحو ذلك ويتلطف بالباقين ، ويرفع مجلس الفضلاء ، ويكرمهم بالقيام على سبيل الاحترام [٣] " ، كما أنه " يرحب بهم عند اقبالهم اليه ... ويظهر لهم البشر وطلاقة الوجه [٤] " . فنجد أن مايقوم به المعلم على هذا الوجه انما هو فى الحقيقة تهيئة أفضل بيئة لتعليم التلاميذ ، وحبهم للمعلم واقبالهم على تدريسه وبالتالى تعلمهم منه أشياء كثيرة .

---

(١) ، (٢) ، (٣) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٥٦ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٥٢ .

٣ - تقدير الوقت اللازم للدرس :

ينبغى للمعلم أن يدرك أهمية الوقت لالقاء درسه بحيث لاتتجاوز الوقت المحدد له ، ولا يقصر عنه لأن قدرة الطالب على مواصلة الانتباه قليلة فيقول الامام النووى : " ويطالبهم [ أى المعلم ] فى أوقات باعادة محفوظاتهم (١) " ولذا نبه الامام النووى المعلم على حساب الوقت اللازم لدرسه قبل البدء فيه حتى " لايطول مجلسه تطويلا يملّهم أو يمنعهم فهم بعض الدروس أو ضبطه (٢) " . بل عليه مراعاة أن " المقصود افادتهم وضبطهم ، فاذا صاروا الى هذه الحالة فاته المقصود (٣) " ويحذر الامام النووى المعلم من أن " يوضح ايضاحا ينتهى الى الركاكة ، ولا يوجز ايجازا يفضى الى المحق والاستغلاق (٤) " ، ويبعد المعلم تلاميذه عن السأم والملل الناشئين من ملازمة الموضوع ملازمة طويلة .

٤ - الوقوف على استعدادات وقدرات الطلاب قبل البدء فى القاء الدرس :

ينبغى على المعلم ، أن يكيف درسه وفق استعدادات وقدرات تلاميذه الذهنية فلا يلقى عليهم من المعارف مايشعر المتعلمين أنها أعلى من ذكائهم ، فينبه الامام النووى المعلم بأن " لايلقى اليه [أى المتعلم] شيئا لم يتأهل له لئلا يفسد عليه حاله (٥) " .

---

(١) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٥٥ .
(٢) (٣) المرجع السابق ، ص ٥٧
(٤) المرجع السابق ، ص ٥٠
(٥) المرجع السابق ، ص ٥٢

وكذلك طلب من المعلم بأن " لايدخر عنهم من أنواع العلم شيئا يحتاجون اليه ، اذا كان الطالب أهلا لذلك [١] " وذلك بأن يكون ذكاؤهم ومستوياتهم العقلية أهلا لتلك العلوم والمعارف وبما يلائمهم . ولاشك أن وقوف المعلم على قدرات تلاميذه واستعداداتهم ومستوياتهم العقلية قبل البدء فى عملية التدريس يضمن له نجاح درسه ويمكّنه من تحقيق هدفه .

٥ - **تبسيط الموضوع :**

لابد للمعلم من التفكير قبل القاء الدرس فى مواضع درسه التى تحتاج الى استخدام أساليب وتعبيرات كلامية معينة ، وايضاحات لفكرة ما وبخاصة فى المواضيع التى يخشى فيها الحرج أويمنعه الحياء أحيانا من ذكرها ، فينبغى للمعلم انتخاب الالفاظ والمعلومات التى سوف يلقيها على تلاميذه ، ولابد للمعلم من أن يوضح تلك المعانى والألفاظ ، ويطلب الامام النووى من المعلم ذلك فيقول : " ويكرر مايشكل من معانيه وألفاظه الا اذا وثق بأن جميع الحاضرين يفهمونه بدون ذلك ، واذا لم يكمل البيان الا بالتصريح بعبارة يستحى فى العادة من ذكرها فليذكرها بصريح أسمها [٢] " ويوضح الامام النووى أهمية ذلك التوضيح للتلاميذ فيقول : " ولا يمنعه الحياء ومراعاة الادب من ذلك ، فان ايضاحها أهم من ذلك [٣] " . واذا كانت الكتابة تؤدى المقصود وتفهمه فهما جيدا ، فيرى الامام النووى أن يكتفى

---

(١) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٥٢ .

(٢) (٣) المرجع السابق، ص ٥٦ .

ب " الكناية فى مثل هذا اذا علم بها المقصود علما جليا ، وعلى هذا التفصيل يحمل ما ورد فى الاحاديث من التصريح فى وقت ، والكناية فى وقت [١] " .

فنجد أن الامام النووى أشار الى أن فهم التلاميذ للدرس هدف لابد منه ولذلك قال فيما سبق : " فان ايضاحها أهم من ذلك [٢] " .

وصفوة القول أن " التخطيط للتدريس يمثل احدى المهارات المهمة التى ينبغى على المعلم اكتسابها وممارستها [٣] " لأن " الخطة التدريسية تمثل قاعدة الارتكاز ومحور الانطلاق فى العملية التربوية [٤] " وذلك للدلالة على أهمية التخطيط للتدريس قبل القاء الدروس . ولأن التعليم غير المبنى على التخطيط السليم لا يلبى طموحات الافراد أو المتعلمين .

تلك كانت ملامح من القواعد العامة التى أكدها الامام النووى فى كتابته عن آداب المعلم من حيث كيفية استخدام الطريقة الالقائية أو المحاضرات استخداما مفيدا بعد التخلص من عيوبها التى قد تلحق بها .

---

(١)،(٢) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٥٦ .
(٣) عزت جرادات وآخرون ، التدريس الفعال " مرجع سابق "، ص ٦٥.
(٤) المرجع السابق، ص ٦٥ - ٦٦ .

وتعتبر طريقة الاسئلة والاستجواب من الطرق المستخدمة من القديم في التعليم ، وقد تتخلل طريقة الالقاء فطريقة الاسئلة ليست طريقة منفردة في عملية التدريس وقائمة بذاتها ، بل لابد من جميع الطرائق التدريسية أن يصاحبها ويتخللها عدد من الاسئلة ، وهذا بالطبع يختلف من طريقة لأخرى ، فبعضها يكون عدد الاسئلة كثيرا ، وفي البعض الآخر قليلا ، الا أن بعض الطرق كالمناقشة مثلا تتألف من الاسئلة بصورة غالبة ولاسيما المناقشة التي يديرها المعلم بينه وبين تلاميذه فهو المسؤول عن توجيه الاسئلة الى طلابه (١).

ومع أن حاجة المتعلمين الى توجيه الاسئلة من قبل المعلمين باستمرار قد أصبحت في الظروف المدرسية وبالطرق التربوية الحديثة أقل مما كانت عليه سابقا نظرا لتعدد طرق التدريس الحديثة ولكثرة عدد التلاميذ في الفصل الدراسي الواحد . فان فن الاستجواب " الحوار والنقاش " يبقى قسما مهما من أقسام طرق التعليم ، فالاسئلة عماد طريقة تدريس المدرس لاسيما اذا كان الدرس كله يتألف من الاسئلة والاجوبة ( الاستجواب ) حيث أن كفاءة المعلم لاتظهر الا بطريقة توجيهه الاسئلة وكيفية صياغتها وكيفية اثارة المتعلمين لتلقيها وفهمها والاجابة عليها (٢) .

---

(١) (٢) محمد حسين آل ياسين ، المبادئ الاساسية في طرق التدريس العامة " مرجع سابق " ، ص ٩٠ .

وتعتبر الاسئلة من أهم عناصر طرق التدريس ، اذ تحقق أغراضا متعددة من أغراض التعليم ، من ذلك أنها وسيلة فى متناول أيدى المتعلمين تعينهم على فحص نتائج التعلم ، وعلى معرفة مدى تفهم المتعلمين للايضاحات التى يقدمها لهم المعلمين ، كما تستعمل الاسئلة لاثارة التفكير لدى المتعلمين فى نقطة معينة من نقاط الدرس ، وجلب انتباههم الى الدرس ، وبالتالى تحريك حب الاستطلاع فى نفوسهم ، وحينا لحمل الطلاب على ربط بعض خبراتهم السابقة بالدرس الجديد المراد تعليمه ، وفى ذلك ربط الدرس بالحياة وبالواقع الحاصل فى المجتمع (١) .

ولقد اهتم الامام النووى بطريقة الاسئلة ( الاستجواب ) وتناولها من خلال حديثه عما أسماه " آداب المعلم " أو " آداب المتعلم " . ويمكننا أن نتناول طريقة الاسئلة والاستجواب ( الحوار والنقاش ) عنده على النحو التالى :

## أغراض الاسئلة :

تحقق الاسئلة والاستجواب عند الامام النووى أغراضا متعددة من أهمها :

### ١ - معرفة نتائج التعلم :

يقف المعلم عن طريق الاسئلة على مقدار المعلومات والحقائق والمعارف التى استوعبتها أذهان المتعلمين ، كما يتعرف عن طريقها على

---

(١) محمد حسين آل ياسين ، المبادىء الاساسية " مرجع سابق " ،ص ٩١ - ٩٣ .

مدى فهم المتعلمين لشرحه وايضاحه فهما واضحا ، ولقد عبّر الامام النووى عن ذلك بكلمة " ضبطهم " ، كما اكد ايضا على اهمية الاسئلة فى معرفة فهم المتعلمين لما شرح لهم ولذا قال : " وينبغى للمعلم أن يطرح على أصحابه [ أى المتعلمين ] مايراه من مستفاد المسائل ، ويختبر بذلك أفهامهم (١) " . ولأن المقصود الحقيقى فى نظر الامام النووى هو " افادتهم وضبطهم (٢) " . وأن توجيه الاسئلة على المتعلمين عند الامام النووى من أهم مايكشف للمعلم عن مدى فهم تلاميذه للدرس ، ولذا فلا ينبغى للمتعلم أن يسأل المعلم أسئلة خارج موضوع الدرس لان ذلك يؤدى الى ضياع الوقت ، فينبغى على المعلم أن يؤكد على الاسئلة ذات الاهمية للدرس وللتلاميذ ، فكثير من التلاميذ يسألون عن أشياء خارجة عن الدرس الامر الذى يؤدى الى تفريق أذهان التلاميذ وتشتيت انتباههم ، لهذا طلب الامام النووى من المعلم أن يعود تلاميذه بعدم سؤاله " عن شىء فى غير موضعه الا أن يعلم من حاله أنه لايكرهه (٣) " وكما نهى المتعلم أيضا من مسابقة شيخه " الى شرح مسألة أو جواب سؤال الا أن يعلم من حال الشيخ ايثار ذلك ليستدل به على فضيلة المتعلم (٤) " .

ويرى الامام النووى أن طرح المعلم للاسئلة بين الحين والاخر خلال عرضه للدرس يعد مؤشرا جيدا للتأكد من متابعة التلاميذ ومدى فهمهم

---

(١) النووى ، المجموع " مرجع سابق" ، ج ١ ، ص ٥٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٧ .

(٣) ، (٤) المرجع السابق، ص ٦٢ .

للدرس ذلك لان الطالب ربما استحيا " من قوله لم أفهم (١) " ويرجع السبب الى أن "استثباته يحصل له مصالح عاجلة وآجلة ، فمن العاجلة حفظه المسألة وسلامته من كذب ونفاق باظهاره فهم مالم يكن فهمه ، ومنها اعتقاد الشيخ اعتناءه ورغبته وكمال عقله وورعه وملكه لنفسه وعدم نفاقه ، ومن الآجلة ثبوت الصواب فى قلبه دائما واعتياده هذه الطريقة المرضية والاخلاق الرضية (٢) " .

وعلى المعلم أن يعود تلاميذه آدب السؤال ، فيطلب الامام النووى من المتعلم حينئذ أن " يتلطف فى سؤاله (٣) " ومن آداب السؤال أيضا أن " يحسن خطابه (٤) " الى المعلم فهذه الاداب تضفى على الصف الدراسى جوا من الهدوء والبعد عن الضوضاء الامر الذى يؤدى الى تعلم جيد وعدم اضاعة للوقت فيما لافائدة منه .

٢ - مراجعة المعلومات السابقة باستعادتها :

فالمراجعة للدروس السابقة من قبل المعلم عن طريق الاسئلة والاستجواب مفيدة فى ترسيخ المعرفة التى تم تحصيل المتعلمين لها من قبل . ولما فى المراجعة بذلك من ربط الدروس بعضها ببعض وكأنها وحدة متجانسة لاتتجزأ يقول الامام النووى فى ذلك : " ويطالبهم [أى المعلم] فى أوقات باعادة محفوظاتهم ، ويسألهم عما ذكره لهم من المهمات (٥) " .

---

(١)،(٢)،(٣)،(٤) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٦٢ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٥٥

وكذلك قوله " واذا فرغ من تعليمهم أو القاء درس عليهم آمرهم باعادته ليرسخ حفظهم له ، فان آشكل عليهم منه شئ ماعاودوا الشيخ فى ايضاحه[١] " ولقد حذر الامام النووى كلا من المعلم والمتعلم من الاسئلة التعجيزية المعبة لاى منهما فقال : " ولا يسأل أحدا تعنتا وتعجيزا ، فالسائل تعنتا وتعجيزا لايستحق جوابا[٢] " .

ان مراجعة المعلومات بواسطة الاسئلة أمر لازم لتثبيتها فىأذهان المتعلمين كما أن "المراجعة ضرورية لاكتساب المعلومات دون الوقوف عند حد السيطرة الجزئية عليها ، ومن ناحية أُخرى فان تكرار المهارات والعادات بين آن وآخر - حتى بعد آن تصبح الاستجابة آلية صحيحة - أمر لازم لتجنب النسيان[٣] " . وفى ضوء ذلك يتضح اهتمام الامام النووى بالمراجعة بعد الفراغ من القاء الدرس عليهم " باعادته ليرسخ حفظهم له[٤] " .

فالمعلم الواسع المعرفة هو الذى يعرف كيف ينقل مايعرفه الى طلابه ، ويستفيد من علاقته بهم وذلك بتواضعه وحسن معاملتهم واظهار المودة لهم لكى يصبح لدى التلاميذ الجرآة على سؤال المعلم دون خوفأوخجل عندما يوجهون اليه أسئلة ويكتشفون الاشياء التى تعلمها وعرفها[٥] .

---

(١) النووى ، المجموع" مرجع سابق " ، ص ٥٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٦٦ .

(٣) فكرى حسن ريان . التدريس " مرجع سابق " ، ص ١٨٧ .

(٤) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٥٨ .

(٥) ايرل بولياس ، جيمس يونغ ، المعلم آمة فى واحد ، تعريب ايلى واريل ، ( بيروت : دار الافاق الجديدة د . ت ) ،ص ١٥٠ .

أما العلاقة الوطيدة بين المعلم والمتعلمين من أهم العوامل فى الناحية التعليمية ، لان هذه العلاقة تشتمل على الطريقة التى يتفهم المعلم من خلالها طلابه ويعلمهم بها ، وعلى الطريقة التى يتفهّم بها الطلاب والمعلم ، مما يؤدى بذلك الى تعلم مثمر فعّال ، وتجعله أكثر فعالية وايجابية .

فالمعلم الناجح هو الذى لايرحب بالاسئلة فقط بل يشجع تلاميذه على طرحها بحركة ايجابية ، وحينما يطرح عليه الاسئلة يظهر البشاشة والبشر وطلاقة الوجه (١) " * وكذلك يحمل تلاميذه باسئلته على مراجعة مادرسوه من معلومات ومعارف وعلى تكرار ماهو هام ومفيد لهم أو بتعبير الامام النووى " المهمات " أو " مستفاد المسائل " أو " الفوائد النفيسات " . او "منبها على القواعد" فيقول الامام النووى منبها المعلم بذلك : " ويظهر لهم البشر وطلاقة الوجه ويحسن اليهم (٢) " . وكما " يسألهم عما ذكره لهم من المهمات (٣) " .

<u>٣ - مساعدة المتعلمين فى التعرف على الحقائق والمسائل والفوائد والمعلومات الأكثر أهمية من غيرها :</u>

أشار الامام النووى الى ماينبغى على المعلم سؤاله للمتعلمين بغية " ارشاد الى المهمات أو تحريض على حفظ مايبذله لهم من الفوائد

---

(١) آرثر جورج هيوز ، اى اج ، هيوز ، التعلم والتعليم " مرجع سابق " ، ص ٣٦٤ .

(٢) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٥٢ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٥٥ .

* أن علماءنا المسلمون سبقوا علماء الغرب والشرق فى ميادين التربية والتعليم . وزادوا عليه .

النفيسات [١] " ، وكذلك بقصد أن " يسألهم عما ذكره لهم من المهمات [٢] " بالاضافة الى طلب الامام النووى من المعلم أن " يطرح على اصحابه مايراه من مستفاد المسائل ويختبر بذلك أفهامهم [٣] " .

ولا غرو أن " المدرس الماهر هو الذى يستطيع بأسئلته حمل طلابه على التمييز بين الحقائق وتقديرها [٤] " وينبه الامام النووى فى ذلك المتعلم بعدم الاعتناء بما هو غير هام فيقول : " وليعتن بكل الدروس ، ويعلق عليها ما أمكن فان عجز اعتنى بالاهم [٥] " .

ومما يجدر ذكره أن أسئلة المتعلمين للمعلم ضرورية لاستفسارهم عما لايفهمون ، كما أنها تدل على ايجابية المتعلمين ومشاركتهم الفعّالة فى الدرس عن طريق الحوار والنقاش مع المعلم ، ولذلك لابد للمعلم من اتاحة الفرص فى درسه لكى يوجه اليه المتعلمون أسئلتهم مع تشجيعهم على ذلك ، ويرى الامام النووى أن خير وسيلة لتشجيع المعلم طلابه على النقاش والحوار وتوجيه الاسئلة هى التواضع لهم وحسن معاملتهم برفق ، واظهار المودة لهم ، ولذا دعا الامام النووى المعلم الى " ان لايتعظم على المتعلمين بل يلين لهم ويتواضع [٦] " ويستشهد بآيات وأحاديث على ذلك

---

(١) النووى ، " مرجع سابق " ، ص ٥٢ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٥٥ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٥٨ .
(٤) محمد حسين آل ياسين ، المبادىء الاساسية " مرجع سابق " ، ص ٩٢ .
(٥) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٦٥ .
(٦) المرجع السابق ، ص ٥٢ .

منها قوله صلى الله عليه وسلم : " لينوا لمن تعلمون ولمن تتعلمون منه [١]" ، وكذلك قول الفضيل بن عياض رحمه الله : " أن الله عز وجل يحب العالم المتواضع ، ويبغض العالم الجبار ، ومن تواضع لله تعالى ورّثه الحكمة [٢]. كما أن الامام النووى نهى المتعلم أن " يلح فى السؤال الحاحا مضجرا [٣]"بل عليه أن"يغتنم سؤاله [أى المعلم] عندطيب نفسه وفراغه [٤]".
كما طلب من المعلم أن يعوّد المتعلم بشتى الطرق والوسائل بأن"لايستحى من السؤال عما اشكل عليه [٥]" .

ولاشك أن اثارة الاسئلة من قبل المعلم لتلاميذه تفتح المجال أمامهم لاستعادة ما حفظوه من معلومات فى عملية مراجعة مستمرة للدروس قبل القاء الدرس الجديد ، واتاحة الفرصة أمام التلاميذ من توجيه أسئلتهم الى المعلم عما لايعرفون ، ولذلك نهى الامام النووى المتعلم من الاستحياء فى ذلك بقوله : " ولا يستحى من السؤال عما لايعلم" [٦]. ويستشهد الامام النووى فى ذلك بقول مجاهد : " لايتعلم العلم مستح ولا مستكبر [٧]" . وتلك قاعدة هامة جدا يحرص عليها المربون المسلمون كما أكدوا عليها فى

---

(١)(٢) النووى ، المجموع" مرجع سابق " ، ص ٥٢ .
(٣) (٤) (٥) المرجع السابق ، ص ٦٢
(٦) (٧) المرجع السابق ، ص ٤٩

كتاباتهم . اذ أن الحياء فى هذا المقام مذموم . فلا ينبغى عندئذ لطالب العلم أن يتصف بتلك الصفة لأنه سيظل طول عمره جاهلا كما قال سعيد بن جبير : " لايزال الرجل عالما ما تعلم ، فاذا ترك العلم وظن أنه قد استغنى واكتفى بما عنده فهو أجهل مايكون(١) " .

وعلى المعلم أن يؤكد على الاسئلة ذات العلاقة بالدرس والمتعلمين بحيث لاتكون خارجة عن موضوع الدرس ، الامر الذى يؤدى الى تفريق أذهان المتعلمين وتشتت انتباههم ، كما أن ذلك يؤدى الى اهدار واضاعة الكثير من الوقت ، لان كثيرا من المتعلمين يسألون عن اشياء خارجة عن موضوع الدرس ، ولذا نهى الامام النووى المتعلم أن " يسأله [ أى المعلم] فى غير موضعه (٢) " واستثنى " أن يعلم من حاله [ أى المعلم ] أنه لايكرهه (٣) " .

وهناك أمور أو أشياء ينبغى للمتعلمين ان لايسألوا عنها لعدم نضجهم وتأهلهم لمعرفة حقائقها ، ولذا ينصح الامام النووى المعلم بقوله : " فلو سأله المتعلم عن ذلك لم يجبه ، ويعرفه أن ذلك يضره ولاينفعه ، وأنه لم يمنعه ذلك شحا بل شفقة ولطفا (٤) " . فالمعلم الكفء هو الذى " يهتم بحث تلاميذه على توجيه الاسئلة والاجابة عنها (٥) "

---

(١) النووى، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٤٩ .

(٢) ، (٣) المرجع السابق، ص ٦٢ .

(٤) المرجع السابق، ص ٥٢ .

(٥) آرثر جورج هيوز ، آى . اج. هيوز ، التعلم والتعليم " مرجع سابق " ، ص ٣٧٧ .

وهذا بلاشك يتيح الفرصة الكاملة للمتعلمين للحوار والنقاش فيما يعود عليهم بالنفع والفائدة ، ولذا ينبغى على المعلم ، كما يقول الامام النووى : " أن ينصفهم فى البحث فيعترف بفائدة يقولها بعضهم وان كان صغيرا (١) " .

## ٤ - موقف المعلم من الاسئلة الصعبة :

قد يجد المعلم نفسه أحيانا فى موقف تتعذر عليه الاجابة عن السؤال أصلا ولذلك يطلب الامام النووى من المعلم "اذا سئل عن شئ لايعرفه أو عرض فى الدرس مالايعرفه فليقل لا أعرفه أو لا أتحققه ، ولايستنكف عن ذلك (٢) " . لان المبدأ الاساسى فى معالجة أسئلة المتعلمين بجدية تقوم على اظهار اهتمام المعلم العميق الصادق بها ، ولهذا " فمن علم العالم أن يقول فيما لايعلم لا أعلم أو الله أعلم (٣) " . ويستشهد الامام النووى فى ذلك بقول عبد الله بن مسعود رضى الله عنه اذ يقول : " ياأيها الناس من علم شيئا فليقل به ، ومن لم يعلم فليقل الله أعلم فان من العلم أن يقول لما لايعلم الله أعلم (٤) " . ونجد أن اعتراف المعلم بعدم معرفته الاجابة عن بعض الاسئلة التى توجه اليه من قبل المتعلمين ومن ثم الاجابة عليها بقوله : " لا أدرى " ، هذا " لايضع منزلته بل هو

---

(١) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٥٥ .

(٢) (٣) (٤) المرجع السابق ، ص ٥٧

دليل على عظم محله وتقواه وكمال معرفته ، لان المتمكن لايضره عدم معرفته مسائل معدودة ، بل يستدل بقوله " لا أدرى " على تقواه ، وأنه لايجازف فى فتواه [(١)] " .

## ٥ - التمكن واجابة الاسئلة :

يحذر الامام النووى المعلم من أن يجيب المتعلمين على أسئلتهم بغير علم ، فاجابته لهم باجابات خاطئة دون علم منه بها خوفا من اتهامه بقلة العلم أو وصفه بالجهل فهو دليل على من " قل علمه ، وقصرت معرفته وضعفت تقواه [(٢)] " باعتبار أنه " يخاف لقصوره أن يسقط من أعين الحاضرين [(٣)] " ولاشك أن هذا يعتبر " جهالة منه ، فانه باقدامه على الجواب فيما لايعلمه يبوء بالاثم العظيم ، ولا يرفعه ذلك عما عرف له من القصور، بل يستدل به على قصوره [(٤)] " .

ويؤكد لنا الامام النووى ذلك بالادلة الواضحة والبراهين الدامغة على قصور وقلة دين من يجيب عن أسئلة المتعلمين بغير علم بقوله :" اذا رأينا المحققين يقولون فى كثير من الاوقات لا أدرى ، وهذا القاصر لايقولها أبدا ، علمنا أنهم يتورعون لعلمهم وتقواهم ، وأنه يجازف لجهله وقلة دينه ، فوقع فيما فر عنه واتصف بما أحترز منه لفساد نيته وسوء طويته [(٥)] " . ويستشهد الامام النووى على ذلك بما ورد فى الصحيح

---

(١) (٢) (٣) (٤) النووى ، المجموع ، " مرجع سابق ، ص ٥٧

(٥) المرجع السابق ، ص ص ٥٧ - ٥٨ .

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : " المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور[١] " . فالامام النووي يرى فى العبارة السابقة ان تعليم العلم من الدين ، فهو أمانة فى عنق المعلم ، وعليه أن يكون مخلصا صادقا فى نيته ، ومراقبا لله تعالى فى سره وعلانيته ، كما أن المتعلمين أمانة فى عنقه أيضا ، فعليه أن لايعلّمهم مايجهل لانه علم لا فائدة منه .

وينبغى للمعلم أن يأخذ بالآداب المتعلقة بالاسئلة والاستجواب أو ( الحوار أو النقاش ) مع تلاميذه لأنها ضرورية لنجاح درسه فى كل طريقة يستلزم فيها استخدام الاسئلة والتى من بينها طريقة التدريس بالاسئلة والاستجواب والتى تعتمد على الاسئلة دائما من قبل المعلم والمتعلم .

ولا غرو أن موقف المعلم من أجوبة المتعلمين على الاسئلة له أثر قوى فى نجاح تدريسه . ومن الامور التى ينبغى له اتباعها مايلى :

١ - اظهار استحسان المعلم لجواب المتعلم وثناؤه عليه فان ذلك يدفعه الى مزيد من النجاح ويشجعه على الاجابة والفعالية فى الدرس ، كما يبعث هذا الاستحسان المتعلمين على الاجتهاد والتحصيل سعيا لرضا معلمهم وقد سبق أن أوضحنا ذلك عند الحديث عن مبدأ الثواب والعقاب . وفى ذلك يقول الامام النووى : " فمن وجده حافظه مراعيا له أكرمه ، وأثنى عليه ، وأشاع ذلك مالم يخف فساد

---

(١) المرجع السابق ، ص ٥٨ ، أخرجه ابو داود فى سننه .

حاله باعجاب ونحوه [١]" . وقوله أيضا : " ويظهر فضل الفاضل ، ويثنى عليه بذلك ، ترغيبا له وللباقين فى الاشتغال والفكر فى العلم ، وليتدربوا بذلك ويعتادوه [٢] " .

٢ - عدم تعنيف المخطىء فى اجابته عن أسئلة المعلم أو السخرية منه أو لومه وتوبيخه الا اذا كان فى ذلك مصلحة له . وفى ذلك يقول الامام النووى : " ولا يعنف من غلط منهم فى كل ذلك ،الا أن يرى تعنيفه مصلحة له [٣]" وقوله ايضا : " ومن وجده مقصرا عنفه الا أن يخاف تنفيره [٤]. وقوله : " واذا سأل سائل عن أعجوبة فلا يسخرون منه [٥]" .

بل ان الامام النووى يلزم المعلم بأن " يعيده له [ أى يعيد المعلم الدرس للمقصر المخطىء] حتى يحفظه حفظا راسخا [٦]" . فلقد أبانت الدراسات المبكرة أن " المدح حافز أفضل من اللوم ، ولو أن للوم آثرا لايمكن تجاهله [٧]" اذا كان فى مصلحة المتعلمين مما يساعد المقصرين

---

(١) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٥٥ .

(٢) (٣) المرجع السابق ، ص ٥٨

(٤) المرجع السابق ، ص ٥٥ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٥٧ .

(٦) المرجع السابق ، ص ٥٥ .

(٧) جابر عبد الحميد جابر ، سيكولوجية التعلم ونظريات التعلم ، " مرجع سابق"، ص ٥٢ .

منهم على المثابرة والاجتهاد والتحصيل ، وبالتالى يصبح التعنيف أو اللوم فى هذه الحالة ايجابيا وهذا ما أشار اليه النووى فى عبارته بقوله " مصلحة له " وكذلك " الا أن يخاف تنفيره " ، أى من الاحباط فى طلب العلم والاقبال عليه لما فى ذلك من سوء استخدام العقاب بصفة عامة من قبل بعض المعلمين ، والذى يترك آثارا سلبية على المتعلمين طول حياتهم .

تلك كانت أهم طرق التدريس التى ذكرها الامام النووى ضمن مقدمة كتابه " المجموع " والتى استخلصناها مما كتبه فى آداب المعلم والمتعلم ، ورأينا أن عملية التدريس عنده لها قوانينها التى تستند الى العديد من المفاهيم والعمليات التربوية والنفسية ، فالتعلم عنده استند الى الواقعية ورغبة الفرد ، ومن هنا كان تأكيده الدائم على المعلمين والزامهم بايجاد الدافع للتعلم ، فلا يعمدون الى تعليم متعليميهم مالا تستهوى نفوسهم ، ولايشعرون بالحاجة الماسة الى تعلمه . وأن هذا التعليم لابد أن يقوم على النشاط الذاتى للمتعلم وعلى الجهد الذى يبذله فى التحصيل . اذ التعلم فى حقيقته استجابة نشطة يقوم بها المتعلم . وينبغى أن يكون النشاط موجها لغرض ذلك أن مجرد بذل النشاط وانفاق الجهد دون النظر لهدفه لايمكن أن يحقق تعلما جيدا .

وكما رأينا مما سبق اهتمام الامام النووى بطرق التدريس فى عصره وذلك من خلال تركيزه على مراعاة مبدأ الفروق الفردية بين المتعلمين ، حيث أن المتعلمين فى الحقيقة متفاوتون فى ذلك من حيث الذكاء والقدرة على التعلم ، وكما رأينا اهتمامه أيضا بطريقة التعليم حيث يلزم المعلم بتشجيع المجيد على اجادته ، ونبذ العنف والقسوة أو اثارة الخوف والرعب

بين المتعلمين ، فهو لم يتطرق الى أنواع العقاب كالضرب بالعصا وغير ذلك بل ذكر لونا طفيفا من العقاب المعنوى وهو مايسمى بـ " التعنيف " أى اللوم والتوبيخ ، مع الحذر فى استخدامه كذلك من قبل المعلم ، الا اذا وجد مصلحة للمتعلم فى استخدام " التعنيف " ، أما اذا خشى المعلم تنفير المتعلم من طلب العلم فلا يلجأ اليه البتة لأن فى ذلك مفسدة له.وبالاحرى عدم اللجوء الى استخدام وسائل اخرى للعقاب على أساس اعتبار أن استحسان المعلم للمتعلمين مصدر أساسى وهام من مصادر التدعيم ، فالثواب أقوى أثرا فى التعلم من العقاب ، غير أن العقاب ينبغى أن يستهدف دائما بما يعود بالفائدة والمصلحة للمتعلم . كما رأينا عنايته بالطريقة باستقلالية المتعلم وذلك لانه بحسب رأيه المسؤول الاول عن تعلمه ، وأن عبء التعليم يقع فى الدرجة الاولى عليه ، وأن دور المعلم هو التوجيه والارشاد تبعا لتقديره الصحيح لامكانات المتعلم وقدراته .

لقد كان للمربين المسلمين ومنهم الامام النووى الفضل فى ابراز حقيقة غابت عن أذهان الكثيرين وهى أن التدريس عند المربين المسلمين لم يكن اجتهادا فرديا محدودا وانما كان عملا منظما ذا هدف له قوانينه ومبادؤه (١) .

---

(١) حسن عبد العال ، فن التعليم عند بدر الدين بن جماعة " مرجع سابق " ، ص ٢٣٥ - ٢٣٦ .

# الفصل الثاني

- مؤهلاته ومسئولياته وأخلاقه .
- المتعلم أخلاقه وواجباته .
- معلم القرآن ومتعلمه .

# الباب الثانى

## الفصل الثانى

## المعلم والمتعلم فى فكر الامام النووى

### أولا: المعلم مؤهلاته ومسئولياته وأخلاقه

لاشك أن المعلم عامل أساسى فى نجاح العملية التعليمية التربوية فهو من أهم عناصر العملية التعليمية . لأن التعليم لايكاد يتم بدون المعلم ، بل هناك أنواع من التعليم لابد من وجود المعلم فيها مثل التربية الاخلاقية . فعناصر التعليم تفقد أهميتها اذا لم يتوفر المعلم الصالح الكفء . ولقد أثبتت التجارب الحديثة بأنه لاغنى للمتعلم عن المعلم ، حيث أن التعلم لايتم الا عن طريقه ، وذلك لأهمية الدور القيادى والتربوى الذى يقوم به فى حجرة الدراسة أو الصف ، وبخاصة فى الجانب الاخلاقى وهذا لا ينافى مع مايسمى ب " التعلم الذاتى " الذى يعتقد الدعاة اليه أن التعلم يحدث دونما حاجة الى معلم . ومادام المعلم بهذه المثابة لزم أن تكون له مؤهلات وصفات يتحلى بها .

أ- مؤهلات المعلم :

لقد أظهر الامام النووى اهتماما بالغا باختيار المعلم ، وتحديد مؤهلاته وتعيين مسؤولياته وأهم الصفات الواجب توفرها فيه . ومنها الحذق فى العلم والتمكن منه لان عملية التعليم من الصنائع التى تحتاج الى حذق . وبدونه لايتمكن المعلم من أداء رسالته . ولذا ينصح الامام النووى المتعلم بالقراءة والتعلم على من يتحلى بتلك الصفة وأن يعتمد على " قراءة شيوخ أو شيخ حاذق "(١). ويبين لنا الامام النووى أيضا بأن

(١) الامام النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٦٠ .

هناك صفات اخرى ذات أهمية كبرى فيقول ناصحا المتعلم ومحذرا " ولاتأخذ العلم الا ممن كملت أهليته ، وظهرت ديانته ، وتحققت معرفته ، واشتهرت صيانته وسيادته "(١) .

فيظهر للباحث من النص السابق " الجوانب الأساسية لاعداد المعلم فى رأى الامام النووى " .

اولها : الاكتمال التأهيلى للمعلم واعداده الاعداد الجيد للتعليم قبل ممارسته للمهنة . وتعتبر تلك الصفة على قدر كبير من الأهمية . ولذا نرى فى العصر الحاضر الاهتمام باعداد الطلاب الذين سوف يمارسون التعليم فى المستقبل اعدادا جيدا اذ أن هناك مواد تعطى لهم ببعض الجامعات تسمى الاعداد التربوى وكذلك فتحت الكليات المتوسطة حديثا لاعداد معلمى المرحلة الابتدائية والنهوض بمستواهم وايجاد كوادر وطنية معدة اعدادا جيدا للتعليم . وأما الجانب الآخر . ظهور ديانته وهذا الجانب لايقل أهمية عن الاخر إذ يعتبر المعلم القدوة الحسنة للمتعلم مما يجعل المتعلمين ينشأون فى جو إسلامى يترجمون فيه المعرفة والعلوم الى سلوك إيجابى يمارسونه فى حياتهم ، فالجانب الدينى للمعلم ذا أهمية عظمى لان المتعلمين يقلدون معلمهم فى معتقداتهم وسلوكياتهم مما قد يؤدى الى انحرافهم عن معتقداتهم الصحيحة اذا لم يكن المعلمون ذوى ديانة ظاهرة فى أقوالهم وأفعالهم .

ويرى الامام النووى بأن التأهيل هام وضرورى للمعلم حتى وان كانت لديه استعدادات التعليم ، فلا بد له من الاعداد الجيد عن طريق القراءة

---

(١) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٦٠ .

على شيوخ حذاق ، لكى يكون صالحا للتدريس والتعليم ، ولذا يطلب الامام النووى من المتعلم عدم آخذ " العلم الا ممن كملت اهليته " لان العلم فى نظره دين ويستشهد بقول ابن سيرين ومالك وغيرهم " هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم [١] " وكما يلفت الامام النووى المتعلم لاختيار أصلح المعلمين للتعليم فيقول : " ويعتمد على الشيوخ فى كل فن آكملهم " [٢]

والجانب الثالث . وهو أن يكون المعلم معروفا بين الناس ويعلم حاله وليس بمجهول عندهم لايعلمون عن آموره شيئا . وكذلك قد اشتهرت صيانة المعلم للعلم وعدم اذلاله له . وسيادته فى العلم بمعنى تفوقه فى العلم عن آقرانه . ويستشهد الامام النووى يقوم ابن سيرين ومالك " هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم [٣] " .

وهناك جانب آخر ذكره الامام النووى ونصح به المتعلم وهو عدم آخذ العلم عن المعلمين الذين آخذوه من بطون الكتب دون قراءة أو دراسة على المشايخ الحذاق . ويرى أن الاخذ منهم يؤدى بالمتعلمين الى عيوب وأخطاء فادحة فىتعليمهم ينبغى عليهم عدم الوقوع فيها ، فيقول " ولا تأخذ العلم ممن كان آخذه له من بطون الكتب من غير قراءة على شيوخ أو شيخ حاذق فمن لم يأخذه الا من الكتب يقع فى التصحيف ويكثر منه الغلط والتحريف .[٤]

ويحذر الامام النووى المتعلم ايضا من الاعتماد على نفسه دون القراءه على شيخ حاذق فيقول : " ولايحفظ ابتداء من الكتب استقلالا ، بل يصحح على الشيخ [٥] ويبين له السبب فى ذلك فيقول : " فالاستقلال بذلك

---

(١) المرجع السابق ، ص ٦٠
(٢) المرجع السابق ، ص ٦٥
(٣) (٤) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٦٠
(٥) المرجع السابق ، ٦٤

من آضر المفاسد [(١)] " ويستشهد الامام النووى فى ذلك بقول الشافعى رحمه الله " من تفقه من الكتب ضيع الاحكام [(٢)] " .

فالامام النووى بذلك يؤكد على عدم قدرة المتعلم على الاستقلال وحده دون آن يحظى بمجهود منظم لتعليمه من قبل المعلم .

وسيتناول الباحث بعض هذه الجوانب التخصصية للمعلم فى نظر الامام النووى .

الاول : الغزارة العلمية للمعلم :

ان مما ينبغى على المعلم قبل كل شىء ، آن يكون غزير المادة العلمية ، ومتمكنا علميا من مادته التى يعلمها لتلاميذه بحيث يعرف مايعلمه تمام المعرفة وآعمقها وذلك عن طريق التحقق وكثرة الاطلاع ، ويكون ملما بجميع الفنون المرتبطة بمادته آو تخصصه ، لذا فان الامام النووى ، يطلب من المعلم آن يكون " له معرفة فى الجملة بغيره من الفنون الشرعية ، فانها مرتبطة [(٣)] . ولذلك فان مسؤولية المعلم تحتم عليه آن يكون دائم الاطلاع فيما يتعلق بمادته ولديه معرفة عامة ببعض التخصصات ولاينقطع عن التعلم وآن يداوم على الدراسة والبحث والقراءة

---

(١) (٢) المرجع السابق ، ص ٦٤

(٣) المرجع السابق ، ص ٦٠

فى فروع المعرفة التى يقوم بتدريسها ، ويؤكد الامام النووى على المعلم بأن يكون " مجتهدا فى الاشتغال بالعلم "(١) .

ويطلب الامام النووى من المعلم عدم التوقف عن طلب العلم وعليه أن يطلب المزيد ممن كان عنده ذلك بغض النظر عن سنه او مركزه او دينه حتى يتمكن من مادته ويصبح على اطلاع واسع فيها بالاضافة الى معرفته العامة ببعض التخصصات الاخرى ، وهذا الامر يتطلب من المعلم بذل الوسع من الاجتهاد والتفرغ للعلم فيقول الامام النووى : " أن لايستنكف من التعلم ممن هو دونه فى سن أو نسب أو شهرة أو دين أو فى علم اخر ، بل يحرص على الفائدة ممن كانت عنده وإن كان دونه فى جميع هذا(٢) " .

ويلفت الامام النووى نظر المعلم الى عدم التعالى والتكبر عند ارتفاع منصبه وشهرته عن طلب العلم من تلاميذه وغيرهم ، وأن لايكون ذلك عائقا له عن الاستزادة من العلم فيما لايعرفه حتى تكون لديه الغزارة العلمية فى شتى العلوم ومتبحرا فيها فيقول الامام النووى فى ذلك :"وينبغى أن لايمنعه ارتفاع منصبه وشهرته من استفادة مالايعرفه ، فقد كان كثير من السلف يستفيدون من تلامذتهم ماليس عندهم(٣)" ويستشهد الامام النووى على ذلك بما ثبت فى الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ ﴿ **لم يكن الذين كفروا** ﴾(٤) **على** أُبى بن كعب رضى الله عنه وقال : " امرنى الله ان أقرأ عليك (٥)" .

---

(١) (٢) (٣) النووى، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٤٩ .

(٤) سورة البيّنة ، آية رقم ١ .

(٥) رواه مسلم ، صحيح مسلم بشرح النووى" مرجع سابق" ج ٦ ، ص ٨٥ .

ويدرك الامام النووى مدى ضرورة كثرة العلم للمعلم حيث إن ذلك مما يؤهلـه للتعليم حيث يقـول : " أن يكـون كثيـر العلم[١] " فكثرة علم المعلم فى مجال تخصصه تجعله متمكنا من أداء مهـام عمله ، كما تجعله محل ثقة تلاميذه ، وبالتالى ينتفعون بعلمه الغزير .

وهكذا يتضح من النصوص التى أوردها الامام النووى بأن تمكـن المعلم من المادة العلمية أمر مرغوب فيه ، وحث المعلم على الاستمـرار فى طلب العلم ودوام التعلم ، كما يلفت الانتباه الى تداخل عمليتـى التعلم والتعليم لا من حيث الشبه الموجود فى اللفظين ( التعلم والتعليم ) بل لاعتماد كل منهما على الاخرى حيث لايحدث التعلم اذا لم يكن التعليـم مستمرا[٢] .

ولاشك إن المعلم اذا دأب على البحث فى مادته وحرص على تحصيـل مهاراتها أمكنه أن يجعل درسه ممتعا ، واستطاع أن يقدم موضوعات علمـه لطلابه بطريقة شيقة تنفى عنهم السأم ، وتدفع عنهم الملل فـ " كلمـا كانت إحاطة المعلم بمادته أوسع ، كان ميل تلاميذه أعظم ، فيحبونـه ويعجبون به ، ويقبلون عليه لما يجدون عنده من غزارة المادة وحسـن التصرف فى أطراف الحديث ، فاذا شئنا أن نكون معلمين صالحين ، وجـب علينا أن نملأ عقولنا من الموضوع الذى نعلمه ، وهذه قاعدة أولية مـن قواعد التعليم[٣] " .

---

(١) النووى ، المجموع " مرجع سابـق " ، ص ٦٠ .

(٢) حسن عبد العال ، فن التعليم عند ابن جماعة " مرجع سابـق " ص ١١١ - ١١٢ .

(٣) جميل صليبا ، مستقبل التربية فى العالم العربى ، ط ٢ ( بيروت : مكتبة الفكر الجامعى منشورات عويدات ، ١٩٦٧ ) ، ص ٣٧٨ .

ويدرك الامام النووى ان اقبال المعلم بهمة عالية على البحث فى آفاق مادة تخصصه ، والاطلاع على دقائقها لن يتحقق الا اذا ادرك المعلم قيمة مادته واحبها ، فاذا احب علمه اقبل عليه بكليته وكيانه وصانه ونزهه عن جعله " توصلا الى غرض دنيوى كتحصيل مال أو جاه او شهرة او سمعة او تميز عن الاشباه"(١) بحيث يجد فى تعلم العلم وتعليمه لذته وغاية بغيته ، ومن ثم يجد فى متعة التعلم والتعليم مايغنيه عن الطمع فى رفق [مالا وخلافه] تحصل له من مشتغل عليه من خدمة أو مال او نحوهما وان قلّ ولو كان على صورة الهدية التى لولا اشتغاله عليه لما أهداها اليه(٢) " . ويدلل الامام النووى على ذلك بما صح عن الشافعى أنه قال : " وددت أن الخلق تعلموا هذا العلم على أن لاينسب الىّ حرف منه(٣) " .

وصفوة القول أن المعلم الغزير المادة العلمية والعارف بطبيعة المواد التى يقوم بتدريسها لتلاميذه ، يزيد من فعالية تلاميذه ويؤدى بهم الى تعلم جيد مثمر .

الثانى : النمو العلمى للمعلم :

ان المعلم عند الامام النووى يجب أن يكون أحسن متعلم، ويستشهد على ذلك بقول سعيد بن جبير " لايزال الرجل عالما ما تعلم ، فاذا ترك العلم وظن أنه قد استغنى واكتفى بما عنده فهو أجهل مايكون(٤) " .

---

(١) (٢) (٣) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٤٦ .
(٤) المرجع السابق ، ص ٤٩

ولذلك دعا المربون المحدثون الى مايسمى بالتربية المستمرة وعدم الاكتفاء بما لدى المعلم من علم ، فليس المطلوب فى المعلم أن يكون عالما بكل شىء حتى يستغنى عن التعلم ، وانما يحتاج الى العلم وطلب الفائدة على الدوام ولذا طلب الامام النووى من المعلم " أن تكون ملازمة الاشتغال بالعلم هى مطلوبة ورأس ماله فلا يشتغل بغيره (١) " وان كان الامام النووى يرخص للمعلم بأن يشتغل بغيره عند الاضطرار بشرط " بعد تحصيل وظيفته من العلم (٢) "

ويرى الامام النووى ضرورة مداومة التعليم للمعلم واستمرارية طلب العلم والجد والاجتهاد فى الالمام بكافة فروع المعرفة التى يقوم بتدريسها ، وبذل الجهد والوقت فى ذلك حيث يقول " فينبغى ان لايزال مجتهدا فى الاشتغال بالعلم (٣) " ولا يستنكف عن التعلم (٤) " ولقد ذهب الامام النووى الى توضيح الوسائل المختلفة التى تساعد المعلم على نموه العلمى ، وأرشده الى أنجعها وهذه الوسائل كما يقوم الامام النووى هى "قراءة واقراء ومطالعة وتعليقا ومباحثه ومذاكرة وتصنيفا (٥) " ، فالوسائل عنده لزيادة النمو العلمى للمعلم هى القراءة الواسعة وممارسة التعليم والمطالعة على الكتب المختلفة والتعليق عليها والمباحثة مع علماء تخصصه الثقات والمذاكرة لكل ماتعلمه لعدم نسيانه ، والاشتغال بالتأليف مما يعم الانتفاع به ويكثر الاحتياج اليه •

---

(١) ، (٢) ، (٣) ، (٤) ، (٥) النووى ، المجموع "مرجع سابق " ، ص ٤٩ •

وبعد أن يطّلع المعلم على أكثر الكتب المؤلفة فى تخصصه ويمتلك المهارات اللازمة لذلك ويتأهل للبحث والتأليف تكون لديه الملكة التامة فى تخصصه والاطلاع على حقائق العلوم والمعارف كما يقول الامام النووى " وينبغى أن يعتنى بالتصنيف اذا تأهل له (١) " .

الجانب المهنى :

ان اشتغال المعلم بالتأليف له أهمية كبرى فى نظر الامام النووى لزيادة حصيلته العلمية من المعارف والعلوم والخبرات والمهارات المتصلة بمادته العلمية فقد أشار الامام النووى الى أن اشتغال المعلم بالتأليف يضطره الى كثرة البحث والتنقيب عن المادة العلمية الجيدة فى الكتب المختلفة التى تساعده على التأليف الجيد ، والمطالعة المستمرة والتحقيق فيما يكتبه من معلومات ، والمراجعة الدقيقة لتلك المعلومات وتمحيصها ومعرفة مدى صحتها ومطابقتها للواقع ، هذا الى جانب أن التأليف للمعلم يثبت لديه ملكة الحفظ وادراكه للحقائق العلمية ودقائقها من عدمها ، فهذا كله يزيد من النمو العلمى للمعلم فى مادة تخصصه وتكون لديه معرفة عامة ببعض التخصصات الاخرى .

ويضع الامام النووى ضوابط مقننة للتأليف الهدف منها أن " تعمق خبرة المعلم ، وتحقق بها الفائدة من ذلك ان يتوجه البحث الى ميادين جديدة لم تسبق دراستها والتاليف فيها والى الخبرات والمهارات والمعارف

---

(١) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٤٩ .

التى تشتد الحاجة اليها[(١)] " ومن هذه الضوابط كما يذكر الامام النووى أيضا أن يبذل المعلم كل جهده فى التأليف ، فلا يخرج مؤلفاته من بين يديه الاّ بعد تهذيبها وترتيبها واعادة النظر فيها ومراجعتها مع الالتزام بحسن البيان وايضاح العبارة وايجازها فيبتعد عن التطويل المؤدى الى الركاكة والملل او الايجاز المخل بالمعنى . يقول الامام النووى فى ذلك " وليحذر ايضا من اخراج تصنيفه من يده الا بعد تهذيبه وترداد نظره فيه وتكريره ، وليحرص على ايضاح العبارة وايجازها فلا يوضح ايضاحا ينتهى الى الركاكة ، ولا يوجز ايجاز يفضى الى المحق والاستغلاق[(٢)] " .

ومن الضوابط ايضا أن تكون مؤلفاته فى ميادين جديدة لم يسبق دراستها ، فاذا كان هناك احد المؤلفات يغنى عن مؤلفه وألف فى نفس المجال الذى يعالجه فلا حاجة اليه . فيقول الامام النووى فى ذلك " وينبغى أن يكون اعتناؤه من التصنيف بما لم يسبق اليه اكثر، والمراد بهذا ان لايكون هناك مصنف يغنى عن مصنفه فى جميع أساليبه ، فان أغنى عن بعضها فليصنف من جنسه مايزيد زيادات يحتفل بها مع ضم مافاته من الاساليب ، وليكن تصنيفه فيما يعم الانتفاع به ويكثر الاحتياج اليه[(٣)]" .

ويقول حسن عبد العال " ورغم تقدير الامام النووى للبحث العلمى باعتباره سبيلا لنمو المعلمين وارتقائهم علميا ومهنيا ، حتى لايصابون

---

(١) حسن عبدالعال ، فن التعليم عند ابن جماعة " مرجع سابق "، ص١١٤

(٢) (٣) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٥٠ .

بالركود الذهنى ، فانه ينصح الا يقدم المعلم على البحث والتأليف حتى يؤهل لذلك ، ويمتلك الادوات التى تمكنه من البحث[1]" . ويحث الامام النووى المعلم على التأليف عند التأهل فيقول : " ينبغى أن يعتنى [ اى المعلم ] بالتصنيف اذا تأهل له[2] " . ثم حذر من الاضرار التى تلحق بالمعلم إذا شرع فى البحث والتأليف مع افتقاره الى أدواته فقال : " وليحذر كل الحذر أن يشرع فى تصنيف مالم يتأهل له ، فان ذلك يضره فى دينه وعلمه وعرضه[3] " .

والمعلم لابد له من الاستزادة من العلم بمادته وعلم تخصصه ، لان هذا يتوقف على مدى نجاحه فى تعليمه ، وينبغى عليه فى هذا المجال أن تكون كما يقول الامام النووى : " همته عالية فلا يرضى باليسير مع امكان كثير[4] " .

ومما يدل على ادراك الامام النووى بتقدم العلم السريع ونموه المطرد ماقاله محذرا المعلم من التهاون والجد فى طلب العلم ويراد منه أن ينمى معلوماته ومحصوله العلمى على الدوام وعن قصد فيقول الامام النووى : " ولا يؤخر تحصيل فائدة ، وان قلت اذا تمكن منها ، وان امن حصولها بعد ساعة ، لان للتاخير آفات ، ولانه فى الزمن الثانى يحصل غيرها[5] " ، كما ينبغى عليه فى هذا الصدد كما يقول الامام

(١) مجلة رسالة الخليج العربى، أصول البحث العلمىوادابه عند الامام النووى، حسن ابراهيم عبد العال( العدد٢٤، السنة الثامنة ، ١٤٠٨)ص ٤٤

(٢) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٤٩ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٥٠ .

(٤)(٥) المرجع السابق ، ص ٦٣ .

النووى ان " لايحتقرن فائدة يراها او يسمعها فى اى فن كانت بل يبادر الى كتابتها ثم يواظب على مطالعة ماكتبه ... ويعلق عليها ما أمكن[١] ".

وينصح الامام النووى المعلم بالحرص الشديد على وقته فيما يعود عليه بالنفع العلمى وزيادة نموه ، وعليه ان يبذل جل وقته فى ذلك و " أن يكون حريصا على التعلم مواظبا عليه فى جميع أوقاته ليلا ونهارا حضرا وسفرا[٢] " وعليه أن لايضيع " من أوقاته شيئا فى غير العلم الا بقدر الضرورة لاكل ونوم قدرا لابد منه ونحوهما ، كاستراحة يسيره لازالة الملل وشبه ذلك من الضروريات[٣] " .

ويبين الامام النووى أن المعلم اذا أحب العلم الذى يعلمه لطلابه وشغف به ، لم يصرفه عن ذلك صارف حتى وان عرض له مرض أو اعتراه ألم ، بل لعله يجد فى الاشتغال بالعلم الذى أحبه شفاء دائه ودواء آلمه ويطلب منه : " أن لايخل بوظيفته لعروض مرض خفيف ونحوه مما يمكن معه الاشتغال [ أى بالعلم ] ، ويستشفى بالعلم[٤] " .

ولقد ثبت بالتجربة " أن حب المعلم لمادته العلمية ، يؤثر فى طريقة تدريسه ، فاذا كان كارها للمادة التى يدرسها فترت همته ، ونفر الطلاب من دراستها[٥] " .

---

(١) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٦٥ .
(٢) المرجع السابق، ص ٦٢ .
(٣) المرجع السابق، ص ٦٢ - ٦٣ .
(٤) المرجع السابق، ص ٦٦ .
(٥) عبد الرحمن صالح عبد الله ، دور التربية العملية فى اعداد المعلمين ، ط ٢ (دار الفكر للطباعة والنشر، ١٣٩٩) ، ص ١٣ .

وصفوة القول ان الامام النووى أكد على أهمية النمو العلمى وضرورته للمعلمين ، وذلك لتحقيق نموهم العلمى والمهنى ، فلم يكن النمو العلمى فى رأيه تزايدا أكاديميا ، بل هو جزء من عمل المعلم لايمكن الاستغناء عنه ، فيه تنعقد الصلة بين المعلم والعلم ، وبسببه يعرف مايعلّمه لتلاميذه أتم معرفة وأعمقها ويحيط بالمادة العلمية التى يقوم بتدريسها ، ويتمكن من السيطرة على مهاراتها وبالنمو العلمى تنفتح أمام المعلم أبوابا فسيحة من الخبرة والمعرفة ومن ثم تزداد ثقة المعلم بنفسه وبعلمه ، ويتمكن من إفادة طلابه أعظم فائدة (١).

" الجانب الثقافى العام"

يراد بالثقافة العامة " الثقافة الانسانية الواسعة التى تهيىء للمعلم أسباب مؤالفة الطبيعة ، ومؤالفة الحياة الاجتماعية، ومؤالفة القيم ... ، فاذا حرم المعلم من هذه الثقافة العامة ، عاش فى كهف مظلم لاتطل نوافذه على العالم (٢)" نظرا لحاجة المعلم الضرورية الى قدر من الثقافة العامة الى جانب المامه التام بفروع المعرفة التى يقوم بتدريسها حيث يقول الامام النووى : " بل ينبغى مع كثرة علمه بذلك الفن كونه له معرفة فى الجملة بغيره من الفنون " (٣) ، ذلك " لأن التعليم عنده لايعنى مجرد نقل المعلومات من المعلم الى المتعلم ، فهو أشمل من ذلك

---

(١) حسن عبد العال ، أصول البحث العلمى وأدابه عند الامام النووى " مرجع سابق " ، ص ٤٢ .

(٢) جميل صليبا ، فلسفة تربوية متجددة واعداد المعلمين(فلسفة تربوية متجددة لعالم عربى متجدد ( بيروت : دائرة التربية فى الجامعة الامريكية ، ١٩٥٦ ) ، ص ١٣٥ .

(٣) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٦٠ .

حيث يتضمن تثقيف عقول المتعلمين ، وتزويدهم بالعادات الصحيحة والمعلومات والمهارات المختلفة ، وتهذيب نفوسهم ومساعدتهم على تكوين قيم ومثل عليا ، الى جانب تنمية استعداداتهم وتوجيه قدراتهم وذلك يتطلب من المعلم معرفة بعلوم مختلفة غير مادة تخصصه [١] " ومن هنا كان توجيه الامام النووى للمعلم بأن " يحفظ من كل فن مختصرا [٢]" كما يوصى المعلم بان يعتنى من كل علم بالاهم فيقول : " فان عجز اعتنى بالاهم [٣] " .

إن وظيفة المعلم هى " تقديم التلميذ لمجتمعه ، وتقديم ثقافة المجتمع للتلميذ ، وهذا التقديم يتطلب من المدرس أن يعرف الثقافة بقدر مايعرف التلميذ [٤]" .

ونجد أن الحد الادنى للمعرفة بهذه الثقافة عند الامام النووى إدراك المعلم من كل علم شئ ولوقليلا وكما قيل : العلم بالشئ ولا الجهل به ، مع الاعتناء بالاصول أو المبادئ الاكثر أهمية .

ولقد أصبح التربويون الان على يقين " بأن المعلم فى حاجة الى معرفة عامة تتمثل فى أساليب ومبادئ العلوم المختلفة ، يمكن أن تضفى هذه المعرفة على أسلوب المعلم مرونة فى التعليم ، وتنوعا فى

---

(١) حسن عبد العال، فن التعليم " مرجع سابق "، ص ١١٦ .
(٢)،(٣) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٦٥ .
(٤) ابو الفتوح رضوان ، المدرس فى المدرسة والمجتمع ،(القاهرة : الانجلو المصرية ، ١٩٧٣ ) ، ص ١٥ .

المعلومات التى يمكن أن يقدمها لتلاميذه حسب ماتمليه عليه المناسبة التربوية [(١)] ".

ونجد ان الامام النووى يبين لنا عملية التثقيف العام للمعلم وذلك بأن يبدأ " يحفظ من كل فن مختصرا [(٢)] " وليس الحفظ هدفا فى حد ذاته ، انما الهدف هو التعرف على طبيعة هذا الفن وادراك خصائصه ، ومن هنا كان لزاما على المعلم مباحثة المختصين فى ذلك الفن ،ومناقشة علمائه ولذا يقوم الامام النووى : " ولايحفظ ابتداء من الكتب استقلالا بل يصحح على الشيخ [(٣)] " ويعلل السبب فى ذلك فيقول : فالاستقلال بذلك من اضر المفاسد [(٤)] " فهذا أجدى للمعلم فى مراحله الاولى .

اذن فلا بد للمعلم من الثقافة العامة لان ذلك شئ ضرورى لاداء وظائف عمله على الوجه الاكمل والا لو حرم المعلم منها لتعطلت كثير من وظائف التعليم عنده . فالامام النووى نراه محقا فى اهتمامه البالغ بها لان المعلم فى هذه الحالة لاغنى له عنها فحاجة المعلمين الى الثقافة العامة وبخاصة فى عصرنا الحاضر: " لاتقل عن حاجتهم الى التبحر فى موضوعات علومهم ، لانهم جميعا مكلفون بتعليم فريق واحد من الطلاب ، فاذا لم تجمع بينهم ثقافة عامة واحدة لم يكن تعاونهم فى تربية هؤلاء الطلاب سبيل [(٥)] ".

---

(١) محمد زياد حمدان ، التدريس الحديث أصوله وتطبيقاته ، ط ١ ( الكويت : دار الكتب ، ١٩٨٢ ) ، ص ١٥٠ .

(٢) النووى ، المجموع ، " مرجع سابق " ، ص ٦٥

(٣) (٤) المرجع السابق ، ص ٦٤

(٥) جميل طليبا ، فلسفة تربوية متجددة " مرجع سابق" ،ص ٣٧٠ .

## ب ـ مسئوليات المعلم وأخلاقــه

يعتبر المعلم ناقلا للتراث ومحافظا عليه ، والمنتج للقيم الحضارية الجديدة ، أعظم مسؤولية من غيره من الناس ذلك لأن عمله هو إبداع قــوى الانسان وتنمية قدراته واطلاق لكافة طاقاته ، ومما يضخم مسئولية المعلـم أن تطور الحياة الاجتماعية والاقتصادية جعل المدرسة مركزا هاما من مراكـز الاصلاح ، وبالتالى فالمعلم عاملا من عوامل النهضة التى تعتمد عليه الـدول فى تحقيق أغراضها وبلوغ غاياتها • وجهود المعلمين انما تقاس بالرقــى الاجتماعى الذى أسهموا فى تحقيقه ، لأن مهمتهم لاتقتصر على حفظ التــراث الاجتماعى فحسب ، بل تشمل أيضا تحسين هذا التراث وتوجيهه نحو المثـــل العليا التى تتطلبها الحياة (١).

ولكى يحقق المعلم النمو المتكامل للمتعلم ، فان عليه أن يقــوم بمسؤولياته كاملة تلك المسئوليات التى تفرضها عليه طبيعة عمله • والامـام النووى يرى أن من أهم مسؤوليات المعلم مايلى :

**الأول : مسئوليــة المعلم تجاه عملية التدريس :**

اعتبر الامام النووى أن مسئولية المعلم تكمن فى حريته فى وضــع المنهج الذى يتبعه ، وتعيين محتواه وكتبه • فالمعلم ـ عنده ـ يضـــع لكل متعلم منهجا مناسبا له بما يلائم استعداداته وقدراته ، فاذا ســـأل

---

(١) جميل صليبا ، مستقبل التربية فى العالم العربى " مرجع سابــــق " ص ٣٥٥ ـ ٣٥٦ •

الطالب معلمه معرفة لم يتأهل لها وخبرة لاتلائم استعداده وقدراته ،فينبغى على المعلم حينئذ عدم اجابته لطلبه ويبين له مضار ذلك يقول الامام النووى محذرا بذلك المعلم " ولايليق اليه شيئا لم يتأهل له لئلا يفسد عليه حاله ، فلو سأله المتعلم عن ذلك لم يجبه ويعّرفه أن ذلك يضره ولا ينفعه ، وأنه لم يمنعه ذلك شحا بل شفقة ولطفا (١)" .ويقول أيضا : " وان يعطى كل انسان منهم مايليق به "(٢).

فالامام النووى لم يجعل المعلم المسئول الوحيد عن تحديد المنهج التعليمى للمتعلم فحسب بل أشرك المتعلم فى المسئولية وجعله مسئولا بدرجة كبيرة عن تعيين المنهج والخبرات والكتب التى يراها ضرورية لدراسته فيقول : " وينبغى أن ينقاد لمعلمه ويشاوره فى أموره (٣)" ويقول أيضا : " وأن يعتنى بتحصيل الكتب (٤)" . ولكن الامام النووى يحذر المتعلم من مغبة الاستقلال بذلك وحده نظرا لقلة خبرته ونقص علمه ، بل لابد من أن يتم ذلك بمشاركة معلمه واشرافه ، يقول الامام النووى فى ذلك : " ولا يحفظ ابتداء من الكتب استقلالا ، بل يصحح على الشيخ .... ، فان الاستقلال بذلك من أضر المفاسد (٥)" ، وكما حذر الامام النووى المتعلم

---

(١) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٥٢ .
(٢) النووى ، التبيان فى آداب حملة القرآن " مرجع سابق "، ص ٣٤ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٣٧ .
(٤) النووى ، المجموع ، " مرجع سابق " ، ص ٦٦ .
(٥) المرجع السابق ، ص ٦٤ .

أيضا من أخذ العلم على أيدى شيوخ أخذوا العلم من بطون الكتب وحدها دون القراءة على شيوخ لهم . فيقول : " ولا تأخذ العلم ممن كان أخذه له من بطون الكتب من غير قراءة على شيوخ أو شيخ حاذق[(١)] " والسبب فى هذا المنع من ذلك أن : " من لم يأخذه ( العلم ) الا من الكتب يقع فى التصحيف ويكثر منه الغلط والتحريف [(٢)] " .

فعلى المتعلم أن يأخذ العلم على أيدى المتخصصين فى كل فن و" يعتمد من الشيوخ فى كل فن أكملهم [(٣)] " . ونرى الامام النووى يشجع المتعلم على قراءة الفن الواحد من العلم على عدة شيوخ غير شيخه المعتمد مالم يتأذى بذلك فيقول : " فاذا اعتمد شيخا فى فن وكان لا يتأذى بقراءة ذلك الفن على غيره فليقرأ أيضا على ثان و ثالث وأكثر مالم يتأذوا فان تأذ المعتمد اقتصر عليه وراعى قلبه فهو أقرب الى انتفاعه [(٤)] " .

ويعبّر الامام النووى عن رأيه فى القراءة على اكثر من شيخ للتلاميذ ومدى الفائدة فيقول : " ومن أهم ما يؤمر به [ أى المعلم ] ألّا يتأذّى ممن يقرأ عليه اذا قرأ على غيره [(٥)] " ويصرح الامام النووى برأيه فى المعلمين الذين يتأذون من قراءة تلاميذهم على غيرهم. فيقول : " وهذه مصيبة يبتلى بها جهلة المعلمين لغباوتهم وفساد نيتهم ، وهو

---

(١) ، (٢) النووى ، المجموع" مرجع سابق" ، ص ٦٠ .
(٣) (٤) المرجع السابق ، ص ٦٥
(٥) المرجع السابق ، ص ٥٨

من الدلائل الصريحة على عدم إرادتهم بالتعليم وجه الله تعالى الكريم (١) "ولكم حذر الامام النووى المتعلم من المعلم الاخر اذا كان غير آهلا للتعليم و ذلك بأن كان فاسقا أو مبتدعا أو كثير الغلط ونحو ذلك فيقول فى ذلك " فان كان فاسقا أو مبتدعا أو كثير الغلط ، ونحو ذلك فليحذر من الاغترار به (٢) "

والمعلم فى رأى الامام النووى الى جانب حريته فى تحديد المنهج واختياره دون أن يفرض عليه يتمتع كذلك بحرية كاملة فى اختيار طريقة التعليم التى تناسب كل متعلم حسب استعداده وقدراته ، فالمعلم حر فى اختيار الطريقة المناسبة من كل الطرق حسب تنوع المتعلمين واختلافهم ، وينبغى على المعلم " أن يوفر لكل تلميذ فرص التعليم الذى يتناسب مع قدراته وميوله الذاتية ( يعمل على تطبيق مبدأ تفريد التعلم) (٣) " فيقول الامام النووى فى ذلك : " وينبغى أن يكون باذلا وسعه فى تفهيمهم وتقريب الفائدة الى أذهانهم ، حريصا على هدايتهم ، ويفهم كل واحد بحسب فهمه وحفظه فلا يعطيه مالايحتمله ولايقصره به عما يحتمله بلا مشقة ، ويخاطب كل واحد على قدر درجته وبحسب فهمه وهمته (٤) " وقوله كذلك " واذا ذكر لهم درسا تحرى تفهيمهم بأيسر الطرق (٥) " .

ويعتبر الكتاب فى عصر الامام النووى من الوسائل الهامة التى كانت تقوم بدور فعال فى عملية التعليم أكثر من غيرها فقد أوضح الامام النووى

---

(١) ،(٢) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٥٨ .

(٣) عزت جرادات وآخرون ، التدريس الفعال " مرجع سابق " ، ص ١١٢ .

(٤) المجموع " مرجع سابق ، ص ٥٢ - ٥٣ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٥٦ .

ذلك بقوله : " وأن يعتنى بتحصيل الكتب شراء واستعارة ••• ولايرتضى الاستعارة مع امكان تحصيله ملكا ، فان استعاره لم يبطىء به لئلا يفوت الانتفاع به على صاحبه ، ولئلا يكسل عن تحصيل الفائدة منه ، ولئلا يمتنع من اعارته غيره [١] " • فنجد أن كلام الامام النووى السابق يدلنا على أهمية الكتاب فى عصره ، وبأنه يلعب دور مهم فى التعليم والتحصيل دون الاستغناء عن المعلم الذى كان حرا فى تحديد الكيفية التى يدرّس بها المتعلم الكتاب ، والتى تختلف من متعلم الى آخر تبعا لفهم المعلم لطبيعة المتعلم •

وهكذا نجد أن حرية المعلم تجاه المادة أو المواد التى يقوم بتدريسها ، وتجاه الطرق والوسائل التى يتم بها التدريس ، وتجاه الكتب والمراجع اللازمة للتعليم تقابلها مسؤوليات جسام يفرضها عليه ويحمّله اياها دينه ، ذلك لأن تعليم العلم " من أهم أمور الدين وأعظم العبادات وآكد فروض الكفايات [٢] " • كما أن من مسؤوليات المعلم " أن يقوم بفحص أساليبه وتغييرها وذلك فى ظل أدق الطرق والاساليب الممكنة [٣] " ومن مسؤولياته كذلك " أن يراجع مقرراته الدراسية وطرقه المستخدمة فى التدريس وذلك فى ظل اطار من العناية المطلقة [٤] " •

---

(١) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٦٦ •

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٠ •

(٣) ، (٤) نبيه يس ، أبعاد متطورة للفكر التربوى ، ( مصر : مكتبة الخانجى ، ١٣٩٨ - ١٩٧٨ ) ، ص ٤١٣ •

ونخلص الى القول : " بأن المعلم ليس هو المسئول الوحيد عن عملية صنع القرار المتعلق بتعلم الفرد ، وان المتعلم من حقه القيام باختيار أغراضه وموضوعاته التعليمية [(١)] " .

الثانى - مسئولية المعلم تجاه الارشاد والتوجيه

ان وظيفة المعلم عند الامام النووى ليست تعليم التلاميذ أنواعا من المعارف واكسابهم بعض العلوم والحقائق فحسب ، بل وظيفته بالدرجة الاولى هى التعامل مع المتعلمين ، ومساعدتهم على تحقيق ذواتهم بحسب طبيعة كل منهم . يضاف الى ذلك ارشادهم " طلبا للمعرفة ، واكتسابا للمهارات ، واعدادهم للحياة الكريمة الهادفة التى تمكنهم من التمتع بحياتهم بكرامة وتحقيق ذاتهم فى الحياة [(٢)] " والحقيقة ان المعلم " يتعامل مع أفراد تغد عقولهم غير ناضجة مما يفرض مسئوليات خاصة عليه [(٣)] " ولابد للمعلم من أن يقدم العون لكل تلميذ وأن " يعتنى بمصالحه كاعتنائه بمصالح نفسه وولده [(٤)] " وذلك من أجل فائدة ونفع طلابه . " هذا الى جانب مسئوليته فى مساعدة المتعلم على تحقيق التوافق التربوى ، وذلك بمساعدته على اختيار ما يناسبه من الخبرات والمعارف والعلوم التى يسعى لتعلمها ، وارشاده الى مايصلح له منها [(٥)] "

---

(١) نبيه يس ، أبعاد متطورة للفكر التربوى " مرجع سابق" ، ص ٤١٨ .
(٢) عزت جرادات ، التدريس الفعال " مرجع سابق" ، ص ١٢٠ .
(٣) نبيه يس ، أبعاد متطورة للفكر التربوى " مرجع سابق" ، ص ٤٤٤ .
(٤) النووى ، المجموع " مرجع سابق" ، ص ٥١ .
(٥) حسن عبد العال ، فن التعليم عند ابن جماعة " مرجع سابق " ص ١٣٤ - ١٣٥ .

وينبغى على المعلم فى مثل هذه الحالة ارشاد وتوجيه المتعلم الى مايناسبه وما يستطيع فيه استخدام امكاناته استخداما فعّالا ، يقول الامام النووى فى ذلك : " ويبين له جملا مما يحتاج اليه وينضبط له[1] " . وقوله : " فان رأى الشيخ المصلحة فى ذلك فى وقت فأشار به امتثل أمره[2] " وكذلك يرى الامام النووى أن من مسئولية المعلم توجيه تلاميذه الى أفضل طرق المذاكرة والتحصيل العلمى ، فليس عمله حشو أذهانهم بالمعلومات والحقائق ، بل من صميم مسؤولياته ارشادهم الى خير طرق التعلم وتوجيههم الى اكتساب عادات صالحة للتحصيل[3] " وذلك يتم فى رأى الامام النووى بتخصيص وقت معين للاستذكار وعنده أن " أجود أوقات الحفظ الاسحار ثم نصف النهار ثم الغداه[4] " ويبين كذلك أن " حفظ الليل أنفع من حفظ النهار ، ووقت الجوع أنفع من وقت الشبع[5] " وبتخصيص مكان معين أيضا للاستذكار والتحصيل وعنده أن " أجود أماكن الحفظ الغرف وكل موضع بعد عن الملهيات[6] " كما أن من واجبه أن يرشد تلميذه الى أنه " ليس بمحمود الحفظ بحضرة النبات والخضرة والانهار وقوارع الطرق[7] " ويبين له السبب فى عدم صلاحية تلك الاماكن بقوله : " لانها تمنع غالبا خلو القلب[8] " . كما يبين له أن أفضل المذاكرة عنده

---

(١) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٥٤

(٢) المرجع السابق ، ص ٦٥ .

(٣) حسن عبد العال ، فن التعليم عند ابن جماعة ،" مرجع سابق " ،ص ١٣٥

(٤)،(٥)،(٦)،(٧)،(٨) النووى ، المجموع " مرجع سابق ، ص ٦٣ .

" مذاكرة الليل [١] " . وكما ارشد الامام النووى المتعلم أكاديميا ونصحه بأن " يرافق بعض حاضرى حلقة الشيخ فى المذاكرة [٢] " وهذا مايساعد على الاستذكار الجيد ، وبث روح التعاون والمساعدة بينهم .

وتشمل مسؤولية المعلم تقديم العون لطلابه فيما يتعلق بحل مشكلاتهم المتنوعة ومنها الحياة الاجتماعية والتوجيه التعليمى فيقول عن ذلك : " متحريا ايضاح العبارات وبيان المشكلات [٣] ، وكذلك من مسؤولياته " حل المشكلات مما يراه [٤] " وكما يقدم العون والمساعدة لتلاميذه وحل مشكلاتهم الاجتماعية فواجبه نحوهم أن يحنو عليهم ويعتنى بمصالحهم [٥] ، وأن " يحسن اليهم بعلمه وماله وجاهه بحسب التيسير [٦] " ، و " أن يتفقدهم ويسأل عمن غاب منهم [٧] " .

وأخيرا على المعلم ألا يدع من نصح المتعلم شيئا فيرشده عند حاجته الى الارشاد ويقدم له العون التربوى والنفسى ويعمل على اشباع حاجته وتحقيق الاستقرار النفسى له .

---

(١)،(٢) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٦٤ .
(٣)،(٤) المرجع السابق ، ص ٦٥
(٥) المرجع السابق ، ٥١
(٦)،(٧) المرجع السابق ، ٥٢

## الثالث ـ مسئولية المعلم تجاه البحث العلمى

جعل الامام النووى من أهم مسئوليات المعلم مواصلة التعلم والاستزادة الدائمة من المعارف والعلوم وجعل سبيل ذلك البحث العلمى ، ولابد للمعلمين من امتلاك لأدوات البحث ومهاراته ، لأنهم بحاجة اليه مما يزيد فى نموهم العلمى والمهنى . ويعتبر البحث العلمى عند الامام النووى ضرورة لكل معلم ، وزيادة لحصيلته من الخبرات والمهارات المتصلة بميدان البحث . ذلك لان المعلم الباحث " يطلع على حقائق العلم ودقائقه ويثبت معه لأنه يضطره الى كثرة التفتيش والمطالعة والتحقيق والمراجعة ، والاطلاع على مختلف كلام الائمة ( من علماء تخصصه ) وواضحه من مشكله ، وصحيحه من ضعيفه ، وجزله من ركيكه [(١)] " .

وبالبحث العلمى تنفتح أمام المعلم أبواب فسيحة من الخبرة والمعرفة ، والمعلم الباحث يكون دائما " مستوعبا معظم أحكام ذلك الفن [ الذى تخصص فيه ] . غير مخل بشىء من أصوله ، منبها على القواعد ، فبذلك تظهر له الحقائق وتنكشف المشكلات ويطلع على الغوامض وحل المعضلات [(٢)] " ، ومن ثم تزداد ثقة المعلم بنفسه وبعلمه ، ويتمكن بالتالى من إفادة طلابه أعظم فائدة .

---

(١) النووى ، المجموع" مرجع سابق" ، ص ٤٩ — ٥٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٦٥ — ٦٦

ولقد كان الامام النووى " محقا فى تأكيده قيمة البحث العلمى ، وأهميته للمعلم فلم يعد لدى التربويين الآن أدنى شك فى أن البحث العلمى مهم للمعلم ، كما أنه مهم لقادة مهنة التعليم ، وعلى ذلك فان اكتساب بعض الفهم لطبيعة البحث العلمى فى التربية ينبغى أن يعتبر جزء رئيسا من عملية اعداد المعلم[(١)] .

وفى الحقيقة فان على المعلم الباحث الذى يريد أن يصل الى نتائج مرضية ومقبولة من بحثه أن يكون واعيا بطرائق تحصيل المعرفة وأدوات البحث ، وقد حدد الامام النووى من هذه الطرائق والادوات التحقيق ، والتثبيت ، والاستنباط ، واستخدام اللغة الصحيحة فى كتابة البحث ، وتحديد المشكلة بدقة وفحص الأدلة ، فذكر أن المصنف الجيد هو ما كان صاحبه " محققا كل مايذكره ، متثبتا فى نقله واستنباطه ، متحريا ايضاح العبارات ، وبيان المشكلات ، متجنبا العبارات الركيكات ، والأدلة الواهيات[(٢)]" . فالامام النووى فى هذه العبارة الموجزة يدعو الى أمور من أهمها :

- تحقيق الباحث من كل مايذكره فى بحثه .
- تثبت الباحث فى النقل من تلك الكتب والوثائق .

---

(١) ديوبولد ، فان دالين . مناهج البحث فى التربية وعلم النفس ، ترجمة محمد نبيل نوفل ، سليمان الخضرى ، طلعت منصور ، مراجعة سيد احمد عثمان ( الانجلو المصرية - ١٩٦٩ ) ، ص ٢٦ .

(٢) النووى ، المجموع " مرجع سابق" ، ص ٦٥ .

- استخدام الباحث للتفكير الاستنباطى كوسيلة للحصول على المعلومات ٠
- استخدام العبارات الواضحة فى كتابة البحث أو المصنف ٠ مع الاجتناب لركيك العبارات لأن وضوح العبارات يدل على فهم الباحث لما يكتب ، كما يدل عن قدرته على تحليل المادة العلمية وتقويمها ٠
- توضيح الباحث لمشكلته وتحديدها بدقة لأن هذا مما يساعد الباحث على اختصار الوقت والجهد والوصول الى نتائج سليمة ٠
- تثبت الباحث من الادلة التى يبنى عليها استنتاجاته وفحصها ومراجعتها (١) ٠

وسيتناول الباحث مبادىء أوسمات المنهج العلمى وأصوله عند الامام النووى ومن أهمها :

(أ) تحرى الحقيقة فى البحث :

ان غاية كل بحث - فيما يرى الامام النووى - الوصول الى الحقيقة مهما خالفت معتقدات الناس وعاداتهم ، وهو ينبه المعلم الى أنه اذا اجتمع بغيره من الباحثين للبحث والدراسة فان المقصود من اجتماعهم

---

(١) حسن عبد العال ، أصول البحث العلمى وآدابه عند الامام النووى ( مجلة رسالة الخليج العربى ، مكتب التربية العربى لدول الخليج العدد ٢٤ ، السنة الثامنة ، ١٤٠٨ - ١٩٨٨ ) ، ص ٤٤ - ٤٥ ٠

هو " ظهور الحق وحصول الفائدة [١] " كما أن من واجب المعلم تذكير تلاميذه كلما اجتمع بهم " ينبغى أن يكون لله تعالى [٢] " كما ينبغى عليه أن " ينصفهم فى البحث فيعترف بفائدة يقولها بعضهم [٣] " والحقيقة عند الامام النووى بنت البحث وضالة المعلم الباحث ، ويقتضى التحرى عنها والوصول اليها ، والاجتهاد فى طلبها عن طريق التنقيب والدراسة والبحث و " الاشتغال بالعلم قراءة واقراء ومطالعة وتعليقا ومباحثة ومذاكرة وتصنيفا [٤] " والمعلم فى سبيل البحث عن الحقيقة ينبغى أن " لايستحى من السؤال عما أشكل عليه [٥] " كما " لايستنكف من التعلم ممن هو دونه فى سن أو نسب أو شهرة أو دين أو فى علم آخر ، بل يحرص على الفائدة ممن كانت عنده ، وان كان دونه فى جميع هذا ، ولا يستحى من السؤال عما لم يعلم [٦] " .

وليس مما يعيب المعلم الباحث - فيما يرى الامام النووى - أن يأخذ الحقيقة من أناس يقفون منه موقف التعلم ، فقد كان السلف يفعلون ذلك ، وبالتالى ينبغى على المعلم الباحث " الا يمنعه ارتقاء منصبه وشهرته من استفادة مالايعرفه ، فقد كان كثير من السلف يستفيدون من تلامذتهم ماليس عندهم [٧] " ويستشهد الامام النووى على ذلك " بما ثبت فى

---

(١) ، (٢) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٥٧ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٥٥
(٤) المرجع السابق ، ص ٤٩
(٥) المرجع السابق ، ص ٦٢ .
(٦) (٧) المرجع السابق ، ص ٤٩ .

الصحيح رواية جماعة من الصحابة عن التابعين ، وروى جماعات من التابعين عن تابعى التابعين ، وهذا عمرو بن شعيب ليس تابعيا وروى عنه أكثر من سبعين من التابعين [١] " . وما دامت الحقيقة بنت البحث فان على المعلم أن " يغتنم ... وقت الفراغ والنشاط وحال الشباب وقوة البدن ونباهة الخاطر وقله الشواغل قبل عوارض البطالة وارتفاع المنزلة [٢] " التى تمنعه من مواصلة البحث ، وتحول بينه وبين البحث العلمى وتحقيق أهدافه .

( ب ) عدم التعجل بالاجابة دائما :

يرى الامام النووى أن المعلم ينبغى ألا يكون مستعدا للاجابة دائما سواء بالنفى أو الايجاب عن أسئلة تلاميذه ، ولا حرج عنده أن يقول المعلم اجابة عما لايعرف ، لا أعرفه أو لاأعلمه أو لا أتحقق منه ، ثم يلجأ بعد ذلك للتعلم والبحث والاطلاع ويتأكد من صحة أحكامه وسلامة اجاباته وأن الحرج كل الحرج أن يتسرع فيجيب بغير تثبت من صحة جوابه ويبادر باصدار أحكام على غير علم ، يقول الامام فى ذلك : " اذا سئل عن شيء لايعرفه أو عرض فى الدرس مالا يعرفه فليقل لا أعرفه أولا أتحققه ولايستنكف عن ذلك ، فمن علم العالم [ أى المعلم ] أن يقول فيما لايعلم لا أعلم أو الله أعلم [٣] " .

---

(١) النووى ، المجموع " مرجع سابق "، ص ٤٩ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٦٤ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٥٧ .

ويدرك الامام النووى أنه يصعب على كثير من المعلمين والباحثين قول لا أدرى عند سؤالهم ، لما يخشونه من الاتهام بالجهل والعجز وقلة العلم ، فيسارع الى ازالة تلك الخشية من نفوسهم ، وفى الاتهام عنهم موضحا لهم " أن قول العالم لا أدرى لايضع منزلته ، بل هو دليل على عظم محله وتقواه وكمال معرفته ، لان المتمكن لايضره عدم معرفته مسائل معدودة [١] " بل ان الامام النووى استدل بذلك القول " لا أدرى " على تقوى الله ومخافته فيقول : " بل يستدل بقوله لا أدرى على تقواه وانه لايجازف فى فتواه [٢] " وبيّن الامام النووى أن المتسرع فى الاجابة دون علم بها ، ويمتنع عن قول لا أدرى فى جميع ما يسئل لهو دليل على أنه " قل علمه وقصرت معرفته وضعفت تقواه [٣] " ويعلل السبب فى ذلك التسرع بقوله : " لأنه يخاف لقصوره أن يسقط من أعين الحاضرين وهو جهالة منه ، فانه باقدامه على الجواب فيما لايعلمه يبوء بالاثم العظيم ، ولا يرفعه ذلك عما عرف له من القصور ، بل يستدل به على قصوره [٤] " فينبغى للمعلم " الاعتراف بعدم المعرفة اذا أملى عليه الموقف التعليمى ذلك دون مواربة أو مغالطة أو خجل [٥] " .

(جـ) عدم الاكتفاء بقدر معين من العلم:

يذهب الامام النووى الى أن العلم متغير متجدد لايثبت على حال ، كذلك لاتحده حدود بل انه يضاف اليه كل يوم جديد ، ولذا نراه يحث المعلم

---

(١)،(٢)،(٣)،(٤) النووى ، المجموع ، " مرجع سابق " ، ص ٥٧

(٥) محمد زياد حمدان ، المعلم مواصفاته ومسؤولياته البناءة فى التربية المدرسية ، (عمان : دار التربية الحديثة ، ١٤٠٦) ضمن سلسلة المكتبة التربوية السريعة ، الرسالة ٨ ، ص ١٨ .

بالاستزادة منه فى كل وقت و " لايؤخر تحصيل فائدة وان قلت اذا تمكن منها ، وان أمن حصولها بعد ساعة ، لان للتأخير آفات ، ولانه فى الزمن الثانى يحصل غيرها[1] " فالعلم غير متوقف وغير متناه ، بينما عمر المعلم متناه ومحدود ، ومن هنا لاينبغى تأخير الحصول على المعرفة كما ذكر الامام النووى ٠ لان العلم فى تقدم مستمر وسريع ٠

تلك كانت بعض آراء الامام النووى فى أصول البحث العلمى وقواعده من خلال ماكتبه فى مقدمة كتابه " المجموع شرح المهذب " ٠

أما الآن فسيتناول الباحث بايجاز أخلاق المعلم التى ذكرها الامام النووى فى بعض كتاباته ومن أهمها مايلى :

١ - الالتزام بالاداب الفاضلة والاخلاق الحميدة وتطهير باطنه من الحسد وغيره باعتباره قدوة لطلابه[2].

٢ - تنزيه العلم عن المطامع الدنيوية من جاه أو مال أو سمعة ونحو ذلك[3] .

٣ - الرفق فى معاملة التلاميذ والصبر عليهم والتواضع لهم [4].

٤ - الموضوعية والعدل بين التلاميذ[5].

٥ - العناية بالمظهر العام[6].

٦ - الايثار والبعد عن الانانية [7].

---

(١) النووى "المجموع " مرجع سابق " ، ص ٦٣ ٠

(٢) (٣) (٤) (٥) (٦) (٧) المرجع السابق ، ص ص ٤٦ - ٥٥

## ثانيا ـ المتعلم أخلاقه وواجباتـــه

للمتعلم أخلاق وواجبات تعينه على طلب العلم وتحصيله ، منها مـــا يتعلق بجوانب سلوكه ، ومنها ماله علاقة بتعامله مع درسه ، ومنهـــا مايتعلق بتعامله مع شيخه وأستاذه . وسيتناول الباحث أخلاق المتعلم وواجباته كما ذكرها الامام النووى فى مقدمته على النحو التالى :

### ١ - اخلاقة وواجباته نحو نفسه

اذا أراد المتعلم الكمال فى طلب العلم فعليه الابتعاد عن الاخـــلاق الذميمة الظاهرة والباطنة وتطهير قلبه من الحسد والرياء والاعجاب بنفسه واحتقار الاخرين ، فهذه أمراض قلبية باطنة يبتلى بها كثيرون ، بذلـــك يصلح لقبول العلم . يقول الامام النووى : " وينبغى ان يطهر قلبه مـــن الادناس ليصلح لقبول العلم وحفظه واستثماره [١]" ويستشهد بما ورد فـــى الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم " ان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله ، واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب[٢]رواه البخارى ومسلم . كما أورد قولهم " تطييب القلب للعلم كتطييب الارض للزراعة [٣]"

ولقد وصف الامام النووى العلاج لتلك الامراض فقال : " وطريقه فـــى نفى الحسد أن يعلم ان حكمة الله تعالى اقتضت جعل هذا الفضل فى هـــذا الانسان فلا يعترض ولا يكره ما اقتضته الحكمة [٤] " .

---

(١)،(٢)،(٣) النووى ، المجموع " مرجع سابـــق " ، ص ٥٨ - ٥٩ .

(٤) المرجع السابـــق ، ص ٤٧ .

أما فى علاجه للرياء فيقول : " أن يعلم أن الخلق لاينفعونه ولا يضرونه حقيقة فلا يتشاغل بمراعاتهم فيتعب نفسه ويضر دينه ويحبط عمله ويرتكب سخط الله تعالى ويفوت رضاه (١) " .

اما علاجه للإعجاب فقال : " أن يعلم أنّ العلم فضل من الله تعالى ومعه عاريه ، فان لله ماأخذ وله ما أعطى وكل شئ عنده بأجل مسمى فينبغى أن لايعجب بشئ لم يخترعه وليس مالكا له ولا على يقين من دوامه (٢) " .

واذا كان الامام النووى قد حذّر المتعلم من التحلى بتلك الاخلاق الباطنة الذميمة فانه طلب من المتعلم التحلى بالاخلاق والصفات الحميدة التى حث عليها الشرع فيقول : " أن يتخلق بالمحاسن التى ورد الشرع بها وحث عليها والخلال الحميدة والشيم المرضية التى أرشد اليها من التزهد فى الدنيا والتقلل منها وعدم المبالاة بفواتها والسخاء والجود ومكارم الاخلاق (٣) " .

ومنها أن يتخلق " بالحلم والصبر والتنزه عن دنئ الاكتساب ، وملازمة الورع والخشوع والسكينة والوقار والتواضع والخضوع واجتناب الضحك (٤) " .

---

(١) ، (٢) ، (٣) ، (٤) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٤٧ .

ولقد أوصى الامام النووى المتعلم بـ " دوام مراقبته لله تعالى في علانيته وسره محافظا على قراءة القرآن ونوافل الصلوات والصوم وغيرهما معولا على الله تعالى فى كل أمره معتمدا عليه مفوضا فى كل الاحوال أمره اليه . (١)

واما واجباته نحو نفسه :

يرى الامام النووى ان أهم الصفات الواجب توفرها فى المتعلم هو أن يقصد بعلمه وجه الله تعالى وما يجب أن يتميز به هو تنزيه علمه من وسيلة للحصول على أغراض ومطامع دنيوية (٢) .

ويرى الامام النووى أن لعناية المتعلم بمظهره العام وهندامه أهمية كبيرة ، ولذا يوصى المتعلم أن " يدخل ( على الشيخ ) كامل الهيبة فارغ القلب من الشواغل متطهرا متنظفا بسواك وقص شارب وظفر وازالة كريه رائحة . (٣)

٢ - أخلاقه وواجباته مع درسه :

يرى الامام النووى أن على المتعلم صون جوارحه من العبث بغير حاجة من رفع للصوت والضحك وكثرة الكلام والعبث بيده وغيرها فيقول: " ولايرفع صوته رفعا بليغا من غير حاجة ولايضحك ولايكثر الكلام بلا حاجة ولايعبث بيده ولاغيرها ، ولايلتفت بلا حاجة " (٤) ويوصى المتعلم بأن " يقبل على الشيخ مصغيا اليه ". (٥)

---

(١) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٤٨ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٤٦ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٦١ .
(٤) (٥) المرجع السابق ، ص ٦٢ .

وكما يوصيه بالاستماع والانصات لمعلمه عند القاء الدرس والتلطف معه فى حالة سؤاله مع حسن الخطاب فيقول : " ويتلطف فى سؤاله ويحسن خطابه ". (١)

ويوصى الامام النووى المتعلم أن يحرص على تعلم مايجهله ولايستحى من ذلك ، ولايستحى اذا سئل عن شئ ولايعرفه ان يقول لا اعلم : فعليه أن يتعلم مالا يعلمه لان العلم بالتعلم فيقول : " ولايستحى من السؤال عما أشكل عليه بل يستوضحه أكمل استيضاح " (٢) وقوله : " ولايستحى من قوله لم أفهم " (٣) .

ويوصى الامام النووى المتعلم بالتواضع للعلم فيقول : " وينبغى له أن يتواضع للعلم ... فبتواضعه يناله ... ، وقد قالوا العلم حرب للمتعالى كالسيل حرب للمكان العالى " (٤) .

ويطلب الامام النووى من المتعلم " أن يكون حريصا على التعلم مواظبا عليه فى جميع أوقاته " (٥) ، كما ينبغى على المتعلم أن تكون همته عالية ( فى طلب العلم ) فلا يرضى باليسير مع امكان الكثير ، وأن لايسوف فى اشتغاله " (٦) .

وأما واجباته نحو درسه :

ان على المتعلم واجبات تجاه درسه ، ولذا يطلب الامام النووى منه أن يكون " مجتهدا فى الاشتغال بالعلم ... ولايستنكف من المتعلم ممن هو دونه ... بل يحرص على الفائدة ممن كانت عنده " (٧) .

---

(١) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ص ٦٢
(٢) (٣) المرجع السابق ، ص ٦٢ .
(٤) المرجع السابق ، ص ٦٠ .
(٥) المرجع السابق ، ص ٦٢ .
(٦) المرجع السابق ، ص ٦٣ .
(٧) المرجع السابق ، ص ٤٩ .

وكما طلب الامام النووى ، منه أيضا " أن يقطع العلائق الشاغلة عن كمال الاجتهاد فى التحصيل " (١) بل ان الامام النووى يوص المتعلم بان " يغتنم التحصيل فى وقت الفراغ والنشاط وحال الشباب وقوة البدن ونباهة الخاطر وقلة الشواغل قبل عوارض البطالة " (٢) .

ويحذر الامام النووى المتعلم بأن " يفوت درسه " (٣) ويطلب منه أن " يعتنى بتصحيح درسه الذى يتحفظه تصحيحا متقنا على الشيخ " (٤) وأن يداوم على تكرار محفوظاته ولايحفظ ابتداء من الكتب " (٥)

بل أوجب عليه أن " يذاكر محفوظاته وليدم الفكر فيها ويعتنى بما يحصل فيهامن الفوائد " (٦) ولقد أوصاه الامام النووى أن "يرافق بعض حاضرى حلقة الشيخ فى المذاكرة " (٧) .

ويرى الامام النووى أن من واجبات المتعلم عند تأهله أن " يعتنى بالتصنيف " (٨) بالاضافة الى عنايته " بتحصيل الكتب شراء واستعارة (٩) .

## ٣ ـ اخلاقه وواجباته مع أستاذه :

يحتاج المتعلم الى أستاذ يلازمه ويستفيد من علمه ، لان العلم سنة متبعة يؤخذ من أفواه الرجال ، فأستاذه قدوة صالحة له ، ولذا يطلب الامام النووى من المتعلم " أن يتواضع ... والمعلم " (١٠) كما لابد للمتعلم من الانقياد لمعلمه ومشاورته فى جميع أموره فيقول الامام النووى: " وينقاد لمعلمه ويشاوره فى أموره ويأتمر بأمره كما ينقاد المريض لطبيب حاذق ناصح وهذا أولى " (١١) .

---

(١) النووى ، المجموع ، " مرجع سابق ، ص ٦١ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٦٤ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٦٣ .
(٤) (٥) (٦) (٧) المرجع السابق ، ص ٦٤ .
(٨) المرجع السابق ، ص ٤٩ .
(٩) المرجع السابق ، ص ٦٦ .
(١٠) (١١) المرجع السابق ، ص ٦٠ .

وأن يحترم ويقدر معلمه ويخصه بالتحية ، ويحرص على رضاه وان خالف رأيه فيقول : " أن يتحرى رضا المعلم وان خالف رأى نفسه " (١) .

ويوصى الامام النووى المتعلم بالتحلى بآداب الاستئذان مع معلمه فلا يدخل عليه بغير اذن فيقول : " والا يدخل عليه بغير اذن " (٢) .

ومن الاحترام للمعلم أن يتأدب ويحترم زملائه وحاضرى مجلس أستاذه لان هذا فى نظر الامام النووى احترام لمجلس المعلم وتأدب معه فيقول : " ويتأدب مع رفقته وحاضرى المجلس ، فان تأدبه معهم تأدب مع الشيخ واحترام لمجلسه " (٣) .

ويوصى الامام النووى المتعلم بالتحلى بالحلم والأناه والصبر على جفوة معلمه وسوء خلقه فعليه أن يستمر فى ملازمته واعتقاد كماله وأن يبادر معلمه بالاعتذار له وان لم يذنب فيقول : " وينبغى أن يصبر على جفوة شيخه وسوءخلقه ولايصده ذلك عن ملازمته واعتقاد كماله ... واذا جفاه الشيخ ابتدأ هو بالاعتذار واظهر أن الذنب له والعتب عليه فذلك أنفع له دينا ودنيا " (٤) .

وأما واجباته تجاه استاذه :

يوصى الامام النووى المتعلم بأن عليه واجبات تجاه معلمه ولذا ينبغى عليه عدم مسابقته الى شرح مسألة أو جواب سؤال الا بعد علمه من حال المعلم ايثار ذلك فيقول : " ولايسبقه ( اى المتعلم ) الى شرح مسألة أو جواب سؤال الا أن يعلم من حال الشيخ ايثار ذلك ليستدل به

---

(١) ، (٢) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٦١ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٦٢ .
(٤) المرجع السابق ، ص ٦٣ .

على فضيلة المتعلم[١] " . ومن واجباته أيضا عدم القراءة عليه فى حال شغل قلبه أو ملله وغمه ونعاسه فيقول فى ذلك " ولا يقرا عليه عند شغل قلب الشيخ ومللِه وغمه ونعاسه[٢] " .

ويجب على المتعلم عدم الالحاح على معلمه بكثرة الاسئلة بحيث يتضجر منه وانما ينبغى عليه سؤاله عند طيب نفسه وفراغه فيقول الامام النووى : " ولايلح فى السؤال الحاحا مضجرا ، ويغتنم سؤاله عند طيب نفسه وفراغه[٣] " .

وهناك واجبات استشهد بها الامام النووى عن على بن ابى طالب رضى الله عنه قال : " من حق العالم عليك ... ولاتقولن قال فلان خلاف قوله ولا تغتابن عنده أحدا ولا تسار فى مجلسه ولا تاخذ بثوبه ولاتلح عليه اذا كسل ولاتشبع من طول صحبته[٤] " .

ومن واجباته ايضا اعتقاد كمال أهلية معلمه ورجحانه على أكثر جماعته . ولذا يطلب الامام النووى منه أن " يعتقد كمال أهليته ورجحانه على أكثر طبقته فهو أقرب الى انتفاعه به ورسوخ ماسمعه منه فى ذهنه[٥] " .

ومن الواجبات كذلك كما يقول النووى : " لايفشى له سرا ، وأن يرد غيبته اذا سمعها . فان عجز فارق ذلك المجلس[٦] " .

---

(١) ، (٢) ، (٣) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٦٢ .
(٤) المرجع السابق، ص ٦١ .
(٥) المرجع السابق، ص ٦٠ .
(٦) المرجع السابق، ص ٦١ .

## ثالثا - معلم القرآن ومتعلمه

### (١) آداب معلم القرآن ومتعلمه :

يمكن تقسيم ما أورده الامام النووى عن آداب معلم القرآن ومتعلمه الى قسمين : قسم يتحدث عن الاداب العامة التى يشترك فيها معلم القرآن ومتعلمه . وقسم يتحدث عن الاداب الخاصة لمتعلم القرآن الكريم . أما تفاصيل هذه الاداب فهى على النحو التالى :

### الاول : الآداب العامة المشتركة بين معلم القرآن ومتعلمه :

أ - تنزيه العلم عن المطامع الدنيوية ، فمن واجب العلم أن يقدم له بما يستحقه من العزة والشرف والصيانة كما يجب للمقرئ والقارئ ان يحسنا نيتهما فى التعليم وأن " يقصدا بذلك رض الله تعالى "(١) وأن لايقصدا به " توصلا الى غرض من أغراض الدنيا من مال ، أو رياسة ، أو وجاهة أو ارتفاع على أقرانه ، أو ثناء عند الناس ، أو صرف وجوه الناس اليه ، أو نحو ذلك ، ولا يشين المقرئ اقراؤه بطمع فى رفق يحصل له من بعض من يقرأ عليه سواء كان الرفق مالا أو خدمة وان قل ، ولو كان على صورة الهدية التى لولا قراءته عليه لما أهداها (٢)" وقد دلل الامام النووى على ذلك بالكثير من الايات والاحاديث فمنها ماجاء فى الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إنما الاعمال بالنيات ، وإنما لكل أمرئ مانوى "(٣)

---

(١) الامام النووى ، التبيان فى آداب حملة القرآن" مرجع سابق " ، ص ٢٣.

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٦ .

(٣) رواه البخارى ١/٧ - ١٥ فى بدء الوحى وغيرها. أما مسلم رقم( ١٩٠٧) فى الإمارة .

ويعتبر هذا الحديث من أصول الاسلام الهامة • وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله تعالى ، لايتعلمه الا ليصيب به غرضا من أغراض الدنيا ، لم يجد عرف الجنة (*) يوم القيامة " رواه أبو داود باسناد صحيح • (١)

وعن أنس وحذيفة وكعب بن مالك رضى الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " من طلب العلم ليمارى به السفهاء أو يكاثر به العلماء أو يصرف به وجوه الناس اليه فيتبوأ مقعده من النار " رواه الترمذى •

ب - يحذر الامام النووى معلم القرآن الكريم من " قصده التكثر بكثرة المشتغلين عليه ، والمختلفين اليه " ويحذره كذلك من " كراهيته قراءة أصحابه [ أى تلاميذه ] على غيره ممن ينتفع به (٢) " ولقد أوضح الامام النووى من يتصف بتلك الصفات بأنها "مصيبة يبتلى بها بعض المعلمين الجاهلين (٣) " كما أنها تدل دلالة واضحة على صاحبها " بسوء نيته وفساد طويته (٤) " بل هى " حجة قاطعة على عدم ارادته بتعليمه وجه الله تعالى فانه لو أراد الله تعالى لما كره ذلك (٥) " ويستشهد الامام النووى على ذلك بما ورد فى مسند الامام ابن محمد الدارمى ، عن علي بن أبى طالب

---

(*) عرف الجنة بفتح العين واسكان الراء : أى ريحها •

(١) ابى داود سليمان بن الاشعث السجستانى الازدى ، سنن ابى داود • ط ١ ( بيروت : دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٣٩٣ هـ ) ج ٤، ص ٧١

(٢) الامام النووى ، التبيان فى آداب حملة القرآن " مرجع سابق " ص ٢٧ - ٢٨ •

(٣) (٤) (٥) المرجع السابق ، ص ٢٨ •

رضى الله عنه أنه قال : " ياحملة العلم إ اعملوا به ، فانما العالم من عمل بما علم ووافق علمه عمله ، وسيكون أقوام يحملون العلم لايجاوز تراقيهم ، يخالف عملهم علمهم ، وتخالف سريرتهم علانيتهم ، يجلسون حلقا يباهى بعضهم بعضا ، حتى ان الرجل ليغضب على جليسه ان يجلس الى غيره ويدعه ، أولئك لا تصعد أعمالهم فى مجالسهم تلك الى الله تعالى[1] " • فهذا يدل على التطبيق العملى لما نتعلمه وبخاصة فى القرآن الكريم والاحاديث الشريفة الصحيحة •

جـ ـ الالتزام بآداب تعليم القرآن • فمن أهم خصائص المعلم الناجح أن يلتزم بالآداب الفاضلة والاخلاق الحسنة ، والتخلق بالمحاسن التى ورد الشرع بها ، والخلال الحميدة ، والشيم المرضية التى أرشده الله اليها من " الزهادة فى الدنيا والتقلل منها ، وعدم المبالاة بها وبأهلها ، والسخاء والجود ومكارم الاخلاق ، وطلاقة الوجه من غير خروج الى حد الخلاعة ، والحلم والصبر والتنزه عن دنيء الاكتساب ، وملازمة الورع والخشوع والسكينة والوقار والتواضع والخضوع ، واجتناب الضحك[2] " لانه يعتبر قدوة حسنة لتلاميذه • كما ينبغى على المعلم أن يعتنى بمظهره الخارجى العام من حيث " ملازمة الوظائف الشرعية ، كالتنظيف با زالة الاوساخ ، والشعور التى ورد الشرع بازالتها كقص الشارب ، وتقليم الاظفار وتسريح اللحية ، وازالة الروائح الكريهة والملابس المكروهة[3] "

---

(١) النووى ، التبيان " مرجع سابق " ، ص ٢٨ •

(٢) (٣) المرجع السابق ، ص ٢٩ •

وكذلك تطهير باطنه من ردئ الاخلاق ،" كالحسد والرياء والعجب واحتقار غيره وان كان دونه [1]."

د - مراقبة الله فى السر والعلن ، ومراعاة ذلك فى حركاته وسكناته وأقواله وأفعاله وفى جميع أموره [2] .

هـ - حب المعلم لتلاميذه وحسن معاملتهم ويكون ذلك على النحو التالى :

١ - ان يحب لهم مايحب لنفسه ، ويكره لهم مايكره لها .
٢ - الاعتناء بمصالحهم ومعاملتهم كأعز أبنائه حنوا وشفقة واحسانا .
٣ - الصبر على جفائهم وسوء أدبهم .
٤ - أن يعذرهم فى قلة أدبهم فى بعض الاحيان ويوجههم بلطف وأدب لا بتعنيف وتعسف قاصدا حسن تربيتهم واحسان خلقهم واصلاح شأنهم .
٥ - أن يثنى على من ظهرت نجابته منهم مالم يخش فتنة باعجاب وغيره .
٦ - أن يؤدبهم على التدريج بالاداب السنية والشيم المرضية ،ورياضة نفسه بالدقائق الخفية ، ويعودهم الصيانة فى جميع أمورهم الباطنة والظاهرة [3] .

و - آلا يمنع طالبا من العلم لعدم تجرد نيته لأن بركة العلم تجعل النية خالصة ، فقد يطلب العلم لغير الله ثم يكون له وحده [4].

---

(١) ،(٢) النووى ، التبيان " مرجع سابق " ، ص ٢٩ .
(٣) (٤) المرجع السابق،ص ٣١ - ٣٤ .

ز ـ اظهار البشر وطلاقة الوجه لهم ، كما أنه يسأل عمن غاب منهم ويتفقد أحوالهم [١] •

ح ـ الترغيب فى طلب العلم ويكون ذلك باتباع مايلى :

١ ـ تذكير الطالب بفضل العلم والعلماء وما أُثر فى ذلك ، وبفضل الاشتغال بالقرآن وسائر العلوم الشرعية •

٢ ـ الاهتمام من الدنيا بقدر كفايته ، وأن يفرغ قلبه فى حال جلوسه لاقرائهم من الاسباب الشاغلة كلها [٢].

ط ـ صيانة العلم كما صانه علماء السلف ، وذلك بالمحافظة على عزته وشرفه وعدم اذلاله بالذهاب به الى غير أهله ، حتى وان كان المتعلم خليفة فمن دونه [٣] •

ى ـ قصد النية لله تعالى فيما يعلمه للتلاميذ من العلم ، مع صون جوارحه عند العبث فى حال الاقراء من غير حاجة تعظيما واجلالا وتوقيرا للقرآن الكريم الذى بين يديه •

ك ـ استحسان جلوس معلم القرآن مستقبلا القبلة [٤].

ل ـ اتباع المعلم للطرق السهلة من نقل المعلومات لتلاميذه وذلك باتباع مايأتى :

أ ـ سهولة الالقاء فى تعليمه واللطف فى تفهيمه مع الحرص على ذلك •

٢ ـ تحريضه على التعلم ومساعدته على طلبه بما أمكنه •

---

(١) النووى ، التبيان " مرجع سابق " ، ص ٣٤ •

(٢) المرجع السابق ، ص ٣١ • (٣) (٤) المرجع السابق ، ص ٣٥ •

٣ - تألف قلب الطالب على حب القرآن وتعلمه [١].

٤ - مراعاة قدرات طلابه العقلية والذهنية فيما يعلّمه [٢].

م - أن يتواضع المعلم لتلاميذه ويكون لينا معهم ، ولا يتعاظم عليهم عملا بقوله صلى الله عليه وسلم انه قال : " لينوا لمن تعلمون ولمن تتعلمون منه [٣]" . ويتحقق التواضع والتكريم لهم باتباع مايأتى :

١ - الترحيب بهم حين الالتقاء بهم ، سائلا عن أحوالهم .

٢ - معاملتهم بوجه طلق مع اظهار البشر لهم [٤].

ن - ينبغى على المعلم " ان يكون مجلسه واسعا ليتمكن جلساؤه فيه [٥]" .

**الثانى : آداب المتعلم فى نفسه وشيخه ودرسه :**

أ - آداب المتعلم فى نفسه وتتمثل فيما يلى :

(١) اجتناب الاسباب الشاغلة عن التحصيل الا سببا لابد منه للحاجة [٦].

(٢) تطهير باطن المتعلم من الادناس كالحسد والعجب ، وأن يدخل على

---

(١) النووى " التبيان " مرجع سابق" ، ص ٣١ .

(٢) المرجع السابق، ص ٣٤ .

(٣) هو جزء من حديث طويل . قال الحافظ العراقى : رواه ابن السنى فى " رياض المتعلمين " بسند ضعيف .

(٤) النووى " التبيان " مرجع سابق " ، ص ٣٢ ؛ ص ٣٤ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٣٥ .

(٦) المرجع السابق ، ص ٣٦ .

شيخه كامل الخصال ، متنظفا كما ذكرنا فى المعلم ، متطهرا مستعملا للسواك[1].

٣ - أن " يتحمل جفوة شيخه وسوء خلقه ، ولا يصده ذلك عن ملازمته واعتقاد كماله ،ويتأول لأفعاله وأقواله التى ظاهرها الفساد تأويلات صحيحة . واذا جفاه الشيخ ابتدأهو بالاعتذار اليه ، وأظهر أن الذنب له والعتب عليه ، فذلك أنفع له فى الدنيا والاخرة " واستشهد الامام النووى بالاثر المشهور عن ابن عباس رضى الله عنهما : ذللت طالبا فعززت مطلوبا[2] " .

٤ - أن " يأخذ [ المتعلم ] نفسه بالاجتهاد فى وقت الفراغ والنشاط ، وقوة البدن ، ونباهة الخاطر ، وقلة الشاغلات قبل عوارض البطالة وارتفاع المنزلة " ويستشهد الامام النووى على ذلك بالاثر عن عمر رضى الله عنه : تفقهوا قبل ان تسودوا. وقول الشافعى رضى الله عنه : تفقه قبل ان ترأس ، فاذا رأست فلا سبيل الى التفقه[3]" .

ب - آدابه مع شيخه فيتضمن مايلى :

(١) تواضع المتعلم لمعلمه والتأدب معه . ويطلب الامام النووى من المتعلم بأن " يتواضع المتعلم لمعلمه ، ويتأدب معه وان كان أصغر منه سنا وأقل شهرة ونسبا وصلاحا وغير ذلك ، وكذلك يتواضع

---

(١) النووى ، التبيان " مرجع سابق " ، ص ٣٨ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٤٠ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٤١ .

للعلم فبتواضعه للعلم يدركه [١] " .

٢ - الانقياد للمعلم ومشاورته فى جميع الأمور . ويطلب الامام النووى من المتعلم بأن " ينقاد لمعلمه ، ويشاوره فى أموره ، ويقبل قوله كالمريض العاقل يقبل قول الطبيب الناصح الحاذق ، وهذا أولى [٢] " .

٣ - آخذ العلم من معلم ثقة فى دينه وعلمه وخلقه ، ولذلك حذر الامام النووى المتعلم بأن لا يأخذ العلم الا " ممن كملت أهليته وظهرت ديانته ، وتحققت معرفته ، واشتهرت صيانته ". ويدلل على ذلك بأقوال محمد بن سيرين ومالك بن أنس وغيرهما من السلف : هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم [٣] " .

٤ - التقدير والاحترام للمعلم ولذلك يطلب الامام النووى من المتعلم مايلى :

أ - أن " ينظر المتعلم لمعلمه بعين الاحترام والتقدير ، وأن يعتقد كمال أهليته ورجحانه على طبقته ،فانه أقرب الى انتفاعه به [٤] " .

ب - الرد على من يغتاب معلمه بقدر الاستطاعة . ويطلب الامام النووى من المتعلم بأن " يرد غيبة شيخه ان قدر ، فان

---

(١) (٢) (٣) (٤) النووى ، التبيان " مرجع سابق " ، ص ٣٧ .

تعذر عليه ردها فارق ذلك المجلس[1]" .

جـ - التحلى بآداب الاستئذان ، ويحذر الامام النووى المتعلم :
- بأن " لايدخل على شيخه بغير استئذان ، اذا كان الشيخ فى مكان يحتاج الى استئذان"كما ينبغى عليه " أن يسلم على الحاضرين اذا دخل ، ويخص شيخه [ دونهم بالتحية ]، وأن يسلم عليه وعليهم اذا انصرف[2]" .

د - التأدب مع زملائه ومن يحضر مجلس معلمه . ولذلك يطلب الامام النووى من المتعلم أن " يتأدب مع رفقته وحاضرى مجلس الشيخ ، فان ذلك تأدب مع الشيخ وصيانة لمجلسه[3]"

جـ - آدابه مع درسه ويشتمل على مايأتى :

(١) جلوس المتعلمين الجلوس الصحيح أثناء تلقى العلم ولذلك يطلب الامام النووى من المتعلم بأن " يقعد بين يدى الشيخ قعدة المتعلمين ، ولايرفع صوته رفعا بليغا من غير حاجة[4]" .

(٢) قلة الكلام أثناء الدرس . ولذلك ينهى الامام النووى المتعلم - بأن " لايكثر الكلام من غير حاجة ، ولايضحك ، ولايعبث بيده ولابغيرها ولا يلتفت يمينا ولا شمالا من غير حاجة ، بل يكون متوجها الى الشيخ مصغيا الى كلامه[5]"

---

(١) (٢) النووى ، التبيان " مرجع سابق " ، ص ٣٨ .
(٣) (٤)(٥) المرجع السابق ، ص ٣٩ .

(٣) مراعاة أحوال المعلم ولذلك يحذر الامام النووى المتعلم من القراءة على شيخه " فى حال شغل قلب الشيخ وملله ، واستنفاره وغمه وفرحه وجوعه وعطشه ونعاسه وقلقه ونحو ذلك ، وعليه أن يغتنم أوقات نشاط شيخه [١] " .

(٤) الجد والاجتهاد فى طلب العلم . ولذلك يطلب الامام النووى من المتعلم أن يكون " حريصا على التعلم مواظبا عليه فى جميع الاوقات التى يتمكن منه فيها ، ولا يقنع بالقليل مع تمكنه من الكثير [٢] " .

(٥) مراعاة استعداداته وقدراته الذهنية عند التعلم .ويحذر الامام النووى المتعلم بأن " يحمّل نفسه مالايطيق مخافة من الملل وضياع ماحصل . وهذا يختلف باختلاف الناس والاحوال [٣] " .

(٦) مراعاة الوقت المناسب . ولذلك يطلب الامام النووى من المتعلم ألاّ يفوّت وظيفته [ أى الاشتغال بالقرآن ] الاّ أن يخاف كراهة الشيخ لذلك ، بأن يعلم من حاله الاقراء فى وقت بعينه ، وأنه لايقرىء فى غيره [٤] .

---

(١) النووى ، التبيان " مرجع سابق " ، ص ٤٠ .
(٢)(٣)(٤) المرجع السابق ، ص ٤١

وكما ينبغى عليه أن " يبكر بقراءته على الشيخ أول النهـــار ، لحديث النبى صلى الله عليه وسلم :

" اللهم بارك لأمتى فى بكورها [1] " .

(٧) تعاهد قراءة القرآن الكريم وحفظه ولذلك يوصى الامام النـــووى القارئ - بأن " يحافظ على قراءة محفوظه ، وان لايؤثر بنوبتـــه غيره ، فان الايثار مكروه فى القرب بخلاف الايثار بحظوظ النفـــس فانه محبوب [2] " .

---

(١) (٢) النووى ، التبيان " مرجع سابق "، ص ٤٢؛رواه ابو داودرقم (٢٦٠٦) فى الجهاد والترمذى رقم (١٢١٢) فى البيوع .

## ٢ ـ آداب قراءة القرآن الكريم

أوضح الامام النووى مراده من تأليف كتابه " التبيان فى آداب حملة القرآن " ، وأن هذا الباب هو مقصود الكتاب ، وهو كثير جدا ولكنه سوف يشير الى بعض من مقاصده خوفا من التطويل ، وليبعد القارئ عن الملل[١].

وهناك آداب لقراءة القرآن الكريم ينبغى مراعاتها عند القراءة فمنها :

١ ـ العناية بالمظهر العام ، والمراد بذلك أنه اذا أراد القارئ القراءة نظف فاه بالسواك وغيره ، وأن يكون القارئ لكتاب الله على طهارة من الحدث الاكبر[٢] . ولقد أجمع المسلمون على جواز قراءة القرآن للمحدث حدثا أصغر والمستحاضة ، أما من حيث " الجنب والحائض فانه يحرم عليهما قراءة القرآن ، سواء كان آية أو أقل منها[٣]" ، وانما جاز لهما " اجراء القرآن على قلبهما من غير تلفظ به ، وكذلك النظر فى المصحف وامراره على القلب[٤]" كما أجمع المسلمون على جواز التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير ، والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من الاذكار سواء للجنب والحائض[٥]" .

---

(١) النووى ، التبيان " مرجع سابق " ، ص ٥٧ .

(٢) المرجع السابق ص ٥٧ ـ ٥٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٥٨ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٥٨ ـ ٥٩ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٥٩ .

٢ - استحباب قراءة القرآن " فى موضع نظيف مختار " والافضل "القراءة فى المسجد ، لكونه جامعا للنظافة ، وشرف البقعة ، ومحصلا لفضيلة أخرى وهى الاعتكاف سواء كثر فى جلوسه أو قل[(١)] " ويشير الامام النووى الى ان الانسان ينبغى له عند أول دخوله المسجد أن ينوى الاعتكاف ، ويعده من الادب ، فيقول : " وهذا الادب ينبغى أن يعتنى به ويشاع ذكره ، ويعرفه الصغار والعوام فانه مما يغفل عنه[(٢)] " . ونجد أن جماعات تحفيظ القرآن الكريم للبنيين بالمملكة العربية السعودية تعلم القرآن فى المساجد حتى يومنا هذا وهذا هو المختار والافضل كما أشار الى ذلك الامام النووى آنفا .

أما القراءة فى الحمام* فيبين الامام النووى حكم ذلك بقوله : " اختلف السلف فى كراهيتها[(٣)] " وأما قراءة القرآن الكريم فى الطريق فيقول عن حكمها : " فالمختار أنها جائزة غير مكروهة[(٤)] " ولقد اشترط الامام النووى فى ذلك : " اذا لم يلته صاحبها ، فان التهى صاحبها عنها كرهت[(٥)] " .

---

(١)،(٢)،(٣) النووى ، التبيان " مرجع سابق " ، ص ٦١ .

* الحمّام : مشدد وأحد الحمامات المبنية وهو موضع الاغتسال المعروف . المرجع : لسان العرب ، ج ١٢ ، ص ١٥٣ - ١٥٤ .

(٤) ،(٥) المرجع السابق ، ص ٦٢ .

٣ - استقبال القارئ للقرآن الكريم القبلة ، وان يجلس بخشوع وسكينة ووقار عند القراءة ، كما تكون قراءته للقرآن الكريم على أى صفة كانت[1] .

٤ - الشروع فى قراءة القرآن الكريم يكون باتباع مايأتى :

أ - البدء بالاستعاذة بالله فيقول بادئ ذى بدء : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . وهذا مستحب لكل قارئ، سواء كان فى الصلاة أو فى غيرها [2].

ب - المحافظة على قراءة بسم الله الرحمن الرحيم فى أول كل سورة سوى ( براءة التوبة ) لأن أكثر العلماء يرى أنها آية ، حيث تكتب فى المصحف [3] " .

جـ - الخشوع والتدبر عند قراءة القرآن ويدلل الامام النووى على ذلك بقول الله تعالى ﴿" أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ [4]﴾" وقوله تعالى﴿" كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾[5]" .

د - ترتيل القرآن الكريم امتثالا لأمر الله تعالى "﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا [6]"﴾. وكما جاء فى الاثر عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لأن أقرأ سورة أرتلها أحب الىّ من أن أقرأ القرآن كله [7] .

---

(١) النووى ، التبيان" مرجع سابق " ، ص ٦٣ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٦٤ - ٦٥ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٦٥ .
(٤) سورة النساء، آية رقم ٨٢ .
(٥) سورة ص ، آية رقم ٢٩ .
(٦) سورة المزمل، آية رقم ٤ .
(٧) المرجع السابق ، ص ٧٠

ولقد ورد النهى عن الافراط فى الاسراع فى القراءة وهو مايسمى (الهذّ) [والهذّ يختلف عن الحدر فيقول أهل اللغة :حدرت القراءة أو أدرجتها ولم تمططها] ويورد الامام النووى على ذلك بما ثبت عن عبد الله بن مسعود أن رجلا قال له : " انى أقرأ المفصل فى ركعة واحدة ، فقال عبد الله بن مسعود : هذاً كهذّ الشعر ، ان أقواما يقرءون القرآن لايجاوز تراقيهم ، ولكن اذا وقع فى القلب فرسخ فيه نفع [(١)] " . رواه البخارى ومسلم .

هـ - احترام القرآن الكريم وتعظيمه وتوقيره . فمن ذلك اجتناب الضحك واختلاط الاصوات وعلى المستمعين لذكر الله الانصات اليه امتثالا لقوله تعالى : ﴿ **وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** [(٢)] ﴾ ، وكذلك العبث بأنواعه ، والنظر الى مايلهى ويبدد الذهن ويصرفه عن التدبر والتفكير فى آيات الله [(٣)] .

٥ - قراءة القرآن الكريم من المصحف أفضل من قراءته عن ظهر قلب ، " لان النظر فى المصحف يعتبر عباده مطلوبة ، وبالتالى تجتمع فضيلتى القراءة والنظر لكتاب الله [(٤)] " .

---

(١) النووى ، التبيان " مرجع سابق "، ص ٧١ .
(٢) سورة الاعراف ، آية رقم ٢٠٤ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٧٣ .
(٤) المرجع السابق ، ص ٧٨ .

٦ - استحباب قراءة الجماعة مجتمعين ، فقد صح عن النبى صلى الله عليه وسلم من رواية أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : " ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الاّ نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده [(١)] " رواه مسلم وأبو داود . وهذا مانراه اليوم من حلقات فى المساجد لتعليم القرآن الكريم .

٧ - استحباب رفع الصوت بقراءة القرآن وتحسينه ويشير الامام النووى الى أهميته والعناية به بقوله : " هذا فصل مهم ينبغى أن يعتنى به [(٢)] " ، ومما يدل على ذلك الحديث الذى رواه أبو هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " ما أذن [(٣)] الله لشيء ما أذن لنبى حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به " رواه البخارى ومسلم " وما روى عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " زينوا القرآن بأصواتكم " رواه أبو داود والنسائى وغيرهما ، ويذكر الامام النووى فوائد رفع الصوت بقراءة القرآن مستشهدا بقول الامام أبو حامد الغزالى وغيره من العلماء ، اذ يقول : " فالجهر ورفع الصوت أفضل لان العمل فيه اكثر ، ولان فائدته تتعدى الى غيره ، والنفع المتعدى أفضل من اللازم ، ولأنه يوقظ قلب القارىء

---

(١) النووى ، التبيان " مرجع سابق" ، ص ٧٩ .

(٢) المرجع السابق، ص ٨٢ .

(٣) معنى أذن استمع ، وهو اشارة الى الرضا والقبول .

ويجمع همه الى الفكر فيه ، ويصرف سمعه اليه ، ويطرد النوم ، ويزيد النشاط ، ويوقظ غيره من نائم وغافل وينشطه [١]" وأما القراءة بالالحان ، فان الامام النووى يستشهد ببعض آراء علماء الشافعية فيقول : " فقد قال الشافعى رحمه الله فى مواضع : أكرهها وقال فى مواضع لا أكرهها ... ان أفرط فى التمطيط فجاوز الحد فهو الذى كرهه ، وان لم يجاوز فهو الذى لم يكرهه [٢]" والقول الآخر للماوردى فى كتابه " الحاوى " اذ يقول عنه الامام النووى : " القراءة بالالحان الموضوعه ان أخرجت لفظ القرآن عن صيغته بادخال حركات فيه ، أو اخراج حركات منه ، أو قصر ممدود ، أو مد مقصور ، أو تمطيط يخل به بعض اللفظ ويلتبس المعنى ، فهو حرام ، يفسق به القارئ ، ويأثم به المستمع . لانه عدل به عن نهجه القويم الى الاعوجاج ، والله تعالى يقول :* " قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ [٣]" *. قال : وان لم يخرجه اللحن عن لفظه وقراءته على ترتيله ، كان مباحا ، لانه زاد بألحانه فى تحسينه [٤]" .

ويبدى الامام النووى رأيه فى كلام الماوردى السابق فيقول : " وهذا القسم الاول من القراءة بالالحان المحرمة معصية أبتلى بها العوام الجهلة ، والطغام الغشمة الذين يقرؤون على الجنائز ، وفى بعض المحافل ، وهذه بدعة محرمة ظاهره يأثم كل مستمع لها [٥]" ولاشك أن هذه من البدع والمنكرات التى تفشت فى العصر الذى عاش

---

(١) النووى ، التبيان " مرجع سابق " ، ص ٨٣ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٨٩ .
(٣) سورة الزمر ، الاية رقم ٢٨ .
(٤) (٥) النووى ، التبيان " مرجع سابق " ، ص ٨٩ .

فيه الامام النووى ولقد قام بانكار هذا المنكر ومحاولة ازالتـــه وبذل وسعه فى ذلك فيقول : " وقد بذلت فيها بعض قدرتى ،وأرجـــو من فضل الله الكريم أن يوفق لازالتها من هو أهل لذلك ،وأن يجعله فى عافية (١) " ٠

٨ - قراءة القرآن الكريم محبوبة على الاطلاق ، الا فى أحوال خاصة جاء الشرع بالنهى عن القراءة فيها وهى على النحو التالى :

أ - ان الركوع ، والسجود ، والتشهد وغيرها من أحوال الصـــلاة سوى القيام تكره القراءة فيها ٠

ب - القراءة بما زاد على الفاتحة للمأموم فى الصلاة الجهريـــة عند سماع قراءة الامام ، وكذلك حالة القعود على الخلاء ، وفى حالة النعاس ، وكذا اذا استعجم عليه القرآن ، وكـــذا حالة الخطبة لمن يسمعها ، ٠٠٠ هذا هو المختار الصحيح (٢) ٠ أما القراءة فى الطواف فانها لاتكره على الصحيح ، وبـــه قال أكثر العلماء (٣) ، وهذا ما يفعله بعض الطائفين بالبيت الحرام اليوم من قراءة كتاب الله فى الطواف ٠

٩ - هناك بعض البدع المنكرة والتى أشار اليها الامام النووى علـــى النحو التالى :

---

(١) النووى ، التبيان " مرجع سابـــق " ، ص ٩٠ ٠

(٢) المرجع السابق ، ص ٩٣ - ٩٤ ٠

(٣) المرجع السابق ، ص ٩٤ ٠

أ - قراءة جهلة المصلين بالناس في التراويح من قراءة سورة ( الانعام ) في الركعة الاخيرة في الليلة السابعة ، معتقدين أنها مستحبة . ويرى الامام النووي أن هذه بدعة منكرة من أمور :

(١) الاعتقاد بأنها مستحبة .

(٢) ايهام العوام لذلك .

(٣) تطويل الركعة الثانية على الاولى خلافا للسنة .

(٤) التطويل على المأمومين بخلاف السنة من التخفيف في الصلاة [١] .

ب - قراءة بعض جهلة المصلين في الفجر يوم الجمعة بسجدة غير سجدة ( الم تنزيل ) قاصدا ذلك ، وانما السنة قراءة ( الم تنزيل ) في الركعة الاولى ، و ( هل أتى على الانسان) في الركعة الثانية [٢] .

---

(١) النووي ، التبيان " مرجع سابق " ، ص ٩٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٩٤ - ٩٥ .

## ٣ - آداب الناس مع القرآن الكريم

هناك بعض الآداب العامة للناس مع القرآن الكريم فمنها :

١ - تعظيم القرآن الكريم على الاطلاق وتنزيهه وصيانته لانه كلام الله تعالى وتنزيله ، لايشبهه شئ من كلام الخلق ، ولا يقدر على مثله الخلق بأسرهم(١) وأما صيانته فتكون عن اللحن والتحريف والزيادة والنقصان والتبديل .

٢ - تحريم تفسير القرآن الكريم بغير علم ، والكلام فى معانيه ، لمن ليس أهلا للتفسير وغير جامع للادوات التى يعرف بها معناه ، لان المفسر لابد أن يقف على معانى العربية عند أهلها ، وبخاصة الالفاظ العربية التى لاتؤخذ الا بالسماع من العرب . وأهل التفسير ، وينبغى عليه كذلك معرفة ماقاله المفسرون فيها (٢).

٣ - تحريم المماراة والجدال فى القرآن الكريم بغير حق ، فمن ذلك " أن يظهر فيه دلالة الآية على شئ يخالف مذهبه ، ويحتمل احتمالا ضعيفا موافقة مذهبه ، فيحملها على مذهبه ، ويناظر على ذلك مع ظهورها له فى خلاف مايقول(٣)" . ويستدل الامام النووى على ذلك بما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " المراء فى القرآن كفر(٤)" .

---

(١) النووى ، التبيان " مرجع سابق " ، ص ١٣٠ - ١٣١ .
(٢) المرجع السابق، ص ١٣٢ - ١٣٣ .
(٣) المرجع السابق، ص ١٣٤ .
(٤) رواه أبو داود رقم(٤٦٠٣)فى السنة ، وأخرجه احمد فى مسنده الجزء الثانى باسناد حسن .

أما من حيث معنى المراء " فيقول الخطابى : المراد بالمراء الشك وقيل : الجدال المشكك فيه . وقيل : هو الجدال الذى يفعله أهل الاهواء فى آيات القدر ونحوها [1].

٤ - كراهية قول نسيت آية كذا ، " بل أن يقول أنسيتها أو أسقطتها ويستدل الامام النووى على ذلك بما ثبت فى الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لايقل أحدكم نسبت آية كذا وكذا ، بل هو شئ نسي " وفى رواية الصحيحين آيضا : " بئسما لأحدكم أن يقول نسيت آية كيت وكيت ، بل هو نسي [2] " .

٥ - عدم منع الكافرين من سماع القرآن " لقول الله تعالى : ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [3] ولكن يمنع من مس المصحف ، ويجوز تعليمه على الاصح ان كان يرجى اسلامه ، اما ان كان غير ذلك فلا يجوز تعليمه [4] " .

٦ - نقش الحيطان والثياب بالقرآن وبأسماء الله تعالى مكرون على المذهب الشافعى وقال غيرهم كعطاء : لابأس بكتابة القرآن فى قبلة المسجد [5]، وهذا ما يفعل فى أغلب مساجدنا اليوم . وربما

---

(١) النووى ، التبيان " مرجع سابق ، ص ١٣٤ .

(٢) رواه البخارى ٩/٧٠ - ٧٢ فى فضائل القرآن باب أستذكار القرآن ، وتعاهده ، رواه مسلم حديث رقم (٧٩٠) فى صلاة المسافرين ، باب الامر بتعهد القرآن .

(٣) سورة التوبة ، الاية رقم ٦ .

(٤)،(٥) النووى ، التبيان " مرجع سابق " ، ص ١٣٧ .

تعدى الامر الى نقش الحيطان الاخرى سوى القبلة وهذا فى الحقيقة مما يلفت نظر المصلين ويذهب بخشوعهم فى الصلاة . فلا داعى لذلك .

٧ - استحباب الرقية على المريض بالقرآن الكريم مع النفث ، ويرى الامام النووى " أن المختار لديه أن ذلك سنة مستحبة وليس بمكروه " ، ويدلل على ذلك بما ثبت عن عائشة رضى الله عنها " أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا أوى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث[1] فيهما فقرأ فيهما قل هو الله أحد ، وقل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس ، ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده ، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده ، يفعل ذلك ثلاث مرات[2] " . رواه البخارى ومسلم .

---

(١) النفث : نفخ لطيف بلا ريق . ابن منظور، لسان العرب ١٩٥/٢- ١٩٦ .

(٢) النووى ، التبيان" مرجع سابق"، ص ١٣٨ ؛ البخارى ٥٦/٩ فى فضائل القرآن : باب فضل المعوذات وفى الطب : باب النفث فى الرقية وفى الدعوات : باب التعوذ والقراءة عند النوم . ومسلم رقم (٢١٩٢) فى السلام : باب رقية المريض بالمعوذات والنفث .

# الفصل الثالث

## نتائج البحث

### تطبيقات تربوية

## الفصـــل الثالــــث

### نتائـج البحـث :

لقد أوصلنا البحث الى استخلاص بعض النتائج الهامة التى منهـــــا مايلى :

١ - ان الفترة التى عاشها الامام النووى تمتاز بنوع من الاستقـــرار السياسى النسبى منذ تولى السلطان الظاهر بيبرس حكم البـــلاد الاسلاميـــة .

٢ - ان من مسؤوليات العالم المسلم الدعوة الى الاصلاح عن وعى فى كافـة الجوانب السياسية والاجتماعية والعلمية فى البلاد والنهـــوض بمستواها .

٣ - الاهتمام بمبدأ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وتطبيقه من قبـل المسلمين على حد سواء التطبيق الأمثل الصحيح لأنه يعد أحد الركائـز الاساسية فى الاسلام .

٤ - ان الاتجاه نحو استخدام آساليب التعزيز بأشكاله المادية والمعنوية يسهم فى اثارة دافعية التلاميذ للتعلم وحبهم له .

٥ - ان مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين من قبل المعلم ، يجعـل لكل متعلم دورا فى العملية التعليمية التربوية ، وفى هذا ضمـان لمشاركة جميع المتعلمين بشكل ايجابى فى عملية التعلم .

٦ - ان اعداد المعلم وتحضيره الجيد للدروس ، وتسلسله فى عـــرض المعلومات . وربطه لعناصر الموضوعات بعضها مع بعض ،يؤدى الـــى

جذب انتباه التلاميذ وابعادهم عن التشتت .

٧ - الاهتمام بالبحث العلمى وجعله جزء من اعداد المعلم المهنى والتربوى للنهوض بمستواه .

٨ - ان نجاح العملية التعليمية التربوية يعتمد بالدرجة الاولى على المعلم الذى ينمى معلوماته ومحصوله العلمى على الدوام دون التوقف عند الكتاب المدرسى المقرر فقط ، نظرا لتقدم العلم السريع المطرد ولئلا يترتب على الاقتصار على الكتاب المدرسى المقرر دون الرجوع الى المصادر ضعف المستويات العلمية وضحالة المعرفة عند التلاميذ .

٩ - ان من مسؤوليات المعلم العمل على اكتشاف المتفوقين من التلاميذ النابغين منهم ودعم هذا التفوق وتنميته ومتابعته باعتبارهم ثروة بشرية هامة للبلاد يجب مواصلة رعايتها .

١٠ - اتفاق طريقة التدريس وقدرات التلاميذ وخصائص نموهم العقلى والاجتماعى والنفسى والجسمى .

١١ - ان علماءنا كانت لهم جهود كبيرة فى ميادين التربية والتعليم وان كثيرا من النظريات التربوية الحديثة نجد لها أصلا عند علمائنا ، نظرا وتطبيقا .

١٢ - ان اعجاب بعض المربين والمعلمين الزائد بما عند الغرب والشرق اليوم من نظريات التربية والتعليم سببه جهلنا بما خلفه علماؤنا الأفذاذ أو عدم اطلاعنا على ما ورثوه .

## التطبيقات التربوية

ان الفكر التربوى للامام النووى يمتاز بالواقعية وامكانية التطبيق الفعلى فى حياتنا المعاصرة وبخاصة فيما يتعلق بالتربية والتعليم والاستفادة من آرائه وجهوده التربوية فى تربية أبنائنا فى مراحل التعليم المختلفة .

ومما نستفيده من فكر الامام النووى التربوى على النحو التالى :

١ - توجيه أبنائنا الى بذل الوسع والطاقة فى طلب العلم ، والاستمرار فى طلبه وتحصيله مدى الحياة .

٢ - توصيهم بالحرص الدائم على الاستفادة من الغير اذا كان ذلك لايتعارض مع عقيدتنا الاسلامية ، فالرجل يكون عالما ماطلب العلم فاذا استغنى عن طلبه فقد جهل .

٣ - حثهم على اخلاص النية فى طلب العلم لوجه الله تعالى فلا يطلبونه لحصول شهادة أو رياسة أو مال وغيره .

٤ - النظر الدقيق فيما أورده الامام النووى من آداب المعلم والمتعلم المستقاه من كتاب الله وسنة رسوله ، وتوجيه أبنائنا للاستفادة من تلك الآداب فى حياتهم العلمية والعملية ، وغرسها فى نفوسهم ، ومعرفة مدى تطبيقهم لها فى ضوء متطلبات الحياة المعاصرة .

٥ - الاهتمام بتعليم القرآن الكريم والحديث الشريف لأبنائنا الطلاب

واعطاء المزيد من العناية بهما بالقدر الكافى فى التعليم العام وبخاصة فى المرحلة المتوسطة حيث ان اعطاء حصة واحدة لكل منهما فى الاسبوع لاتكفى اطلاقا .

٦ - يعتبر المعلم العنصر الأهم فى العملية التربوية والتعليمية ،وهو الوسيلة الفعّالة فى التطبيق التربوى وفى تنمية شخصيات الطلبة المتعلمين ، ولكن قد تزداد مسؤولياته ، نظرا لزيادة الوسائل والتقنيات التعليمية الحديثة فعالية مما يطور بالتالى دور المعلم نسبيا فى العملية التعليمية .

٧ - بذل العناية الكافية من المعلمين والمديرين والموجهين لتنمية القيم الاسلامية والاتجاهات المرغوبة والاخلاق الحميدة التى نريد أن نغرسها فى نفوس الجيل وتكاتف الجهود فى تحقيق ذلك فى مدارسنا . فالمتعلمون بحاجة ماسة الى النموذج القدوة وهذه من أخطر ماتعانيه التربية فى المجتمع المعاصر .

# قائمة

# المصادر والمراجع

## قائمة المصادر والمراجع

### أولا : المصادر :

١ - ابن الاخوة ، محمد بن محمد القرشى . معالم القربة فى أحكام الحسبه . مصر : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٦ .

٢ - ابن الجوزى ، ابو الفرج عبدالرحمن . المصباح المضىء فى خلافة المستضىء . بغداد : وزارة الاوقاف العراقية ، ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ .

٣ - ———————— . تلبيس ابليس . القاهرة : مطبعة المدنى ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣

٤ - ابن العماد ، ابو الفلاح عبدالحى ، شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، بيروت : المكتب التجارى للطباعة والنشر ، د.ت .

٥ - ابن تغرى بردى ، جمال الدين ابو المحاسن يوسف . النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة . القاهرة : المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، د . ت .

٦ - ابن تيمية ، تقى الدين ابو العباس احمد . الامر بالمعروف والنهى عن المنكر . جدة : دار المجتمع للنشر ، ١٤٠٤ - ١٩٨٤

٧ - ابن خلدون ، عبدالرحمن . المقدمة . القاهرة : المكتبة التجارية د.ت .

٨ - ابن سينا ، ابو على الحسين بن على . القانون فى الطب .بيروت: دار صادر ، د . ت .

٩ - ابن قيم الجوزيه ، محمد بن ابى بكر ، الطرق الحكمية فى السياسة الشرعية . القاهرة : المؤسسة العربية للطباعة والنشر.١٣٨٠هـ - ١٩٦٠ .

---

اعتمد الباحث هنا الترتيب الهجائى لاسماء المؤلفين .

١٠ - ابن كثير ، اسماعيل بن عمر . البداية والنهاية فى التاريخ . بيروت : مكتبة المعارف ، ١٩٦٦ .

١١ - ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم ، لسان العرب . بيروت : دار صادر ، د. ت .

١٢ - أبو شامة ، ابى محمد عبدالرحمن بن اسماعيل . الذيل على الروضتين . بيروت : دار الجيل ، ١٩٧٤ .

١٣ - أبو نعيم ، احمد بن عبدالله الاصبهانى . حلية الاولياء وطبقات الاصفياء . بيروت : دار الكتاب العربى ، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ .

١٤ - الأسنوى ، جمال الدين عبدالرحيم . طبقات الشافعية . الرياض : دار العلوم للطباعة والنشر ، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١

١٥ - الذهبى ، ابو عبدالله شمس الدين محمد . تذكرة الحفاظ . مصر : دار احياء التراث العربى ، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٤ .

١٦ - ______ ، العبر فى خبر منْ غبر . الكويت : مطبعة حكومة الكويت ، ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ .

١٧ - الزركلى ، خير الدين . الاعلام ، بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨٠ .

١٨ - السبكى ، تاج الدين ابو النصر عبدالوهاب بن تقى الدين. طبقات الشافعية الكبرى . القاهرة : عيسى البابى الحلبى وشركاه ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ .

١٩ - السخاوى ، محمد عبدالرحمن ، ترجمة النووى . مصر : مطبعة جمعية النشر والتأليف بالازهر ، ١٣٥٤ هـ - ١٩٣٤ .

٢٠ - السيوطى ، جلال الدين عبدالرحمن بن ابى بكر . الاتقان فى علوم القرآن . الطبعة الثالثة . مطبعة حجازى ، ١٩٤١ .

٢١ - ــــــــــ ، تاريخ الخلفاء . مصر : مطبعة السعادة، ١٩٥٢ .

٢٢ - ــــــــــ ،حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة ، مصر : دار احياء الكتب العربية ، ١٩٦٨ .

٢٣ - السيوطى ، جلال الدين عبدالرحمن بن ابى بكر . المنهاج السوى فى ترجمة الامام النووى . جامعة بمباى ، د . ت .

٢٤ - الصيرفى ، على بن داود . نزهة النفوس والابدان فى تواريخ الزمان ، القاهرة : دار الكتب ، مركز تحقيق التراث ، ١٩٧٣ .

٢٥ - العمرى ، شهاب الدين احمد ابن فضل الله . التعريف بالمصطلح الشريف . القاهرة . بدون دار نشر ، ١٣١٢ هـ - ١٨٨٢ م

٢٦ - العينى ، بدر الدين محمود . عقد الجمان فى تاريخ اهل الزمان، مصر : دار الكتب المصرية ، د. ت .

٢٧ - الغزالى ، ابو حامد محمد . احياء علوم الدين . القاهرة : دار الشعب ، د. ت .

٢٨ - القلقشندى ، ابى العباس احمد بن على . صبح الأعشى فى صناعة الانشا . القاهرة : المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، د.ت .

٢٩ - الكتبى ، محمد بن شاكر ، فوات الوفيات . بيروت : دار صادر ، ١٩٧٣

٣٠ - المقريزى ، احمد بن على . السلوك لمعرفة دول الملوك . القاهرة : مطبعة دار الكتب ، ١٩٣٦ .

٣١ - ______________ ، اغاثة الامة بكشف الغمه . دار ابن الوليد ، ١٩٥٦ .

٣٢ - المقريزى ، احمد بن على . كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار المعروف بخطط المقريزى . مصر : دار التحرير للطبع والنشر ، ١٩٦٨ .

٣٣ - النعيمى ، عبدالقادر محمد . الدارس فى تاريخ المدارس . دمشق : المجمع العلمى ، ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٧ .

٣٤ - النووى ، يحى بن شرف . شرح صحيح مسلم . بيروت : دار احياء التراث العربى ، ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ .

٣٥ - ______________ ، التبيان فى آداب حملة القرآن ، دمشق : مكتبة دار البيان ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ .

٣٦ - النووى ، يحي بن شرف . المجموع شرح المهذب . مصر : مطبعة الامام ، د. ت .

٣٧ - ______________ ، تهذيب الاسماء واللغات . بيروت : دار الكتب العلمية ، د. ت .

٣٨ - النويرى، احمد بن عبدالوهاب . نهاية الارب فى فنون الادب ، القاهرة : مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٣ - ١٩٤٣ .

٣٩ - فان دالين ، ديوبولد . ب : مناهج البحث فى التربية وعلم النفس ترجمة محمد نبيل نوفل ، سليمان الخضيرى وطلعت منصور ، مراجعة سيد احمد عثمان . الانجلو المصرية ، ١٩٦٩ .

## ثانيـــا : المراجـــــــع :

١ - أحمد ، لطفى بركات . فى الفكر التربوى الاسلامى . الرياض : دار المريخ ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ .

٢ - الأهوانى ، احمد فؤاد . التربية فى الاسلام . مصر : دار المعارف، د. ت .

٣ - البوطى ، محمد سعيد رمضان . على طريق العودة الى الاسلام . بيروت: مؤسسة الرسالـة ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ .

٤ - ________ ، هكذا فلندع الى الاسلام . بيـــروت : الشركة المتحدة للتوزيع ، د. ت .

٥ - التميمى ، عز الدين ، بدر اسماعيل . نظرات فى التربية الاسلاميـــة عمان : دار البشير ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ .

٦ - الحجوى ، محمد بن الحسن . الفكر السامى فى تاريخ الفقه الاسلامـــى المدينة المنورة : المكتبة العلمية ، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧

٧ - الدقر ، عبدالغنى . الامام النووى . دمشق : دارالقلم، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠

٨ - الزيادى ، محمود . أسس علم النفس العام . القاهرة : مكتبـــة سعيد رأفت ، ١٩٧٢ .

٩ - الشيبانى ، عمر محمد التومى ، فلسفة التربية الاسلامية ،طرابلـــس : الشركة العامة للنشر والتوزيع ، ١٩٧٥ .

١٠ ـ الطنطاوى ، على ٠ الامام النووى ٠ دمشق : دار الفكر ، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩

١١ ـ العرينى ، السيد الباز ٠ الأيوبيون ٠ بيروت : دار النهضة العربية ، ١٩٦٧ ٠

١٢ ـ ـــــــــــ ، المماليك ٠ بيروت : دار النهضة العربية ، ١٩٧٩ ٠

١٣ ـ العلى ، صالح احمد ٠ دراسات فى تطور الحركة الفكرية فى صدر الاسلام ٠ بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ ٠

١٤ ـ الغريب ، رمزية ، التعلم دراسة نفسية تفسيرية توجيهية ٠ القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٥ ٠

١٥ ـ القاضى ، يوسف مصطفى ٠ مناهج البحوث وكتابتها ٠ الرياض : دار المريخ ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ ٠

١٦ ـ القرشى ، بريكان بركى ، القدوة ودورها فى تربية النشء ٠ مكة : مكتبة الفيصلية ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥

١٧ ـ القوصى ، عبدالعزيز ٠ آسس الصحة النفسية ، الكويت : دار القلم ١٩٧٠ ٠

١٨ ـ الكيلانى ، ماجد عرسان ٠ تطور مفهوم النظرية التربوية الاسلامية عمان : جمعية عمال المطابع التعاونية ٠ ١٩٨٣ ٠

١٩ ـ ـــــــــــ ، الفكر التربوى عند ابن تيمية ، المدينة المنورة : مكتبة دار التراث ، ١٩٨٦ ٠

٢٠ - النباهين ، على سالم . نظام التربية الاسلامية فى عصر دولة المماليك فى مصر . مصر : دار الفكر العربى ، ١٩٨١ .

٢١ - الندوى ، ابو الحسن على الحسنى . رجال الفكر والدعوة فى الاسلام الكويت : دار القلم ، ١٩٧٧ .

٢٢ - الهاشمى ، عبدالحميد محمد . الفروق الفردية - دراسة تحليلية تطبيقية . بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ .

٢٣ - الوكيل ، حلمى ، محمد امين مفتى . أسس بناء المناهج وتنظيماتها. القاهرة : مطبعة حسان ، ١٩٨٢ .

٢٤ - آل ياسين ، محمد حسين . المبادئ الاساسية فى طرق التدريس العامة . بيروت : دار القلم ، ١٩٧٤ .

٢٥ - بولياس ، ايرل ، جيمس يونغ . المعلم أمة فى واحدة ، تعريب ايلى وأريل بيروت : دار الآفاق الجديدة ، د. ت .

٢٦ - جابر ، جابر عبدالحميد . سيكولوجية التعلم ونظريات التعلم القاهرة : دار النهضة المصرية ، ١٣٩٨ هـ - ١٩٨٧ .

٢٧ - جرادات ، عزت ،وآخرون . التدريس الفعال . الطبعة الثانية ، سلسلة مطبوعات المكتبة التربوية المعاصرة . ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤ .

٢٨ - جيلفورد ، ج ، ب . ميادين علم النفس النظرية والتطبيقية . مصر : دار المعارف ، ١٩٧٥ .

٢٩ - حسان ، حسان محمد ، نادية جمال الدين . مدارس التربية في الحضارة الاسلامية . القاهرة : دار الفكر العربى ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤

٣٠ - حمدان ، محمد زياد . التدريس الحديث ، أصوله وتطبيقاته . الكويت: دار الكتب ، ١٩٨٢ .

٣١ - ———— ، المعلم مواصفاته ومسؤولياته البناءة في التربية المدرسية . عمان : دار التربية الحديثة ، ١٩٨٦ .

٣٢ - حمزة ، عبداللطيف . الحركة الفكرية فى مصر فى العصرين الأيوبى والمملوكى الاول . القاهرة : دار الفكر العربى ، ١٩٦٨ .

٣٣ - راجح ، احمد عزت ، أصول علم النفس ، الاسكندرية : المكتب المصرى الحديث ، ١٩٧٣ .

٣٤ - رضوان ، ابو الفتوح . المدرس فى المدرسة والمجتمع . القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٣ .

٣٥ - ريان ، فكرى حسن . التدريس أهدافه ، اسسه ، اساليبه ، تقويم نتائجة وتطبيقاته ، القاهرة : عالم الكتب ، ١٩٧١ .

٣٦ - زهران . حامد عبدالسلام . التوجيه والارشاد النفسى . القاهرة : عالم الكتب ، ١٩٨٠ .

٣٧ - سرور ، محمد جمال الدين ، دولة الظاهر بيبرس فى مصر . القاهرة : دار الفكر العربى ، ١٩٦٠ .

٣٨ - سليم ، محمود رزق . عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمى والأدبى مكتبة الاداب بالجماميز ، ١٣٦٦ هـ - ١٩٤٦ .

٣٩ - سليمان ، عرفات عبدالعزيز ، المعلم والتربية . القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٨٢ .

٤٠ - سيموندز ، برسيفال . الدروس التى تتعلمها التربية من علم النفس . تعريب عبدالرحمن صالح عبدالله . بيروت : دار الفكر ، ١٩٧٤ .

٤١ - شعلان ، محمد سليمان ، سعا جادالله ، محمد محمود رضوان، اتجاهات فى أصول التدريس بمدرسة التعليم الاساسى . ط ١ ، القاهرة : دار الفكر العربى ، ١٩٨١ .

٤٢ - طيبا ، جميل ، فلسفة تربوية متجددة واعداد المعلمين ، بيروت: دائرة التربية فى الجامعة الامريكية ، ١٩٥٦ .

٤٣ - ________ ، مستقبل التربية فى العالم العربى، بيروت: مكتبة الفكر الجامعى منشورات عويدات ، ١٩٦٧ .

٤٤ - عاشور ، سعيد عبدالفتاح . مصر فى عصر دولة المماليك البحرية . القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٩ .

٤٥ - ________ ، المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك . القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٩٦٢ .

٤٦ - عاشور ، سعيد عبدالفتاح . مصر والشام فى عصر الايوبيين والمماليك . بيروت : دار النهضة العربية ، ١٩٧٢ .

٤٧ - ______ . العصر المماليكى فى مصر والشام . القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٩٧٦ .

٤٨ - عبدالعال ، حسن ابراهيم . من قضايا التربية فى رسالة اللؤلؤ لابى يحيى الانصارى . مجلة العلوم الاجتماعية ، العدد السابع . الرياض : جامعة محمد بن سعود الاسلامية ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ .

٤٩ - ______ . فن التعليم عند بدر الدين ابن جماعة . الرياض : مكتب التربية العربى لدول الخليج ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ .

٥٠ - ______ . أصول البحث العلمى وآدابه عند الامام النووى ، رسالة الخليج العربى ، العدد ٢٤ . الرياض : مكتب التربية العربى لدول الخليج ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ .

٥١ - عبدالله ، عبدالرحمن صالح . دور التربية العملية فى اعداد المعلمين . بيروت : دار الفكر للطباعة والنشر ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩ .

٥٢ - ______ . المنهاج الدراسى آسسة وصلته بالنظرية التربوية الاسلامية . الرياض : مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ .

٥٣ - عبدالعزيز ، صالح ، التربية الحديثة - مادتها - مبادئها تطبيقاتها العملية ، ط ٧ . مصر : دار المعارف ، ١٩٦٩ .

٥٤ ـ عبدالموجود ، محمد عزت ، وآخرون ، أساسيات المنهج وتطبيقاته . القاهرة : دار الثقافة للطباعة والنشر ، ١٩٧٩ .

٥٥ ـ عثمان ، سيد احمد . التعلم عند برهان الاسلام الزرنوجي. القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٧ .

٥٦ ـ عطية الله ، احمد . القاموس الاسلامى . القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٣٩٦ هـ ـ ١٩٧٦ .

٥٧ ـ عفيفى ، فوزى سالم . السلوك الاجتماعى بين علم النفس والدين الكويت : وكالة المطبوعات ، د. ت .

٥٨ ـ عيسى ، احمد عبدالرحمن . فى أصول التربية وتاريخها . الرياض: دار اللواء للنشر والتوزيع ، ١٩٧٧ .

٥٩ ـ قشقوش ، ابراهيم ، طلعت منصور . دافعية الانجاز وقياسها ، القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٢ .

٦٠ ـ قطب ، سيد . العدالة الاجتماعية فى الاسلام . القاهرة : دار الشروق ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ .

٦١ ـ كرد على ، محمد عبدالرزاق . خطط الشام . دمشق : مطبعة الحديثة ، د. ت .

٦٢ ـ ماجد ، عبدالمنعم . نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم فى مصر . مصر : مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٥١ .

٦٣ - ماكيفر ، ر.م وشارلز ه . بدج . المجتمع . ترجمة على احمد عيسى ، مصر : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦١ .

٦٤ - مجاور ، محمد صلاح الدين ، فتحى عبدالمقصود الديب ، المنهج المدرسى - أسسه وتطبيقاته التربوية . الكويت : دار القلم ، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ .

٦٥ - مجمع اللغة العربية . المجمع الوسيط . مصر : دار المعارف ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ .

٦٦ - موسى ، عبدالله عبدالحى . المدخل الى علم النفس . مكتبة الخانجى ، ١٩٧٩ .

٦٧ - نجار ، فريد ، وآخرون . قاموس التربية وعلم النفس التربوى .. بيروت : الجامعة الامريكية ، ١٩٠٦ .

٦٨ - هايمان . رونالد. ت . طرق التدريس ، ترجمة ابراهيم محمد الشافعى . الرياض : جامعة الملك سعود عمادة شئون المكتبات ، ١٤٠٣ هـ . ١٩٨٣ .

٦٩ - هيوز ، آرثر جورج ، اى . ج . هيوز . التعلم والتعليم مدخل فى التربية وعلم النفس . الرياض : جامعة الملك سعود، ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ .

٧٠ - وزارة المعارف . التاريخ الاسلامى للصف الثانى المتوسط . جدة : دار الاصفهانى ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ .

٧١ - يس ، نبيه . أبعاد متطورة للفكر التربوى . مصر : مكتبة الخانجى ، ١٩٧٨ .

